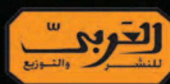
سيرة مجنون ٢

القرصان الأيسلندي

جون جنار



ترجمة: ياسمين مصطفى

روايات مترجمة



القرصان الأيسلندي

سيرة مجنون 2

القرصان الأيسلندي

تأليف: جون جنار

ترجمة: ياسمين مصطفى

تحرير: إيزيس عاشور

مراجعة لغويَّة: أمل دربالة

الطبعة الأولى: نوفمبر 2018

رقم الإيداع: 13925 / 2018

الترقيم الدولي: 9789773194246

الغلاف: عصام أمين



60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة.

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

Title of the original Icelandic edition: **Sjóræninginn**

Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا



@alarabipd

جون جنار

القرصان الأيسلندي

سيرة مجنون

ترجمة: ياسمين مصطفى



This book has been translated with a financial support from:


ICELANDIC LITERATURE CENTER

بطاقة فهرسة

جنار، جون، 1967 -

القرصان الأيسلندي/ جون جنار؛ ترجمة ياسمين مصطفى.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018.

ص؛ سم.

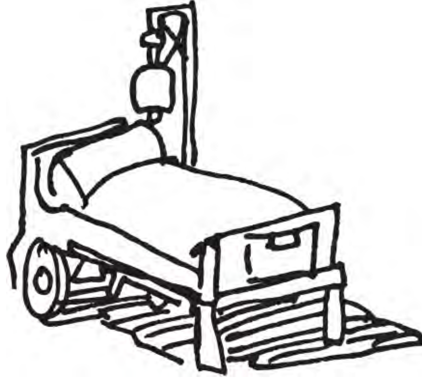
تدمك 9789773194246

1- القصص الأيسلندية

أ- مصطفى، ياسمين (مترجم)

ب- العنوان 839,693

موت أسود



طرقَ أحدُهم باب غرفتي، انتبهتُ، فتحَتْ أمّي الباب، بوجه حزين.

- تعالَ لنتحدث معًا يا "جون"!

لم تكن غاضبةً. لم أفعل شيئًا، بل كنتُ هادئًا بشكل غير معتاد. لكنّني أعرف تلك النَّبرة في صوتها، حين تلومني على أمر ارتكبتُه. مثل تلك المرَّة حين وجدَت السَّجائر في جيبي. كان صوتها جافًّا شاحبًا. إلّا أنَّها لم تكن غاضبةً هذه المرَّة، بل كادت أنْ تكون ودودة. لا بدَّ أنَّ لديها أخبارًا!

تبعتُها إلى المطبخ وجلستُ إلى الطاولة. ما الأمر؟ ماذا تريد أنْ تخبرَني؟ هل ستقول إنَّهم تبنَّوْني؟ ألستُ ابن والدي، بل ابن الكاتب الأيسلندي الشهير "ثوربيرجر ثوردارسون"؟ لطالما ساورَني الشَّكُّ في هذا الأمر؛ فأنا أُشبِه هذا الكاتبَ كثيرًا. ربما لم يكن أبي دائمًا إلى جواري لأنَّه ليس والدي

الحقيقيَّ. وربما كان دائم الانزعاج من أمّي لأنَّها خانتـه. أمـرٌ مفهـومٌ! وربَّمـا كان لي أشقاء وشقيقاتٌ آخرون هناك. ولكن ربَّما ليس هذا هـو الأمـر. هـل من الممكن أنْ تخبرني أنَّهما ذاهبان في إجازة وأنَّني مدعوٌّ معهما؟ لم أذهـب معهما من قبل إلى أيِّ مكان لأنَّني أسبِّبُ الكثير من المتاعب. أصبحتُ هادئًا مؤخرًا. هل تكافئني أمّي باصطحابي معهـما في رحلـة؟ لكـن، إلى أيـن؟ ربما "مايوركا"! عليَّ أن أشتري مايوه أنيقًا وقلادةً تحمل اسمي. سوف أذهـب إلى الشاطئ وأجعلهما يلتقطان لي صـورةً مـع ببَّغـاء تقـف عـلى كتفـي. أمْ أننـا سنذهب إلى "لندن"؟ لقـد زارَت أمّـي صـديقتها في لنـدن عـدة مـرات، ربمـا ستسمح لي بالذهاب معها الآن. أفضِّل الـذهاب إلى "لنـدن" عـن "مايوركـا"؛ فلعلّي أقابل شابًّا متمردًا حقيقيًّا، وأحضر بعض الحفلات الموسيقيَّة الصغيرة. ولعلّي أشتري بعدها أشياء من المتمرِّدين أمثاله. لاأتخيل أنَّهـا أشـياء يسـهُل إيجادها في "مايوركا".

انتظرتُ طويلًا كي تبدأ أمّـي في التحـدُّث ولكنَّهـا ظلَّـت صـامتة. ودودة، لكن غريبة!

سألتُها:

- ما الأمر؟

وكدتُ أضحك من التحمس.

- تُوفيت جدّتُك.

تبخَّرَتْ أحلامي بالشواطئ المشمسة والحياة المدنيَّـة. لـن أذهـب إلى أيِّ مكان، و"ثوربيرجر" ليس أبي، لقد تُوفيَت جدَّتي.

باحثًا عن شيء أقوله، سألتُها:

- حقًّا؟

- أجل! تُوفيَت خلال الليل.

لم أفكِّر بجدَّتي كثيراً، أو قليلًا، منذ انتقالها إلى دار المسنِّين. لم أهتمّ بزيارتها، بدَت زيارتها أمرًا غير مريح، خاصَّةً أنَّها أصبحَت مشتَّتة قليلًا مع قرب النهاية. أصبحَت عجوزة جدًا حتّى إنَّها بدأتْ تموت منذ وقت طويل.

عرفتُ منذ فترة أنَّها سوف تموت، لا محالة! كان اسم جدَّتي "جومون جورندس دوتر"، وُلدَتْ في الأول من أبريل عام 1888، في مكان يُدعى "أرنكوتلودالور" بمنطقة "ستراندير". لا أعرف أين يقع هذا المكان تحديدًا. كان لها ثمانية عشر من الأشقاء والشقيقات، تُوفَّوْا جميعًا؛ تُوفي معظمهم فور ولادتهم أو خلال طفولتهم. هكذا كانت الحياة قديمًا، يموت الناس طوال الوقت. فقدَتْ جدتي أمَّها وهي في السابعة من عمرها. كانت من عالَم آخر، عالَمٍ قديم مُحمَّل بالغيوم، حيث يعانون دائمًا البرد والرُّطوبة، والجميع يعانون الجوع أو المرض الشديد طوال الوقت، لذا كان الجميع يموت عاجلًا أمْ آجلًا. كان الرجال يختفون الواحد تلو الآخر. هؤلاء الذين عاشوا، أحنَت مِحَن الحياة ظهورَهم، مثل جدَّتي. لا أعلم كيف نجَتْ من تلك الحياة البائسة؟! ربما لأنَّها كانت شخصًا جيِّدًا، أو لإيمانها الشديد بالله. ربَّما لم تعرف شيئًا أفضل من هذا. على أيِّ حال، كنتُ أعتبر نفسي محظوظًا لأنَّني وُلدتُ في الوقت الذي وُلدتُ فيه. كنت أرتعب حين تحكي جدَّتي القصص عن الحياة في الريف في صغرها. بدأتْ تموت منذ وقت طويل. نقلتْها الشَّيخوخة إلى هناك بلا رحمةٍ. انطفأتْ شعلتُها. أصبحَت شديدة الإرهاق وعجزَتْ عن المشي بشكل سليم. بدأتْ في نسيان الأشياء، أحيانًا تنسى مَن أكون. أحيانًا تظن أنَّني أبي، أقول لها: "إنه أنا "جونسي"، مرةً تلو الأخرى كي تتذكر. أحيانًا تدرك وأحيانًا لا. كانت

تسأل عن الحقل، أو تقول إنَّها رأت أشخاصًا أعلم أنَّهم رحلوا منذ زمن بعيد. كانت تسترجع زمنًا يبدو بالنِّسبة لي يعود إلى القرن الثامن عشر منذ قديم الأزل. كانت رؤيتها تبتعد هكذا تؤلمني. أحيانًا كانت ترتاب من أمر تظنُّ أنه سوف يحدث. حينها تطلب مني امتطاء الخيل إلى الحقل لتحذير الناس. لم أعرف كيف أتصرف، وكان الأمر يبدو غريبًا. حاولت إخبارها بأنَّ الأمر يتعلق بالشيخوخة، لكنَّ عقلها لم يستوعب، لذا قررتُ أنْ أجاريها.

- أين الأطفال؟

- ممم.. في الخارج، يلعبون.

- عليهم عدم الاقتراب من مصب النهر، فالتيار قويٌّ.

قلتُ بطريقة مشجعة:

- ليسوا بالقرب منه يا جدتي.

كانت متأكدة من أنَّ زميلتها في الغرفة تحاول العبث في أشيائها وسرقتها. كان حديثها عن هذا غريبًا لكنه مضحك. مضحك بشكل دراميٍّ، على نحو مريب. في الواقع، كانت زميلتُها في الغرفة قعيدة، تستلقي بلا حراكٍ على سريرها. لكن جدَّتي كانت عمياء فلم ترَ هذا.

قالت جدتي بصوت خافت:

- ماذا تفعلين هناك؟

أجابت السَّيدة بضَعف:

- لا أفعل شيئًا يا عزيزتي.

- يمكنني رؤيتكِ، ماذا أخذتِ من الدُّرج؟

تنهدَت السيدة القعيدة في حزن وارتعشتُ أنا، كدتُ أضحك من سخافة الحياة. والآن تُوفيَت جدَّتي، لم أعرف ماذا يجب أن أقول.

- ألا تجد الأمر مزعجًا؟

- بالتأكيد.

لكنَّني لم أجد الأمر مزعجًا. اعتقدتُ أنه أمر طبيعيٌّ. يكبر الناس ثم يرحلون. كانت جدَّتي تنتظر الموت. أرادت أنْ تموت، لذا فليس أمرًا مزعجًا. إن كانت حيَّة لسُرَّت بوفاتها. يختلف الأمر عندما يموت الناس في سنٍّ صغيرة، أو من مرض شديد مثل العمِّ "جولي"، الذي أصيب بسرطان الرِّئة. لم يكن صغير السِّنّ، لكنَّ الأمر كان مُحزِنًا. في الواقع، كنتُ أشعر بالرّاحة لوفاة جدتي. لقد رغبتُ في الأمر. حزنتُ أكثر لأنَّني لن أذهب في إجازة معهما.

للموت ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى جسديَّة، عندما يتوقف القلب عن النبض. المرحلة الثانية هي الصَّحوة، عندما يرى الأقارب والأصدقاء المتوفي للمرَّة الأخيرة. المرحلة الأخيرة هي ذِكر أحدهم اسم المُتوفّى للمرة الأخيرة.

الجنازات طقسٌ غريب! الموت يجمع الناس. وكأنَّ ألَم فقْدِ أحدهم يجعل الجميع يقترب فجأة، الأمر حقيقيٌّ وقويٌّ. تتلاقى أعين الناس، يبكون معًا، ويحتضنون بعضهم بعضًا. يكشف الناس عن جزء فيهم في الجنازات، لا يكشفون عنه في أيِّ وقت آخر. ربما يفعلون ذلك في البيوت، خلف الأبواب المغلقة. يبكون علانيةً أمام الآخرين، يتعانقون بدفء، حتّى هؤلاء الذين لا يعانقون أحدًا في العادة. في الكريسماس وأعياد الميلاد يتبادل الجميع التحيَّة بسلام اليد. ولا يفعلون ذلك في الجنازات، الموت يُخرِج الحياة من داخل الناس، يُجبرهم على نزع الأقنعة وإظهار وجوههم

الحقيقيَّة. هؤلاء الذين لم يتحدَّثوا طوال أعوام يتحدَّث كل منهم بعضهم إلى بعض مجددًا. عندما يواجه الناس الموت يدركون أنَّ مشاغلهم اليوميَّة أقل أهميَّة ممّا يظنون. يعقد الأعداء القدامى هدنةً، وتتفتَّح صداقاتٌ جديدة. الموت أمر مشترك بين الجميع، يوقعنا في شِباكه، لا مفرَّ من الموت مهما كنتَ غنيًّا أو قويًّا.

شهدتُ جنازاتٍ عديدة. فلقد تُوفي معظم أشقّاء أبي وأمّي. كنت أفضِّل حضور الجنازاتِ مع عائلة أمي. خاصَّة حين يبدأ الناس في شرب نخب المتوفّى؛ فيقصّون القصصَ عنه ويضحكون.

لم أدرك قَطُّ تعبير أمّي وأبي عن حزنهما. لم أرَهما يبكيان حزنًا. ربما لأنهما مَرّا بالكثير من الأسى في حياتهما فتوقَّفا عن التأثُّر له. وربَّما يحزنان على طريقتهما الخاصَّة! فتصبح أمّي صامتة وهادئة. تجلس وتستمع إلى الراديو وهي تدخِّن بلا توقُّف. كانت شخصًا قويًّا. لم تعبِّر عن مشاعرها بسهولة، وتحاول تقبُّل صدمات الحياة باتزان. أمّا أبي فكان يزداد غرابة عن المعتاد! لقد مرَّ بالكثير من المواقف الصَّعبة خلال عمله مع الشُّرطة. فمثلًا رأى الكثير من الموتى الذين قتَلوا أنفسهم أو قتلهم أحدٌ ما. وكثيرًا ما كان أوَّلَ الحُضور إلى موقع الجريمة أو الحادثة. أخبَرني عن الأمر عدة مرات. حكى لي ذات مرَّة أنَّه ذهب للبحث عن رجل صعد الجبال في الشِّتاء، ولم يجدوه حتّى حلَّ الربيع بسبب الطقس والطرق العسيرة. عندما وجده أبي في النهاية، كانت الغربان قد أكلتْ وجهه. لم يعُد للرجل المسكين عيْن، ولا أذُن ولا فم! أخبرَني أيضًا عن صديق له، شرطيٍّ آخر، حُبس في سجن انفراديٍّ مع رجل مصاب بمرض نفسيٍّ. كان من المفترَض أنْ يحلَّ أبي محلَّه في الورديَّة التالية، لكن عندما

وصل أبي، كان المريض قد ضرَب زميله حتّى الموت. تفاجأ أبي بالصَّمت الـذي استقبله عند وصوله إلى العمل، وشعر بالغرابة. كـان يتوقَّـع سـماع أصـوات الرِّجليْن يتحدَّثان. عندما لم يسمع شيئًا من داخل الزنزانة، نادى زميلَـه فلـم يصله ردٌّ. عندما دخـل الزنزانـة، فـوجئ بزميلـه ملقـى عـلى الأرض، مغطًّـى بالدِّماء، والمريض جالس على السَّرير في صمت بـلا حـراكٍ. لطالما أخـبرَني أبي قصصًا مشابهة من عمله، لم أعرف أبدًا لمَ يخبرني بها. لم تكن تحمل رسالة أو هدفًا. لم يشعر أبي بالحاجة إلى التحدُّث مع أحد عمّا يمرُّ به من أمور مريعة في العمل. كان يقول ببساطة إنَّه دائمًا ما ينسى كلَّ شيء. لكنه لم يـنسَ تلـك التجارب أبدًا. ربما ظنَّ أنَّ بإمكانـه تخطيهـا لكـن ظلَّـت الـذِّكريات حيَّـة في ذهنه.

كانت جنازة جدَّتي جميلة. كانت حفل الوداع الخاصِّ بها. ماتت أخـيرًا. لم أشـعر بالحاجـة إلى البكـاء أو احتضـان أحـدهم. كنـتُ مشـتَّتًا وبعيـدًا. شعرتُ أنَّ الأمر مثاليٌّ. لم تكن تخشى الموت على الإطلاق. تحدَّثْنا عن الأمر معًا كثيرًا. كانت تؤمن باللـه، وتؤمن أنَّها سوف تقابل المسيح حين تموت. لم أصدِّق الأمر، لماذا يهتم اللـه بأمر شخص ما بعد موتـه إنْ لم يهـتم بـه في حياته؟! ألم يكن من الأنسب مراعاتهـا خـلال حياتهـا؟ ولمـاذا لم يشـفِها المسيح من العمى الذي أصابها اللـه به؟! كان بإمكانـه فعـل ذلـك؛ كـان يمكن للمسيح المجيء إلى منطقة "جوفوداليور" في أيِّ وقت. وأخْـذ بعـض التراب من الأرض وخلطِه مع بصقة منه حتّى يصبح عجينًا، ثـم يمسـح بـه عينَيْ جدَّتي. لم أفهم الهدف من مقابلة المسيح لشخص ما بعد وفاته. لـن تكون جدَّتي عمياء بعد وفاتها. بالنِّسبة لي، لقد اختفَت فـور وفاتهـا، مثـل لهب الشَّمعة التي تنطفئ. ببسـاطة، لـن يصـبح لـك وجـود. لـيس الأمـر

مريعًا. الأمر بسيط. لا يختلف كثيراً عنه قبل أنْ تصبح موجودًا. ليس المـوت أكثر حزنًا من أنَّنا لم نكن أحياء في العصور الوسطى. جدَّتي نائمة وليس لـديها وعيٌ بنفسها. لا أؤمن بوجود إله!

لا أعرف عائلة أمّي ولا عائلة أبي جيِّدًا. بالكاد أتعرَّف على شقيقات أمّي. ومعرفتي بعائلة أبي أقلّ من معرفتي بعائلة أمّي. كما أنَّ عائلته أكـثر غرابـة من عائلة أمّي. لم يكن هنـاك شيء غريـب في أقـارب أمّـي. لكـنَّ لعائلـة أبي سمات غريبة! كان بعض الحاضرين في الجنـازة مـن أشـقائه، تأمَّلـتُ الكثـير منهم ولم أتعرَّف إلى أحد. في الواقـع لم أعـرف أسـماء معظـم هـؤلاء النـاس، وبالطبع لم أعرف شيئًا عن وظائفهم. بعضهم رجال شرطة أو حرّاس سجون، وبعضهم من المجرمين! لم أعرف من منهم قريب، ومن هو مجـرَّد صـديق؟! ظننـتُ أنَّ أحـدهم شـقيق أبي لكـن اتضـح أنـه صـديق مقـرَّب مـن رابطـة "باروستروند". أقابل هؤلاء الناس مراتٍ قليلة، ليس أكثر من مرة أو مرتيْن في العام. نادرًا ما كانت أمّي تأخذني إلى التجمُّعـات العائليَّـة في صـغري. عـادةً كانت تتركني في الحضانة؛ لصعوبة اصطحابي إلى أيِّ مكان، فقد كنـت شـقيًّا، ومخادعًا. لم تتمكن أمّي حتّى من الجلوس والتَّـدخين في وجـودي. كانـت في حاجة للركض ورائي طوال الوقت، ولم يكن باستطاعتي الابتعاد عن ناظريْهـا. في صغري، كنتُ أفعل كلَّ ما يخطر ببالي، هشَّمتُ الكثير من زجاج النوافـذ، أشعلتُ النار بأشياء كثيرة، تسلَّقتُ أسطحًا وألقيتُ بأشياء من أعلى.

الجنائز كلها تتشابه؛ تبدأ بأغنياتٍ حزينة مثيرة للشفقة ومزعجة عن الأزهار، ثم يتحدَّث القسيس عن حياة المتوفّى، رغم إدراكك أنَّه لا يعلم شيئًا عمّا كان المتوفّى يسعى إليه خلال حياته. إنَّه فقط يقرأ ما كتبتْه له عائلة المتوفّى، لكنَّه يتحدَّث كما لو كان يعرفه شخصيًّا، يخبر الجميع كم كان المتوفّى شخصيَّة شيقة ومحبَّبة خلال حياته. من رماد إلى رماد، من تراب إلى تراب. ثم تُنشد أغنية حزينة عن المسيح تُبكي الكثيرين. وعندما يُحمل التابوت إلى الخارج، يقف الجميع ويتبعونه. البعض يبكي بحُرقة فيواسيه الآخرون بعناق. يتبع الجميع التابوت على بُعد، حتّى يوضع في سيارة نقل الموتى، التي تنقله إلى المقابر لدفنه.

فور توقُّف الناس عن البكاء، يدخِّنون، ويتنفَّسون بصوت مرتفع. يذهب البعض إلى المقابر، لكن البعض يتَّجهون مباشرةً إلى العشاء، ويشربون النخب. الأمر يتشابه دائمًا. حين أموت لن تكون هناك أغنيات، أو تراتيل حزينة، أو حديث عن المسيح.

كان حضور الحفلات مع عائلة أمّي مسلِّيًا، يحكون الكثير من القصص ويضحكون. وجميعهم يدخِّنون ويشربون النَّبيذ. أمّا عائلة أبي فكانت مختلفة؛ اجتماعاتهم أهدأ، يجلسون في صمت، وأحيانًا يقول أحدهم بشكل مريب: "أجل، كلامك صحيح!". وإنْ تحدَّثوا عن شيء فغالبًا ما يكون الوظائف، حتّى إنْ لم يكن بالأمر ما يحتاج المناقشة. تدور الأحاديث الأكثر حيويَّة حول الأخبار. يثير الأمر حماس الجميع خاصَّة حين يبدأ الحديث السياسيُّ، الجميع متعصِّب؛ المؤيِّد والمعترِض على حدٍّ سواء. وكثير منهم يبالغ في حماسه.

بعد أيّام قليلة، جاءت سيارة صغيرة من دار المسنّين، بها مقتنياتُ جـدتي الدنيويَّة. وُضع كلُّ شيء في غرفتها القديمة. دولاب بـه أدراج، وكـرسيّ هـزاز، أمّا أشياؤها الخاصة فوُضعَتْ في صندوقيْن من الورق المقوّى. عندما خرجَت أمّي وأبي، تسلَّلْتُ إلى الغرفة وفتشـتُ في الأشـياء. وجـدتُ أشـياء عديـدة في الأدراج، تفحَّصْتُ صورًا قديمة، وبطاقات بريديَّة أُرسِلت إليهـا. لم أتعـرَّف إلى أحد شخص في تلك الصُّور. كانت قديمة وغير ملوَّنة. لم يبتسم أحد. يبـدو أنَّ الرجـال كـانوا جميعًـا يرتـدون البـذلات في المـاضي، وترتـدي النسـاء الأزيـاء الكلاسيكيَّة، وفقًا للصور. جمعَتْ جدَّتي أيضًا العُلـب، كانـت الأدراج ممتلئـة بعُلب صفيح كانت تحوي الحلوى، وعُلب خشـبيَّة كانـت تحـوي السَّـجائر، وعُلب شيكولاتة عليها رسوم جميلة. احتفظَتْ جدَّتي بأشـياء صـغيرة داخـل الصَّـفائح، مثـل: العمـلات، والخطابـات، والصُّـور، وكثـير مـن الهـراء، حُـليّ مكسورة، ومفاتيح، وأدوات حياكة. تذكرتُ رؤيتي بعضَ هذه الصَّفائح منـذ كانت جدَّتي تسكن معنا. كما وجدتُ ظرفًا به مال، الكثير من المال، بالنِّسـبة لي على الأقلّ. أخذتُ بعض المال ووضعتُه في جيبي – فلم تعُد جدتي بحاجـة إليه – ومن المؤكَّد أنَّها كانت تنوي منحي إيّاه. هي لا تحتاج إلى المـال الآن، لكنَّني أحتاجه، لشراء السَّجائر.

عشتُ مثل الملَِك طـوال الأسـابيع التاليـة؛ اشـتريتُ بعـض التَّسـجيلات، وشارات شبابيَّة من متجر "ألف ليلة وليلة"، ودفعتُ مـالًا لمشرَّد كي يـذهب إلى متجر الخمور ويشتري لي زجاجة سعة نصف لتر مـن الخمـر الأيسـلندي "برنيفين"، كما دفعتُ له مـا يكفيـه لشراء واحـدة لـه. اشـتريتُ الكثـير مـن السَّجائر، وفي العطلة الأسبوعيَّة التالية، حضرتُ حفلًا صاخبًا للمرَّة الأولى.

تذوقتُ النَّبيذ بالفعل من قبل، حيث كنتُ أحصل على جرعة كبيرة من الصبية الأكبر سنًّا في الكشّافة. كما يمكنك اختلاس رشفة من هنا وهناك في وسط المدينة، أمام منطقة المطاعم في "هالريسبلان". لكنني لم أمتلك زجاجة خاصَّة بي من قبل. يتناول الصبية "برنيفين" أو "موونشاين"، من السَّهل الحصول على "موونشاين"، كان مسؤول الكشّافة المحليَّة في منطقتنا يخمِّره ويبيعه للصبية، الأكبر سنًّا وليس لنا! كما تذوقتُ النَّبيذ الأبيض للأخوة المسيحيّين و"أنهيوسير" أيضًا. كان مذاقها جيِّدًا، لكنَّك لا تثمل من تلك الأشياء مثلما الحال مع "برنيفين". كان لـ"برنيفين" مذاق سيّئ بشكل ملحوظ. كانت أمّي تقوم بتخمير الكحول، هناك أنبوبتان كبيرتان داخل الخزانة. كانت تخمّر بهما الخمر والنَّبيذ الورديَّ. ثم تضعهما في زجاجاتٍ وتكبس غطاءها بماكينة ضغط خاصة، وتحفظها في الثَّلاجة. هناك صناديق على الأرض والأرفف ممتلئة بنبيذ غير معروف، مغلَق بأغطية مبرومة. حينها كان الخمر محظورًا في أيسلندا، يمكنك فقط شراؤه في السوق الحرة أو السوق السوداء. كان البحّارة يهرِّبون كلَّ الأشياء الممنوعة إلى داخل البلاد. نجحتُ أحيانًا في اختلاس رشفات صغيرة من الزجاجات في الخزانة لكنَّني لم أثمل قَط. ربما ما شربتُه لم يكن قد تخمَّر بعد. كان منفِّرًا! لكن الآن لديَّ زجاجة نصف لتر من الكحول.

اصطحبتُ "ألي" إلى المدينة مساء يوم الجمعة، وذهبنا إلى "هالو". كنتُ أرتدي الجينز المفضَّل لديَّ، وجاكيت من الجلد، وحذاء ميريًّا ذا رقبة عالية، بالإضافة إلى تيشيرت "سيد فيكووس" الجديد تحت الجاكت، التيشيرت اشتريتُه بالمال الذي سرقتُه من جدتي. خبأتُ الزُّجاجة في الجراج ثم أخذتُها معي دون أنْ يلاحظ أحد. خاصَّة رجال الشُّرطة، الذين

كـانوا سيصـادرونها فـورًا. وإنْ لاحظهـا الصـبية الأكـبر، فسـيطلبون رشـفة ويهـدِّدون بإخبـار رجـال الشُّرطـة إنْ لم يحصـلوا عـلى مـا أرادوا. احتفظنـا بالزجاجة لأنفسنا، تسكَّعنا وأدخَّنا السَّجائر. كنا نختبئ من حين لآخر خلـف صفائح القمامة لشُرب رشفة من الـ"بـرنيفين" سرًّا. مـذاقها لاذع! أكـاد أتقيَّـأ بعد كلِّ رشفة. كان مذاق الكمّون يزيد من قوة مذاق الكحول، لكنَّني كنتُ أتوق للشعور بالثمالة. يبدو الثملون أكثر مرحًا، لا يشغل بالهم هَمٌّ؛ يُغنّـون ويرقصون، ولكنْ كم تحتاج من الشراب كي تسـكر؟ لا أعـرف! يُستحسـن ألّا يكون أكثر من زجاجة. كنتُ أخشى أنْ ننهيها دون أنْ نثمل.

زادنا الـ"برنيفين" ثقة وراحة. ذهب عنـي الخجـل. بـدأتُ أنطلـق. حتّـى أنَّني أوقفتُ الصبية وتعرفتُ إليهم قبل أنْ يتحدَّثوا إليَّ. إن وصفني أحدهم بقوله: "متمرِّد لعين"، فلم أكن أنظر إلى الأرض كما اعتدتُ، بل كنتُ أتحدّاه، وأقول بصوت مرتفع: "اخرس أيُّها اللَّعين المتردِّد على الملاهي الليليَّة، فلْتمُتْ في الديسكو!". أعجبَنـي التحـدث بصـوت مرتفـع حيـث يسـمعني الجميـع. اجتـاحتْني رغبـة في القيـام بـأمر مميَّـز، غـير معتـاد. أردتُ الغنـاء في فرقـة موسيقيَّة. حاولتُ تسلُّق تمثال "جون سيجورسون"؛ لأمتطي كتفَـه، وبعـد أنْ سقطتُ من فوق ساقه عدة مرات، استسلمتُ وركضتُ إلى مـدخل البرلمـان، وقفتُ هناك وغنَّيتُ: "فوضى في المملكة المتحـدة!"، بـأعلى مـا أمكننـي مـن صوت، ومن الناحية الأخرى من ميدان "أوستورفولر". صرخ بي أحدهم:

- اخرس أيُّها المتمرِّد اللَّعين!

- اخرس أنت يا غريب الأطوار!

لم أكن أخشى أحدًا، أو شيئًا. لا أحد يستطيع إيذائي. لا أشعر بالخجل. كنتُ حرًّا، حرًّا لأفعل وأقول ما أريد. عندما أتى رجال الشُّرطة للبحث في الأمر، ركضتُ مع "ألي" واختبأنا في حديقة البرلمان، خلف شجيرة. وعندما تأكدنا أنْ لا أحد يتبعنا، جلسْنا على مقعد وشربْنا ما تبقّى في الزجاجة. أصيب "ألي" بنوبة ضحك هيستيريَّة:

- اللعنة، هل تسمع هذا؟

- إنهم مجرَّد بعض البلهاء اللُّعناء.

استيقظتُ في اليوم التالي وأنا أحسُّ بمذاق غريب في فمي. استلقيتُ في الفراش. وفي أذُني طنين يكاد يصيبني بالصمم. استغرقتُ فترة لأدرك مكاني. تحسستُ ما حولي حتّى وجدتُ نظارتي وارتديتُها. كنتُ في غرفتي. ماذا حدث؟ كيف عدتُ إلى المنزل؟! آخر ما أتذكره هو تواجُدي في المدينة مع "ألي"، كنا في الحديقة خلف البرلمان... ثم دفعَني أحدهم ...

ارتعش قلبي وقفزتُ من مكاني، شعرتُ بصداع شديد. كأنَّ عشرة مسامير - طول كلٍّ منها عشرة سنتيمترات - تحاول شقَّ طريقها إلى الخارج من داخل جمجمتي. عندما وقفتُ، شعرتُ بالدُّوار، وحارت عيناي، ترنحتُ وأنا في طريقي نحو الحمّام، وارتجف جسدي وارتعشَتْ يداي.

كدتُ أنزلق عند المدخل، وأغلقتُ الباب بصوت مرتفع لم أتعمَّدْه. ثم تقيأتُ، حاولتُ رفع غطاء التواليت، ولكنَّ معدتي تصرفَت بشكل مستقل وشعرتُ بالانقباضات، وانفجرَتْ مِنّي دفعات متدفقة من القيء. ماذا يحدث؟ ارتعشَت يداي بشدة فعجزتُ عن التحكم بهما. تسارعَت دقات قلبي فشعرتُ بها دون حاجة إلى وضع يدي على صدري؛ وكأنَّ قلبي سيخرج من صدري. كأنَّ جسدي لا يفعل شيئًا سوى ضخِّ الدم. أغلقتُ

عينيَّ، كأنَّ نهرًا ثلجيًّا يمـرُّ في جسـدي، أو قطعـة مـن الـثلج أصـابت جـدار روحي. كانت أعراض ما بعد الثمالة أسوأ من أسوأ مرض أصابني. صـداع، ألم في المعدة، رعشة. ألم في رأسي. ارتعشَـت روحـي. ضربتْنـي قنبلـة ذرِّيَّـة مـن التوتُّر، وأخرى من الشَّكِّ، ماذا حدث؟ كيف عدتُ إلى المنزل؟ مـاذا فعلـت؟ مَن دفعَني؟ أبي وأمي، هل عرفا؟ ماذا سيقولان؟ هـل الأمـر عـادي بالنِّسـبة إليهما؟!

خرجتُ متعثِّرًا. كانت أمّي تجلس في المطبخ، نظرتْ نحوي حـين دخلـتُ عليها، أحرقتْني نظرتُها التي لم توجِّهها إليَّ. وتأكدتُ أنهما يعرفان.

قلتُ بصوت أجشّ منخفض:

- مرحبًا!

فاجأني صوتي؛ كان أشبه بهمسة مشروخة جافَّة. لم تُجِـب أمّـي ولم تنظـر نحوي. استمرَّت في لعب "السوليتير". عدتُ إلى غرفتي وأنا أرتعـش. خلعـتُ ملابسي واستلقيتُ على السرير، فنمتُ.

عندما استيقظتُ من جديـد، كـان المسـاء قـد حـلَّ. شـعرتُ بقليـل مـن التحسُّن. أصبح الصُّداع مجرَّد ذكرى وتمكَّنْتُ من التَّفكير مرة أخرى.

كيف أبرّئ نفسي من هذا الأمر؟سـوف ألتقـي أمّـي عـاجلًا أمْ آجـلًا، مـا الكذبة التـي يمكننـي اسـتخدامها للخـروج مـن هـذا المـأزق؟ كنـتُ أحتـاج للاتصال بـ"ألي" لأسأله عما حدث، لكن لا يمكنني ذلك إلّا بعد مقابلة أمّي.

تسللتُ إلى الحمّام وغيرتُ ملابسي. كانت رائحتي منفِّرة؛ مريـرة ولاذعـة. مثل رائحة الكراويـة الفاسـدة. مـلأتُ الحـوض واغتسـلتُ بالصـابون جيِّـدًا. فرَّشـتُ أسـناني مـرات عديـدة. ثـم تعطـرتُ بـبعض أعشـاب "الباتشـولي" و خرجتُ من الحمّام.

كانت أمّي تُعِدُّ الطَّعام. جلستُ إلى طاولة المطبخ مثل رجل مُدان، منتظرًا أنْ تبدأ الحديث. لم تتحدَّث، ولم تنظر إليَّ. لم يكن أبي بالمنزل؛ فشعرتُ بالرّاحة. بالنِّسبة لي، كان التعامل مع أمّي الغاضبة أفضل من الاستماع إلى محاضرات أبي. وضعتْ أمّي الأطباق على الطاولة بغضب. حاولتُ أنْ أبدو بريئًا وطبيعيًّا قدْرَ الإمكان. كانت تتوقف من حين لآخر وتتنهَّد، وتأخذ نفسًا عميقًا. أخفضتُ عينيَّ وانتظرتُ. فجأة، التفتَتْ نحوي. صرخَتْ قائلة:

- يجب أنْ تشعر بالخجل!

تمتمتُ:

- أجل!

- أنت في الثالثة عشر من عمرك!

أومأتُ مؤكِّدًا، وكأنَّني أدرك كم يجب أنْ أشعر بالخجل! كنتُ أدرك، لكن ليس بالقدر الكافي. لم أعرف إنْ كانت تشعر بالغضب الشديد لأنَّني أسرفتُ في الشُّرب أمْ لأمر آخر. لم أتمكَّنْ من تذكُّر أيِّ شيء، حاولتُ محاولات بائسة للتذكُّر ولكنَّ كلَّ شيء بدا ضبابيًّا، عدا بعض الضوضاء.

- لا أعرف ماذا يجب أنْ أفعل بك؟! إنك لا تُحتمَل، تتصرَّف بحماقة في وسط المدينة، تُسرِف في الشَّراب، ويُحضرك رجال الشُّرطة إلى المنزل!

أحضرَني رجال الشُّرطة إلى المنزل؟ لمَ؟ هل لأنَّهم عرفوا مَن أكون أمْ لأنَّني فعلتُ شيئًا؟ لم أتذكَّر أيَّ شيء من هذا.

- كيف تفعل هذا بأبيك؟

بقيتُ هادئًا. ها هو الأمر يتضح. هل كانت غاضبة لأنَّ الأمر مُحرِج لأبي؟ ربما، هل يعني هذا أنَّني لم أرتكب خطأً؟ ربما كان الأمر كلُّه يتعلق بأبي. كان عليَّ الاتصال بـ"ألي". نظرتُ إليها متسائلًا.

- ماذا؟

- لماذا تتصرف هكذا؟

لماذا أتصرف هكذا؟ بمَ كنتُ أفكِّر؟ أردتُ فقط تجربة الشُّعور بالثّمالة. ظننتُ أنَّ الأمر سيكون مُسلِّيًا. لم أفكِّر في العواقب. ظننتُ أنَّ كل شيء سيكون على ما يرام. لم أخطِّط لإخفاء الأمر عن أمّي. سارت الأمور على هواها الخاصِّ.

تمتمت:

- لا أعرف!

تنهَّدَتْ أمّي.

- لا أعرف ماذا عليَّ أنْ أفعل بك أيُّها الطفل.

ثم وضعَت الطعام على الطاولة بغضب وركضَتْ إلى غرفة النوم. بقيتُ في مكاني وحيدًا أحدِّق بكُرات اللَّحم. فكَّرْتُ في الاتِّصال بـ"ألي" ولكنَّني لم أجرؤ. لا يجب أنْ تسمع أمّي هذا.

عندما عاد أبي ذلك المساء، دخل مباشرة إلى غرفة التليفزيون دون التحدث إليَّ. تردَّدتُ بين الفرار إلى غرفتي والتحدُّث إليه. لم أعرف كيف يمكن أنْ يتصرف، سيوبِّخني بطريقة مثيرة للملل غالبًا، لكن من الأفضل الانتهاء من الأمر، لذا تبعتُه.

- أنا آسف يا أبي.

لم يتظاهر بالغضب أو الحزن - كما كان يفعل عادة - لكنـه كـان يشـعر بذلك بالفعل. كان حزينًا. كان يشـعر بشـعور مـروِّع. لم يكـن الأمـر يتعلـق فقط بالإحراج أمام زملائه من رجال الشُّرطة. اجتاحني شـعور غريـب. كـان الأمر حقيقيًّا. رغم كونه أمرًا سيِّئًا، فإنَّه في الوقت نفسه كان جيِّدًا نوعًـا مـا. شعرتُ بالسُّوء. كنتُ خجِلًا، وكان هو خائفًا. لكـنْ، في الوقـت ذاتـه شـعرتُ ببعض السَّعادة بذلك التَّواصل الصَّادق مع أبي. لم نكن نلعب. لم يكن يمسك بيدي وينظر إليَّ بنظرات أشـبه بنظـرات البقـرة. لم يكـن هـذا الأمـر يتعلَّـق بفرشة طـلاء أفسـدتُها أو مطفـأة سـجائر رخيصـة كسرتُهـا، أو بعـض الهـراء المتعلق بالوعود. لن يكـون هنـاك عنـاق غـير مـريح، ولا همـس، ولا تمتمـة للتأكيد على عدم تكرار الأمر. كان هذا الأمر يحمل معنًـى. كـان أمـرًا جـادًّا، وحقيقيًّا. وتلك الحقيقة كانت أكبر قيمة من كلِّ الألم الذي صحبها.

كان صامتًا. عاجزًا عن الكلام. لم يوبِّخني. لم أجده منفِّرًا مثلما كنتُ أفعل عادة. انتظرتُ قليلًا ولكن عندما لم يقُـل شـيئًا، قـررتُ الـذّهاب إلى غرفتـي. جلستُ على السَّرير وفكرتُ في الأمر. وكأنَّ ضوءًا جديـدًا قـد أضـاء داخـلي، ضوءًا ملأني بالدفء والراحة. لم يكن أبي يكترث بأمري، لكن مـا فعلتُـه هـذه المرة كان مهّمًا بالنِّسبة له. شعرتُ بالحنين له. ربما كان هذا هو الغرض. ربما يكون الشرب بإفراط نعمة متنكرة، مثل الجنازة. هل نجتمع عـلى نـوع مـن الذِّكريات التـي تـدمر نفسـها؟ مـاذا سـيفعل أبي إنْ مـتُّ؟ كيـف سيشـعر؟ سيتوقَّف عن التَّظاهر بالتأكيد، وسوف يبكي. ستكون هناك دموع حقيقيَّـة. سوف يبكيني ولن يستخدمني ذريعة للبكاء على أمر آخر، مثلما يحـدث في الجنازة.

لم أتمكَّن من الاتصال بـ"ألي" قبل يوم الإثنين.

قال ضاحكًا:

- ها ها ها ها!

- ما الأمر؟

- هل الأمور بخير؟

- أجل، ما الأمر؟

- يا رجل، كنت مجنونًا.

بدا الأمر مشوِّقًا. ماذا فعلت؟ كنت خائفًا ومتشوقًا.

قلتُ متلعثمًا، وإنْ كنتُ أشعر بقليلٍ من الفخر:

- لا أذكر!

- حقًّا؟ ألا تتذكَّر أنَّك ذهبتَ إلى قسم الشُّرطة؟

إلى قسم الشُّرطة؟ ماذا فعلتُ هناك؟ كنتُ دائمًا أتفادى رجال الشُّرطة. كانوا جميعًا أصدقاء أبي بشكل أو بآخر، وربما يكون هو نفسه موجودًا هناك، فقد كان شرطيًّا، ودائمًا يكون خارج المنزل في العمل.

وأضفتُ:

- آخر ما أتذكَّره هو حديقة البرلمان.

- أهذا كلُّ شيء؟ ألا تتذكَّر ما تلا ذلك؟

- كلّا!

لم أُصَب بفقدان الوعي من قبل، لكنَّني كنتُ أعرف ما هو. إنه خطر كبير، مثل إقامة علاقة حميميَّة للمرة الأولى.

عندما تفقد الوعي تصبح أكثر نضجًا.

- لقد كنتَ ثملًا حقًّا يا رجل!

- أجل...

حدث الكثير من المرح في الوقت الذي لا أتذكَّره. كنتُ قد أسرفتُ في الشَّراب. مجرَّد تحريك رأسي كان يُشعرني بالغرابة، كنتُ بين السَّحاب، أضحك بصوتٍ عالٍ، وفقدتُ اتِّزاني. ظللتُ أتعثَّر وأسقط، و"ألي" يساعدني على الوقوف.

- لكنَّك تجاوزتَ حتّى ذلك.

صعقني هذا. ماذا؟ ماذا حدث بالضَّبط؟

- فقط أخبِرني بما حدث؟ ماذا حدث؟

سألني:

- ألا تتذكَّر؟

وكأنه يشك في إمكانيَّة نسياني للأمر.

قلتُ بصوت مبحوح:

- كلّا.

- أصبحتَ ثملًا بشدة، حتّى إنَّني حاولتُ أنْ أساعدك في ركوب الباص، وأصطحبك إلى المنزل، لكنَّك ظللتَ تحاول الهروب مني.

- حقًّا؟

لا أتذكر أيًّا من هذا.

- لكنَّك لم تتمكن من الهرب، لأنَّك ظللتَ تسقط على رأسك. حاولت التحدُّث إليك ولكنَّني لم أفهم كلمة ممّا كنتَ تقول.

سألتُ بحماس:

- ثُمَّ ماذا؟

- ثُمَّ أسرعتَ إلى قسم الشُّرطة، حاولتُ سَحبَك بعيدًا لكنَّني لم أتمكَّن من إيقافك.

سألتُ بِشَكٍّ:

- حقًّا؟

- كما أنَّك تعاطيْتَ المخدِّرات.

- حسنًا، لهذا أوصلوني إلى المنزل؟

صمت "ألي" قليلًا.

- ألا تتذكر أيَّ شيء حقًّا؟

- أجل!

- أنزلتَ بنطالك وتبوَّلْتَ على أرضيَّة قسم الشُّرطة.

وانفجر "ألي" ضاحكًا.

- حينها هربتُ.

أظلم العالم أمام عينَيَّ. هذا أمر مريع! لماذا بحقِّ الجحيم أفعل ذلك؟ ليس هذا من طبعي، عادةً أجد صعوبة في التبوُّل في وجود آخرين. لا أتبوَّل في مكان عام. لكنَّني لم أتبوَّل فقط في مركز المدينة بل في قسم الشُّرطة. أمام مكتب الاستقبال، ورجال الشُّرطة جميعًا. هل كان هناك أطفال آخرون؟ أو فتيات؟



"جوني بوتين"



يزداد الخطر كلَّ يوم

يتحرّك الموت

يجلس فوق قنبلة ذَريَّة

ولا يفوتك.

سوف تحترق "كيفلافيك"، و"جريندافيك"، و"فوجار"

"ريكيافيك"، و"بورلاكشوفن".

أيُّها الآباء والأمَّهات،

سوف يُطهى أبناؤكم.

الأطفال الذين يولدون اليوم،

لديهم أقلّ بكثير للعيش من أجله.

إنْ كنتَ في الثلاثينيّات من عمرك اليوم،

فتذكرتُك زائفة.

ستموتون جميعًا، جميعًا، جميعًا.

سوف تحترقون، سوف يتمُّ طهيكم،

أيُّها الآباء والأمَّهات، سوف يُطهى أبناؤكم.

- **أغنية لفرقة "أوتانجاردسمين"**

تخرَّجتُ، بعد سبعة أعوام في المدرسة (الابتدائيَّة والإعداديَّة). لم أتعلَّم شيئًا. لم أتذكَّر تعلُّمي شيئًا محدَّدًا! اجتهد معظم زملائي في نوعٍ ما من المعرفة، فاتني أنا. لم يكن لديَّ فكرة عمَّن يكون "جونسيجوردسون". لم أكن أعرف أنه بطل حركة الاستقلال. لم أرغب في المعرفة. كان بالنِّسبة إليَّ مجرَّد تمثال في وسط المدينة. وإنْ حكمتُ على الظَّاهر، فهو لا يبدو شخصًا شيِّقًا، فقد كانت قَصَّة شَعرِه سخيفة (خاصَّة من الجانبيْن). كان يشبه السياسيّين المزعجين الذين أراهم في التليفزيون، والذين يحبُّ أبي مشاهدتهم والجدال حولهم.

والرياضيّات كذلك كانت حائطًا سدًّا بالنِّسبة إليَّ. أعرف الجمع والطرح، لا أكثر. لم أستطِع تعلُّم الضَّرب والقسمة. رفضتُ تعلُّم جدول الضَّرب، فلن أحتاج إليه، أبدًا. أعترف أنَّني تعلَّمتُ جدول خمسة ذات مرة، لكنني رفضتُ بعد ذلك أنْ يكون لي علاقة بالضَّرب. تشاجرتُ مع أمّي والمعلِّمين ورفضتُ أنْ أتعلَّمه. أمّا القسمة فكانت غامضة، لم أتمكن من فهمها. ما إنْ أبدأ في التَّفكير حتّى يطغى على عقلي، يصيُبني التشوش تمامًا. لم أفهم مثالًا واحدًا.

في حفل عيد ميلاد "إينار"

لديه نصف كعكة،

"أولي"، و"أسا"، و"جاروار"، و"بياربي" هم ضيوف الحفل،

كيف يقوم "إينـار" بتقطيـع الكعكـة، بحيـث يحصـل كـلُّ شـخص عـلى نصيب متساوٍ؟

لا أعرف. لماذا نصف كعكة فقط؟ أليس هذا غبيًّا؟ هل تريد "أسا" قطعة مساوية للصبية؟ ماذا تفعل في عيد ميلاد صبيٍّ؟! وماذا لو كـان "جـاروار" لا يريد كعكة؟ ليس هناك داعٍ لتعلُّم هذا؟

جادلتُ معلِّمتـي "سـفانهيلدر" كثـيرًا ، حـول أهميَّـة تعلُّـم الرياضـيّات. كانت دائمًا تقول لي:

- لن تحقِّق شيئًا في حياتك إنْ لم تتعلَّم الرياضيات يا "جون"!

لا أهتمُّ على الإطلاق، لا هدف من ذلك! أعرف الكثير من البالغين الذين حقَّقـوا نجاحـات عديـدة دون إجـادة الرِّياضـيّات. لم يحـتَجْ أبي للرِّياضـيّات ليصبح شرطيًّا. ولم تحتجْه أمّي للطهي في مستشفى المدينة.

- ماذا ستفعل إنْ أردتَ معرفة ناتج عمليَّة حسابيَّة؟

- سأسأل أحدَهم.

- ماذا لو لم يكن هناك أحدٌ لتسأله؟

- إذًا سأتصل بأحدهم لأسأله.

- ماذا لو لم يكن هناك تليفون؟

- في المستقبل، سوف يحمل كلُّ شخص التليفون الخاصَّ به.

- لن يحدث هذا أبدًا!

كنتُ أوقن أنه سيكون هناك شخص ليسدي إليَّ النَّصيحة. لم أكن أرغب في القلق. ما أريد فعله في الحياة لا يحتاج إلى الرِّياضيّات. الرِّياضيّاتُ تشبه صيد سمك السالمون بيديْك العاريتيْن. كنتُ أذهب أحيانًا إلى "إليوارفوجور" وأحاول الإمساك بالسالمون من تحت الصَّخر. مهما حاولتُ الإسراع للإمساك بها، دائمًا ما تفلت من قبضتي. يسري الأمر نفسه على الرِّياضيّات. لماذا ليس لي اختيار في تعلُّم الرِّياضيّات؟ لم يتعلم "إينار" ركوب العجَل قَط؛ لأنه لم يرغب في ذلك، ولم يهتمّ أحد، ولم يوبخه أحد بشأن أهميَّة تعلُّم ركوب العجَل.

- عليك تعلُّم ركوب العجَل يا "إينار".

- لكنَّني لا أريد ذلك.

- لكنك لن تحقِّق شيئًا في هذه الحياة من دون العجَل يا "إينار". ماذا لو وجدتَ نفسك في مواجهة خطر كبير، وعليك الهرب بسرعة البرق؟!

- سوف أركض إذًا.

- لكن لا يمكنك الركض بالسُّرعة نفسها للهرب بالعجَلة.

قرَّر "إينار" ببساطة أنَّه لن يركب العجَل في المستقبل. لم يرغب بذلك. ولم أرغب بتعلُّم الرِّياضيات. انتهى الأمرُ! لا يمكن لأحد إجباري على التعلُّم. حتّى أمّي. كانت الرّياضيّات شديدة الصُّعوبة وبلا هدف أو غرض في الوقت نفسه. كما أدركتُ بالتجربة أنها تزداد صعوبة سنة تلو الأخرى إذا تعلمتُها. بدأت بتعلُّم الجمع، كان هذا سهلًا، فور أنْ تعلَّمتُ ذلك بدأتُ في تعلُّم الطرح. كان أكثر تعقيدًا ومشوّشًا. مثلًا، واجهتُ صعوبة في طرح رقم كبير من رقم أصغر، مثل تسعة من سبعة. ماذا عن طرح سبعة

وعشرين من تسعة وعشرين؟! اجتهدتُ من أجل تعلُّم ذلـك. كلَّفنـي الأمـر جهدًا كبيرًا. تأخرتُ عن زملائي كثيرًا، وحين بدأتُ أجيد الطرح، بدأنا في تعلـُّم الضرب. ثـم الـكسر، والقسـمة، وحسـاب المسـاحة. أدركـتُ أنَّهـا مـؤامرة!. يحاولون خداعي حتّى أصبح شخصًا آخـر، يقومـون بـإغرائي لأقـوم بـأمور لا أرغب في القيام بها، ويزيلون كلَّ ما أُحبُّ، يحاولون تغييري، ولا يمكن لأحـد غيري منعهم.

أشـعلتُ النـار في التَّقريـر المـدرسيِّ الخـاصِّ بي، في المدرسـة، فلـم يكـن يقيِّمني، بل يقيِّم شخصًا آخر. كان تقييمًا للشَّـخص الـذي يريـدون تحـويلي إليه، وتأكيدًا عـلى أنَّ الأمـر لم يـنجح. لم يكـن بـه شيء إيجـابيٌّ: فقـط أنَّنـي أتحدَّث وأزعج الآخرين. حصلتُ على "مقبول" في معظم الموادِّ، و"غير مُرضٍ" في الرِّياضيّات. حصلتُ على "جيّد" في الإنجليزيَّة لكنَّني كنتُ الأفضل فيه بين طلاب الفصل. كان بإمكاني القراءة بالإنجليزيَّة. لم أكن جيِّدًا في الكتابة فقط، لكن كان هذا الأمر الوحيد الذي يختبروننا فيه. كيف تكون الكتابة أهمَّ من التحـدُّث؟ لا أعلـم. لا يُعـبِّر هـذا التَّقريـر عنّـي. لا يعرفـونني. لم يرغبـوا في معرفتي. لم يروني أبدًا، أو لم يفعلوا ذلك بشكل صحيح على الأقلّ.

أحرقتُ كتبي المدرسيَّة كذلك. قمتُ بتقطيعها إلى أجزاء وألقيتُ بهـا في النّار. فرحت برؤية الكتب وهي تحترق. تلذَّذتُ لأنَّني لن أجلـس وأحـدِّق في تلك الكتب التي تثير رغبتـي في النَّـوم مـرَّة أخـرى. بصـقتُ عـلى كتـاب القواعد اللغويَّة الدنماركيَّة قبل أنْ ألقيه في النّار. كتلة من القذراة المقـزِّزة، وكذلك الصبية الدنماركيون، حفنة من البلداء المـزعجين، يرتـدون البناطيـل

الفضفاضة والقباقيب. كنتُ أعرف كلَّ ما أحتاجه من اللغة الدنماركيَّة، تعلمتُها من قراءة ميكي بالدنماركيَّة. كان هذا كلُّ ما أحتاجه منها.

احترقتْ حقيبتي كذلك، لذا لن أحتفظ بها تذكارًا. اجتمع بعض الأطفال حول النيران يضحكون. لكنَّني لم أكترث. لم أكن أعرف منهم أحدًا ولم أرغب في ذلك. لم أرغب في معرفة أيٍّ شخص من المدرسة. حتّى أصدقائي القدامى. ليس بيننا أمور مشترَكة. لن أذهب إلى حيث يذهبون. كانوا يرونني طيرًا مختلفًا يستحقُّ الشَّفقة. لكنَّهم لن يذهبون إلى الوجهة التي أقصدها. عندما رأيتُ "كاري" مدير المدرسة، مسرعًا نحوي، ركضتُ وصعدتُ سُلَّم المدرسة، وصحتُ:

لا نحتاج إلى التعليم

لا نحتاج إلى تقييد الفكر

لا سخرية سوداء في الفصول

أيُّها المعلِّمون، فلتتركوا الأطفال وشأنهم

كان المدير بالأسفل يدوس على النّار.

مرحبًا! أيُّها المعلِّمون، فلتتركوا الأطفال وشأنهم

كذلك رسب "دوري" السَّمين في جميع المواد. لكن هذا لم يهمّ! كان قد انتقل إلى المنطقة حديثًا. ووالداه منفصلان. بدأت أمُّه علاقة مع شخص جديد وسافرتْ معه. كان"دوري" يعيش مع والده المتغيّب دائمًا، كان

الأب لا يكترث لأمره. كان وحيدًا في منزله عادة، إلّا حين تأتي الجـدَّة للزيـارة وتطهو له. لكنه كان يتعرَّض للمضايقات بسبب زيـادة وزنـه. وأُطلِـق عليـه لقـب "الأزرق الصـغير"، بعـد إذاعـة "الفيـل الأزرق" عـلى قنـاة الأطفـال بـالتليفزيون. كنـتُ صـديقه الوحيـد في المدرسـة، كنّـا صـديقيْن لأنَّنـا كنّـا منبوذيْن. نقضي الوقت معًا بعد المدرسة، ويجد كلٌّ منـا السُّـلوان في الآخـر، ويدعم كل منا مشـاعر الآخـر المعاديـة للمجتمـع: الجميـع حمقـى، النّـاس أشرار، المدرسة لعينة. ولمّا لم يكن للتعلـيم قيمـة، فقـد كنّـا نقـوم بالمقالـب التليفونيَّة بدلًا من الدِّراسة. نتَّصل بكبار السِّنِّ ونتحدَّث إلـيهم بالإنجليزيَّـة. كان "دوري" ذكيًّا. فقد قطع سلك التليفون وربطه بالكاسيت حتّـى نـتمكَّن من تسجيل مكالمتنا. كنتُ أسرد كلامًا بلا معنـى بسرعـة لأقولـه للنّـاس، لـذا توليتُ مهمة التحدُّث. بعدها نستمع إلى الشَّرائط ونضحك على الهراء الـذي قلناه. ففي مرة - على سبيل المثال - اتصلتُ وردَّت تلك السَّيدة العجوز.

- مرحبًا، اسمي "جوني روتن" وأنـا عـازف موسـيقى "بانـك روكـر"، هـل تستمعين إلى "سيكس بيستولس"؟

- لا أفهـم مـا تقـول، سـأطلب مـن ابنـي التحـدُّث إليـك، فهـو يجيـد الإنجليزيَّة.

(ساد الصمت لحظات)

- هناك رجل إنجليزيٌّ على التليفون، أتودُّ التحدُّث إليه!

أتى الشاب ليتحدَّث في التليفون.

- مرحبًا.

توقفتُ عن التحدُّث بالإنجليزيَّة فورًا، وقلتُ بالأيسلندية:

- أهلًا. صباح الخير! هل "هالدور" هنا؟

فأجابني بالإنجليزية:

- كلا، لا يوجد هنا شخص يدعى "هالدور".

وبدأنا نضحك أنا و"دوري".

بعدما أحرقتُ أشيائي، سِرتُ إلى المنزل شاعرًا بـالنَّصر. دخلـتُ غرفتـي. لم يكن هناك أحد بالمنزل. كان أبي وأمّي بالعمل. حصلـتُ عـلى جهـاز تشـغيل أسطوانات قديم من الطّالب "أولي"، شغَّلتُ شريط "أوتانجاروسـمين"، فرقـة "البانك" الأيسلنديَّة، وألقيـتُ بـنفسي عـلى سريـري. كـان لـديَّ العديـد مـن الألبومات، مثل: "بولار بـير بلـوز"، و"راديوأكتيـف"، كـما كسرتُ الكثـير مـن الألبومات مثل: "جـريس" و"الوصـول" لفرقـة "أبـا". إنَّ موسـيقى الدّيسـكو مجرَّد هراء. هؤلاء الذين لا عقلَ لهم يستمعون إلى "جريس". أمّا "أبا" فهـي لربّات البيوت كبيرات السِّنِّ. تحبُّ أمّي الاسـتماع إلـيهم. كـما كانـت تحـب "مييتلوف". كانت الأغنيات المصوَّرة تُعرض أحيانًا عـلى التليفزيـون، وعنـدما يغني "مييتلوف" أشعر كأنَّها تغوي أمّي. كانت تقول:

- إنه مُنفِّر، لكنَّه يغني جيِّدًا.

كلُّ من له عقل سيستمع إلى "بـوبي مـورثنس"، كـان عظـيمًا. لم أكـن أملك ثقافة موسيقيَّة جيِّدة، أعرف أمورًا أقلَّ بكثير ممّا يعرفـه الآخـرون. كنتُ أستمع بشكل أساسيٍّ إلى الكلمات، فبعد الاستماع لأغنيـة مـا، أقـرأ الكلمات، كنتُ عادةً ما أهتمُّ بالكلمات أكثر من الموسيقى. لم يكن الأمـر سهلًا، فكثيرًا ما تكون الأغنيات بالإنجليزيَّة. لم أفهم جميع الكلمات لكنَّنـي كنتُ أحرص على تعلُّمها. أذهـب أحيانًـا إلى "أولي" الـذي يريـد أنْ يسـمع

الألبومات. كان يملك ألبومات "بانك" مثل "سيكس بيستولس"، و"شام 69". كما كان لديه سمّاعات أذُن، ممّا يمكّنك من رفع الصوت دون أنْ يسمع أحد ممَّن بالمنزل. كانت "سيكس بيستولس" فرقة "البانك" الرئيسة. رأيتُ صورهم في الجرائد. كان المُغني الرئيسي يُدعى "جوني روتن"، وله شَعر أحمر مثلي. لم يكن يحاول اتِّباع الموضة، بقدْر ما كان مثيرًا للاشمئزاز. ملابسه مُقطَّعة، ويعبس دومًا أمام الكاميرات. وعندما يقف، يقف كما يفعل الخاسرون. كان هذا مذهلًا، كنتُ أقلِّده أحيانًا في مرآة الحمّام. شعرتُ بشبه بيننا، ربَّما كان مثلي في عمر الثالثة عشر. ربَّما كان يشعر أنه لا يشبه الآخرين، ولا يشعر بالانتماء. من المؤكد أنَّه لم يكن نبيهًا في المدرسة، كنتُ أثق بشكل شبه كامل أنَّه لا يعرف جدول الضَّرب. كانت "فوضى في المملكة المتحدة" هي الأغنية الأشهر لـ"سيكس بيستولس". لم أفهم المقصود من الكلمات جيِّدًا.

أنا فوضوي

أنا فوضوي

لم أكن أعرف الكثير عن الفوضويَّة. كنتُ أعرف كلمة "فوضى" بالأيسلنديَّة، لكنَّني لم أستوعب معناها. المسيح الدجّال هو الشَّيطان. كنتُ أعرف أنَّ المملكة المتَّحدة هي إنجلترا لكنَّني لم أفهم السبب. لكنَّها كانت أغنية جيِّدة. كان "جوني روتن" يصرخ فيها، ويضحك كذلك. يثير هذا فيك شعورًا جيِّدًا. كان الفارق الرئيس الوحيد بيني وبين "جوني روتن" هو أنني أضع النَّظّارات. لم يكن هذا "على الموضة". المتفوقون فقط هم

مَن يضعون النَّظّارات. أمّا المتمردون فلا يضعونها عادة. لم تُتَح لي الفرصة حتّى لاختيار النَّظّارة. رأيتُ صورة لـ"جوني روتن" وهو يضع نظّارة شمس صغيرة. نظّارات الشَّمس على الموضة. أريد نظّارات شمسيَّة مستديرة، لكنَّ طبيبي يقول إنني مصاب بقِصر نظر شديد، فلا يمكنني وضع النظارات الصغيرة، وعليَّ وضع نظارة كبيرة، ومربَّعة. كان هذا سخيفًا، لكنَّ النظّارة أعجبَت أمّي فاشترتْها. أفضِّل وضع نظّارة مستديرة وأكبر مثل "جون لينون". رغم أنَّني لم أجد "جون لينون" مثيرًا للإعجاب بما يكفي! كان "هيبي". لكنه يضع نظّارات أفضل من تلك التي أضعها. كنتُ أخلعها أحيانًا وأضعها في جيبي، حين أذهب إلى المدينة، وأحاول أنْ أبدو مثيرًا للاهتمام، لكنَّني كنتُ أعجز عن الرؤية، وينتهى بي الحال في عالَم ضبابيٍّ. لكنَّني - على الأقلِّ - لم أبدُ سخيفًا.

ذات مرة، ذهبتُ إلى "أولي ذا ستاد" فشغَّل لي أغنية واستخدمْتُ سمّاعات الأذُن. عندما بدأَت الأغنية، شعرتُ كأنَّها كانت تشغَل بقعة خفيَّة بداخلي منذ الأزل، شعرتُ بتناغم قويٍّ بين روحي وبينها. شعرتُ كأنَّها أغنيتي بشكل ما. كأنَّها كُتبَت عنّي، ومن أجلي. ملأتْني بمشاعر غير مستقرّة؛ أردتُ البكاء والصراخ خلال الاستماع إليها، لكنَّني لم أفعل، استلقيتُ هناك أستمع بعينيْن مغلقتين، أكرِّر الاستماع إليها مرة تلو الأخرى. استلقيتُ على الأرض في غرفته لساعاتٍ أستمع إلى هذه الأغنية مرات متتالية. دخل "أولي" ثم خرج وتركَني وحدي. لم نقُل شيئًا. في النهاية ربت على كتفي وقال إنَّ أمّي قد اتصلَتْ، وعليَّ أنْ أعود إلى المنزل لتناول العشاء.

كان اسم الفرقة "ذا كلاش". واسم الأغنية "سارق البنك"، لم يعُد هناك مجال للعودة بعدها. أصابتْني موسيقى التمرُّد بالعدوى. لن أستمع إلى شيء آخر، لم أكن أرغب إلّا في المزيد منها.

سألتْني أمي، ونحن نجلس إلى طاولة العشاء:

- هل تسلَّمتَ بيان درجاتك؟

كذبتُ قائلًا:

- كلا!

سألتْني بشك:

- لمَ لا؟

كنتُ قد أعددْتُ ردًّا:

- لم تكن جاهزة. أظنُّهم سيرسلونها إلى المنزل.

تفحصتْني، فنظرتُ إليها متسائلًا، محاولًا التظاهر بالبراءة قدْرَ الإمكان.

- انظُر إليَّ.

- ما الأمر؟

- هل تكذب؟

نظرتُ إلى طبقي.

- لا، لا أكذب.

- ماذا فعلتَ ببيان درجاتك؟

- لا شيء.

- سأتحدَّث إلى معلِّمتِك.

- كما تشائين.

تظاهرتُ أنَّ كلَّ شيء طبيعـيٌّ، كـأنَّني لا أخفـي شـيئًا، لم أكـن أرغـب في مناقشة الأمر، كلُّ ما أردتُه منهم هو تركي لشأني فقط.، لم أرغب في الحديث عن المدرسة. أردتُ التحدث عن التمرُّد. رغبتُ في سؤال أمّي عن الفوضـويَّة والمسيح الدجّال ومعناها الحقيقيِّ. لكنَّني كنتُ أعـرف أنَّهـا لا تعـرف شـيئًا عن ذلك. ولم أرغب في تلقّي توبيخ بشأن أمور تافهة.

- لماذا تتصرَّف بهذا الشَّكل السيِّئ؟

- لا أعرف.

- إلامَ تطمح؟ ما هدفك في الحياة؟

- لا أعرف.

- إذًا، فماذا تعرف؟

- لا أعرف.. لا شيء!

- توقَّف عن الكسل يا "جون"! يمكنك أنْ تصبح شـيئًا مهـمًا إنْ حاولـت. ما هي خططك؟

- ليس هناك شيء محدَّد.

- هل تعتقد أنَّك ستلتحق بالجامعة إنْ بقيتَ على هذا المستوى؟

- لن ألتحق بالجامعة.

- ماذا ستفعل إذًا؟ لا يمكنك البقاء بالمنزل طوال الوقت.

- بالطبع لا، سوف أعمل.

تنهَّدَتْ أمّي.

- لا أعرف كيف أتعامل معك.

فقدتْ أمّي الأمل منذ وقت طويل. أصبحَت مُرهَقة، لقـد أنهكتُهـا حتّـى كدتُ أتسبَّب في موتها. كانت على مشارف السِّتّين، وأبي في الثالثـة والسـتين،

إنَّه رجل عجوز. إنهما لا يعرفان الفرق بين ما هـو شيِّق وما هـو مملٌّ. لا يعرفان شيئًا عن التمرُّد. لا يعلـمان شـيئًا عـمّا يجـري، ولا يمكنني التحـدُّث إليهما. توقَّفْتُ عن التحدُّث إلى أبي بالفعل، أتجنَّبـه قـدْرَ المسـتطاع. عنـدما يحاول التحدُّث إليَّ، أتظاهر أنَّني لم أسمعه وأذهب إلى غرفتي. أصبح الأمـر غريبًا ومزعجًا لي. توقفتُ عن طلب المال منه. لم أعُد أتحمَّل تعبيرات وجهه، الاتهامات في عينيْه، والأنين في صوته.

- مالًا؟ ألم أعطك مالًا الأسبوع الماضي؟!

أردتُ الصراخ فيه ليغلق فمه الغبيَّ. أردتُ إخباره أنَّني أراه رجـلًا غريبًـا مزعجًا. لكن قبل أنْ أتمكَّن من ذلك، كانـت نظراتـه تقتلنـي. دائمًـا أجرحـه. يجبرني على التعهُّد بأمور لا يمكننـي تحقيقهـا. يجـبرني أحيانًـا عـلى وعـود لا أفهمها. مثل الاجتهاد، أو مراقبة الجراج. ماذا يعنـي؟ "لا تحـوّل نظـرك عـن الجراج"؟ احـرص عـلى ألا يضرب الأولاد في الشـارع بـاب الجـراج بـالكرة! لا يمكنني الرفض أو إخباره أنَّ هذا غباء، لأنَّ هذا سوف يجرحـه، لـذا وافقـتُ. ولكن مَن يظنني حقًّا مغفلًا أذهب إلى مجموعة من الصِّـبية لأطلـب مـنهم بلطف عدم ركل الكرة في باب الجـراج الخـاص بوالـدي، لأنَّ رؤيـة علامـات الكرة على الباب تضايقه؟ مغفل! لستُ مِلكًا لـه. لسـتُ خائفًـا منـه أو مـن وعوده الغبيَّة. أتجنَّب التحـدُّث إليـه، وأسرق المـال مـن محفظتـه عنـدما لا يكون منتبهًا. أعبث بجيوب ملابسه وأسرق العملات الفكَّة. لن يلاحظ أبـدًا. أمّا أمّي فستعرف فورًا لـو سرقـتُ منهـا المـال. أحيانًـا لا يكـون لـديها مـال، فتحتاج أنْ تطلبه من أبي لشراء الطَّعام، والملابس، وتلك الأشياء. وفي كلّ مرَّة يعاملها أبي كما يعاملني حين أطلب منه المال.

- بطاطس؟ ألم نشترِ بطاطس الأسبوع الماضي؟

تنزعج أمّي حين تضطرُّ إلى طلب المال من أبي.

- لقد نفدت البطاطس!

- نفدت؟ مَن استهلكها؟

- آه يا "كريستن"، لا يمكنني تحمُّل كلَّ هذا الضَّغط.

ثـم يتنهَّـد أبي، يبحـث في جيبـه ويُخـرِج بعـض المـال، بنظـرة مسـكينة. أصبحَتْ أمّي تُزعِج أبي.

أشتري الحلوى، وصور لاعبي كرة القدم بالمال الذي أسرقه منه، حتّـى إنْ كان لديَّ ما يكفي، أذهب إلى السّينما. أركب الباص إلى وسـط المدينـة، وإنْ سألتني أمّي أقول إنَّني ذاهب إلى مباراة كرة قدم أو لزيارة بعـض زمـلائي في المدرسة. إنْ قلت لها إنَّني ذاهب إلى السّينما فستسـألني مـن أيـن حصلـتُ على المال، لم تعُد تكشف كذبي، أصبحتُ جيِّدًا في هـذا. أو لعلَّهـا ملَّـتْ مـن الأمر.

توقَّفْتُ بالتدريج عن شراء صور لاعبي كرة القدم. لم أكن أحـبُّ كـرة القـدم. بدأتُ أشتري كروت صور فـرق "البانـك" الموسـيقيَّة بـدلًا عـن ذلـك، البانـك هـو التمرُّد. لم أكن أعرف معظم أصحاب الصور، عكس صور كرة القدم. لكنَّها خطـوة إلى الأمام. كنتُ أرغب في معرفة كلِّ ما يمكننـي عـن فـرق موسـيقى "البانـك". لم تكن بعض الشَّخصيات في الصُّور تبـدو كموسـيقيّي "البانـك" الحقيقيّـين، فمـثلًا؛ حصلتُ على الكثير من الكروت التي تحمل دكتور "فييل جوود"، و"أشعُر بشعور جيِّد" ممّا يعني أنَّه راضٍ! ليس هذا "بانك"، فالتمرُّد هو الغضب والضّيق، وعـدم التأقلم مع الفشلة. لا يؤمن "البانك" المتمـرِّدون بالمسـتقبل، لا وجـود للمسـتقبل عنـدهم، بـل مجـرَّد انحـدار مسـتمرّ. لا جـدوى مـن المحاولـة لأنَّ كـلَّ شيء

سوف يذهب إلى الجحيم. سوف تبدأ الحرب النَّوويَّة في أيِّ لحظة. كـلُّ مَـن لا يرتدي ملابس ممزَّقة ليس "بانك" حقيقيًّا في رأيي. مجـرَّد العـزف بصـوت مرتفع لا يكفي لتصبح "بانك". لكنَّ الأهـم أنَّ "البانـك" لا يرتـدون رابطـات العنق. لم يكن لـ"البرتس" حتّى ياقة للتيشيرت، فهم يمزقونها. لم يكن "دافيـد باوي" "بانك"، وكذلك "مـادنس" و"إيـان دوري"، لكـنَّ صـورهم كانـت عـلى كروت "البانك"؛ كأنَّ صُنّاع تلك الكروت لم يكن لـديهم فكـرة حقيقيَّـة عـما يكون "البانك". كنتُ أتخلَّص من تلـك الصُّـور فـورًا. وكـذلك "تنبـول تـودر" و"آدم أنت". لم يكونـا "بانـك"، وإنْ كـان معظـم النـاس يعتقـدون ذلـك. لم أتخيَّـل أنْ يصـبح "جـوني روتـن" صـديقًا لــ"آدم أنـت". "آدم أنـت" يرتـدي ملابس سخيفة. بعض الفرق الموسيقيَّة كانـت لا تـزال في منطقـة رماديَّـة. لم أكن أعرف إن كانوا "بانك" أم لا. مثل: "ذا جام"، و"ذا بـوليس" و"بلونـدي". كنتُ قد احتفظتُ بصورهم حتّى أتأكد.

غالبًا ما تُقضى أول أيام إجازة الصيف في الاسـترخاء. أمكـثُ في غرفتـي للقراءة والاستماع إلى الأغاني. كنتُ أقرأ كلمات الأغنيات وفي يدي قاموس إنجليزي - أيسلندي، أبحـث عـن الكلـمات التـي لا أعرفهـا وأضـع تحتهـا خطًّا. أخذتُ صورة لـ"جوني روتـن" مـن كـروت "البانـك" وألصـقتُها عـلى الحائط. أمسكتُ جائزة أحسـن أداء حصـلتُ عليهـا في اجـتماع الكشّـافة الدوليِّ وخربشتُ على ظهره بقلم أسود كبير. كانت الجائزة مصنوعة مـن الجِلد. كتبتُ "جوني بوتن" بحروف كبـيرة، ثـم وضـعتُ حـرف "أ" داخـل دائرة. نلتُ كفايتي من الكشّافة. كنتُ في كشّـافة المغـامرين. ظللـتُ بهـا لمدة عام. تعلَّمنا صُنع العُقدة، وقرأ علينا كتاب "بـادن بـاول"، "الكشّـافة للأولاد"، وحفَّظَنا العديد من القواعد. لكنَّنـي لم أتعلَّـم العقـدة جيِّـدًا، لم

أتمكَّن من عَقد واحدة. غششتُ في امتحان العقد باصطحابي حبلًا مُعدًّا مسبقًا في جيبي. العقدة الوحيدة التي أعقدُها جيِّدًا هي عقدة الشَّنق. ثم بدأ قائدنا في التَّدخين، وبدأنا نحن في اللَّهو. تغيرَت اجتماعات الكشّافة تدريجيًّا. قلَّ اهتمامنا بـ"بادن باول" حتّى زال كليَّةً، وبدلًا من قراءة "دليل الكشافة للصبية" بدأْنا نتفحَّص المجلات الإباحيَّة التي يُحضِرها الصِّبية الأكبر سنًّا. تحوَّل قائد المنطقة إلى مُهرِّب وصانع نبيذ. أخيرًا، حُلَّ فريق الكشّافة. أصبحَت الاجتماعات مناسبات للتَّدخين وتفحُّص المجلات والتحدُّث عن العلاقات الحميميَّة. لم أكن أمانع في التحدُّث والتَّدخين، خاصَّة حين أتمكَّن من أخذ سيجارة ورشفة نبيذ من الصِّبية الأكبر. كما كنتُ مهتمًّا بتصفح المجلّات بلا شَكٍّ، لكنَّني لم أحبِّذ ممارسة العادة السِّريَّة، فعندما يبدؤون في إخراج أعضائهم، أحاول الاختفاء بعيدًا. يوجد شيء محرِج بشكل خاصٍّ في التحدُّث مع شخص خلال ممارسته ذلك في الوقت ذاته، وبالأخصِّ وهو يرتدي زيَّ الكشّافة.

تركتُ الكشّافة، كان "بادن باول" واقفًا في الممر عاقدًا ذراعيْه، ناظرًا إليَّ بحزم:

- ما خطبُك يا فتى؟ ألستَ رجلًا؟

كنتُ أذهب أحيانًا إلى "دوري" السَّمين وأقضي الوقت في منزله، أو إلى "أولي" الطالب، للاستماع إلى الأغاني. أحيانًا يأتي "كريستان يور" ونلعب "ريسك". كان "كريستان يور" جزءًا من ماضي أحاول التخلُّصَ منه. لم يعرف شيئًا عن البانك ولم يكن مهتمًّا، لكنه كان يحاول تقليدي. كان يحاول الحفاظ على صداقتنا بينما أهملها أنا. كنتُ أشعر بالملل معه. كان

مغفلًا، وكنتُ أحاول أنْ أكون متمرِّدًا وقويًّا. تجنَّبتُه واختلقتُ أعذارًا لا تنتهي كي لا ألعب معه، أو كنتُ أتظاهر بالتَّعب أو الارتباط بزيارةٍ ما لا يمكنه مرافقتي فيها. كما كنتُ أحب البقاء وحدي، حين لا يراني أحد وأنا أخرج "أكشن مان"، الذي كنتُ أخبئه تحت كومة من الملابس في الدولاب، وألعب به. كما كنتُ أقضي بعض الوقت في المكتبة، أنهيتُ قراءة جميع الكتب في قسم الأطفال وقسم المراهقين، بما فيها كتب الفتيات، "ألستير ماكلين"، و"ديسموند باجلي"، و"سفين هاسل"، وجميع كتب البالغين التي بدَت شيقة. قرأتُ "ميلودي ميكر" بنهمٍ وتشرَّبْتُ كلَّ ما يمكن عن "البانك". بحثتُ عن الفِرَق التي أجدها على كروت "البانك" والتي كانت تبدو بانك حقيقيًّا بالنِّسبة لي. ولأنَّ العاملين هناك كانوا يعرفونني جيِّدًا بعد سنواتٍ من التردُّد على المكتبة، كانوا يسمحون لي بقصِّ الصُّور والمقالات من المجلّات القديمة. لكنَّني كنتُ أحتاج لمزيد من المعلومات عن الفوضويَّة. قرأتُ سيرة "بيتر كروبوتكن". وجدتُها مستفزَّة! تحدَّث الكتاب كثيرًا عن حياته لكنه لم يُلقِ الضوء حقًّا على الفوضويَّة. أمّا الكتب الأخرى عن الموضوع فكانت كتبًا أكاديميَّة ضخمة، بالإنجليزيَّة، لم أتمكَّن حتّى من نطق أسمائها. استعرتُ كتاب "الفوضويَّة: من النظريَّة إلى التَّطبيق" وانهمكتُ في قراءته بالمنزل. لم يكن مستوايَ في الإنجليزيَّة حتّى هذا الوقت يسمح لي سوى بقراءة كلمات الأغاني، والجرائد، والمقابلات الفنيَّة. عندما واجهتُ كتابًا أكاديميًا، صُدِمتُ. لم أقرأ كتابًا بالإنجليزيَّة من قبل، خاصَّة بهذا التعقيد. ورغم أنَّني فهمتُ بعض الجُمل لكنَّني لم أفهم المغزى.

تصفحتُه باحثًا عن الشِّعارات المألوفة، مثل: "اللَّعنة على النِّظام" لكنَّني لم أجد شيئًا. فصلًا تلو الآخر، كان كلُّ شيء عن بعض العمّال في

"إسبانيا" من مئات السِّنين، وبعض الحروب. ألقيتُ الكتاب بعرض الغرفة مُحبَطًا. يا له من أمر سخيف! لا يمكن أنْ يكون هذا ما شغل اهتمام "جوني روتن"!

كان نومي في الأغلب سيئًا، حيث أستلقى فوق السَّرير حتّى وقت متأخِّر من الليل. أقرأ أو ألعب "ريسك" وحدي حتّى الصَّباح. حينها فقط أتمكَّن من النَّوم. لكنَّني لم أنم كثيرًا، كان هناك الكثير لفِعله، أو لتعلُّمه. أكون مرهقًا خلال اليوم، وفور استلقائي على السَّرير ليلًا أبدأ في التفكير. كأن عقلي لا يرى فائدةً من النوم. أغرقني في أمواج من الفكر أعجز عن التعامل معها. كان عقلي يُنتِج أفكارًا جديدة، وأسئلة، خارجة عن السيطرة، باستمرار. شعرتُ مثل شخص يقف عند تقاطُع ما يشاهد السَّيارات وهي تمرُّ بكثافة، دون تدخُّل. مهما تقلَّبْتُ وحاولتُ التخلص من تلك الأفكار وإخلاء ذهني، كنتُ أفشل. تمكَّن مني عقلي. حاولتُ التفكير في شيء محدَّد، طفولتي مثلًا، وبنيتُ مدينة خياليَّة في ذهني، ورسمتُ شبكة الطُّرق، وجهَّزتُ منزلًا كاملًا. هكذا كنتُ أخدع عقلي حتّى لا يخرج عن السَّيطرة. عندما أعجز عن النوم كنتُ أتخيَّل نفسي في تلك المدينة. كان بها كلُّ أنواع المخاطر: حيوانات مفترسة، وروبوت، وأسلحة أوتوماتيكيَّة بجهاز استشعار، تُطلِق الرّصاص بمجرد اقتراب العدوِّ منها. عندما أتمكَّن من التّيه داخل تلك المدينة، كان عقلي يعجز عن شغلي بالأفكار الأخرى، وأتمكَّن في النهاية من النَّوم. لكن لم يعُد الأمر مُجدِيًا، لقد تمكَّن منّي عقلي وأصبح له السَّيطرة الكاملة.

عندما يعمُّ الهدوء في المساء، يبدأ عقلي إطلاق الألعاب الناريَّة، ويختلط به كلُّ شيء مثل السيرك. أسئلة لا تنتهي، بلا إجابة. ما هي الفوضى؟ ماذا

سيحدث في المستقبل؟ هل توجد حياة على كواكب أخرى؟ هل هنـاك إلـه؟ بعض الأفكار تدور في دوائر مفرغـة، فتثـير أفكـارًا وأسـئلة جديـدة. بعضـها ينفجـر بصـوت قـويٍّ، مثـل صـواريخ الفضـاء، ثـم يختفـي. والـبعض مثـل السَّيارات أو الطّائرات، يأتي مسرعًا، ثم يبتعد، ثم يعـود مـرة أخـرى بالخفَّـة نفسها. كأنَّ كرنفالًا كاملًا يُقـام في ذهنـي كـلَّ ليلـة. داداداراراداارا. أحيانًـا أصل إلى لحظة كشف. حيث أجد إجابة فجأة لسـؤال راودني كثـيرًا وحـيَّرني. أسرع لأكتبها في ورقة لكن بعـد الاسـتيقاظ لا أفهـم مـا كتبـتُ! لا أعـرف لمَ كتبتُ هذا. أو ما هو الموضوع المتعلِّق به. وضعَني ذلك في حيرة أكبر... ماذا أفعل في مثل هذا الموقف؟! كان عقلي مثل مطـار مـزدحم، تُقلـع الطـائرات منه وتهبط فيه طوال الوقت، وتختفي في الأفق، ثـم تـأتي طـائرات جديـدة، والعاملون منهمكون في مهمات متتالية، وكلُّ شيء يتحرَّك بشكل مسـتمرٍّ. لا توجد راحة، على الجميع القيام بشيء ما طوال الوقـت. المطـار في ذهنـي لا يُغلَق ولا يهدأ، حتّى لو هدأ كلُّ شيء آخر. هل الناس أشرار أمْ أخيار؟ كيـف تقول "أعـرج" بالإنجليزيَّـة؟ هـل سيصـبح لـديَّ صـديقة يومًـا مـا؟ هـل أنـا مجنون؟ هل سـيتمُّ وضـعي في مصـحة نفسـيَّة مثـل قريبـي "كيـدي"؟ كـان مستيقظًا يومًا تلو يوم، يقوم بأفعال بلا معنى، وعندما فقـد السَّـيطرة عـلى نفسه في النهاية، تمَّ إرساله إلى المصحَّة. لكنَّه لم يعُد يتحمَّل الأمر، فتسلَّل في منتصف إحدى الليالي، وبدأ يسبح في البحر، فغرق ومات.

كان المستقبل أمامي أشبه بكهف مظلِم. مليء بالمخـاطر. كنـتُ أخشـاه، دون معرفة ما الذي أخشاه بالتحديد؟ كنتُ أخشى المجهـول، أخشى أنَّ هـذا العالم لا يناسبني، أخشى الوحدة، أنْ يتركنـي الجميـع، ألّا يفهمنـي أحـد وألّا

يحبني أحد. هل سأظل دائمًا غريبًا؟ كائنًا فضائيًّا من كوكب آخـر؟ أرسـلَ لي عقلي جُملًا، ومقاطع من كتب، وأشياء قالها الآخرون.

كان هناك دائمًا ثقل كبير على صدري، لا أتمكن مـن مـلء رئتـيَّ بـالهواء. كأنَّ هناك قبضة قويَّة داخل صدري تدهس قلبي. عندما يتمكَّن منّي الفكر يزداد الثقل على صدري، وأحتاج إلى بذل مجهود أكبر للتـنفُّس. كانـت أمّـي دائمًا تريد أخذي لفحص رئتيَّ لكنَّني لم أهتمّ. كنـتُ أخشى أنْ أكـون مصـابًا بمرض لا يكتشفه الأطباء، مات العمُّ "جولي" من سرطان الرِّئة. هل لديَّ نوع جديد من هذا السَّرطان؟ مهما كنتُ مرهقًا، حين أضـع رأسي عـلى الوسـادة، تتمكَّن منّي الأفكار. يتحوَّل الإرهاق إلى نشاط ذهنيٍّ. كنتُ أتجنَّب الذِّهاب إلى السَّرير، لأنَّني أعرف أنَّني لن أتمكَّن من النَّوم.

أتسلَّل أحيانًا ليلًا، وأخرج للـمشي حتّـى أهـدأ. كـان أيُّ شيء أفضـل مـن الاستلقاء بلا أملٍ في النَّوم. لا أحد آخـر بالخـارج. كـان الطَّريـق مُضـاءً كأنَّـه النَّهار. لكن بلا سيارات ولا ناس. كنتُ أتسكَّع في الشَّوارع بـلا هـدف، كنـتُ أذهب إلى مدرسة "فوسفوجس"، وأتجوَّل في الملاعب. إنْ أتى أحدهم أختبـئ وأتلصَّص عليه، أستلقي فوق الحشيش وأكتم أنفاسي. عادة ما يكونون رجال توزيع الجرائد، لكن أحيانًا يمرُّ مراهقون، أو بالغون في طريقهم إلى المنزل.

ذهبتُ إلى ملاعب المدرسة ليلة تلو الأخـرى. ذهبـتُ مـرّات عديـدة لكنَّ الأمر دائمًا كان يبدو غريبًا، أعني ذهابي هنـاك بهـذا الشَّـكل، لكنَّـه كان مريحًا أيضًا. في بعض الليالي، بقيتُ لساعات، حتّـى إنَّنـي أصـعد إلى السَّطح، وأستلقي وأتأمل السماء. في ليلةٍ ما، تسلَّقتُ خارجًا مـن نافـذة، كنتُ وحدي في المدرسة، وفي صمت تـامٍّ، أمـر غريـب! تمشـيتُ وعبثـتُ

بالأشياء، ودخلتُ فصلي القـديم، وتأملـتُ الصُّـور عـلى الحـائط. حـدقتُ في الفصل، مدققًا في نفسي وبقيَّة الصِّبية. عبثتُ بكلِّ شيء وجدتُه لكنْ لم أفسد شيئًا.

كانت غرفة المعلِّمين مغلَقة، فذهبتُ إلى "الجيم". كان صدى الصَّـوت في الصّالة الخالية غير مريح. دخلـتُ غُـرف تغيـير الملابـس وغُـرف الاسـتحمام. كانت غُرف الاستحمام تحمل الكثير من الـذِّكريات السَّـيئة، لطالما تعرَّضـتُ للسخرية هناك، فهنـاك تكـون مكشـوفًا أكـثر مـن أيِّ مكـان. فمـثلًا يصـبح الأطفال السُّمناء موضوعًا للسخرية. لقـد بلغـتُ الحُلُـم مبكِّـرًا، وكـان هـذا مصدرًا لا نهائيًّا للسَّـخافات في غُـرف الاسـتحمام. والأسـوأ كـان لـون شـعري الأحمر، لعنتي الدائمة، يتيح ذلك للصِّـبية الأشرار فرصًـا لا نهائيَّـة لإغـاظتي. كنتُ أكـره غُـرف الاسـتحمام، فهـي أمـاكن للتَّعـذيب. دخلـتُ غُـرف تغيـير الملابس الخاصَّة بالفتيات، المكـان المُحـرَّم، أحـد الأمـاكن التـي لا يُسـمح لنـا بدخولها. جلستُ على المقعد لمدَّة طويلة، كانت رائحة غُرف التغيير الخاصَّة بالفتيات مختلفة.

تسللتُ خارجًا كما دخلتُ. كنتُ أحبِّذ العودة إلى المنـزل قبـل اسـتيقاظ أبي وأمّي. فتحتُ الباب بحرص شـديد وتسـللتُ إلى غرفتـي، أغلقـتُ البـاب برفق واستلقيتُ على الفراش، وحينما استيقظا، كنتُ قد غفلتُ.

في إحدى الليالي، كنتُ أتسكَّع في الشوارع، وقررتُ التسـلُّل إلى حضـانتي. أخذتُ مفكًّا وفتحتُ إحـدى النوافـذ عنـوةً، وتسـللتُ إلى الـداخل، لم يكـن هناك الكثير ممّا يثير الذِّكريات بالنِّسـبة لي، فقـط رائحـة مألوفـة، وجوانـب المبنى والألوان الأساسيَّة على الحـائط. تمشـيتُ وتفحَّصـتُ الأشـياء، تناولـتُ بعض الأشياء وحاولتُ التعرُّف إليها، أو شمَّها، خاصَّة الصلصـال. كـان هنـاك

هامستر في قفص، على إحدى الطاولات، أخذتُه ومـررتُ بكفّـي عـلى ظهـره. كان ناعمًا وظريفًا، فوضعتُه في جيبي وأخذتُه إلى المنزل معي.

خبأتُ الهامستر في دولابي، في حوض سمك قديم، مُغطـى بـالملابس. كـان الأمر مثيرًا للحماس، فلقد سرقتُه، والآن عليَّ إخفاء الأمر عن أمّي كذلك. كأنَّ الهامستر "آن فرانك"، وأمّي النـازيون وأنـا واحـد مَـن حـاولوا مسـاعدة "آن فرانك". لكن بعد وقت قليل، بدأتُ أفكِّر في الأطفال الصِّغار في الحضـانة، لا بدَّ أنَّهم يشعرون بالحزن لأنَّ أحدهم أخذ الهامستر الخاصَّ بهم، بدأ الشُّعور بالذَّنب يتملَّكني. تخيَّلتُ مجموعة من الأطفال الصِّغار غـير سـعداء يبكـون بجوار قفص هامستر فارغ. ربما ظنّوا أنه مات!

بعد عدة أيام، اقتحمتُ الحضانة مرةً أخرى وأعدتُ الهامستر إلى قفصه. خلال سيري في المكان لاحظتُ مدينة سـنافر مُعـدَّة عـلى إحـدى الطـاولات. أبهرتْنـي السَّـنافر الصَّغيرة، ومنازلهـا، والسّـاحر "شرشـميل" وقِطتـه. كانـت رائعة! وجدتُ حقيبة بلاستيكيَّة ووضعتُ فيها كـلَّ قِطـع السَّـنافر وأخـذتُها معي إلى المنزل. كان من العدل أخذ شيء مقابل إعادة الهامسـتر، كـان هـذا لطفًا مني. خبأتُ السنافر في دولابي وشعرتُ أنَّني بطل حقيقيٌّ. لقد أعـدت الهامستر بسلام إلى مكانه، لقـد أنقذتُـه. تخيلـتُ ردَّ فعـل الأطفـال؛ دهشـة وسرور على وجوههم الصغيرة عند وصـولهم إلى الحضـانة ورؤيـة الهامسـتر. سرور ينير وجوههم بسعادة. جعلني الأمر أبتسم. لقد فعلتُ شيئًا جيِّدًا.

بعد عدة أيام، وجدتُ مقـالًا في الجريـدة. "ذا فـايس" بعنـوان: "انتشـار السَّرقة في "فوسفوجور". أنواع عديدة من السَّرقة في أماكن لم أذهـب إليهـا، لكنَّهم أيضًا ذكَروا الهامستر، قائلين إنَّ السـارق عـلى الأغلـب شـعر بالـذَّنب

فأعاده، كانوا يتحدَّثون عنّي. كـان المقـال عنّـي. ارتعشَـتْ يـداي وأنـا أقـرأ. شعرتُ أنَّني "روبـن هـود". وأنَّ هنـاك اثنـيْن مـن "جـون". أحـدهما شريـر، يقتحم الأماكن ويسرق الأشياء، والآخر جيِّد طيّـب، يعيـد مـا أخـذه "جـون" الشّرير. لكن كي أصبح "جون" الطيـب، عـليَّ أن أكـون "جـون" الشريـر أولًا. والأهمُّ أنَّني لم أُصِب أحدًا بالأذى ولم أفسد شيئًا. كان "جون" الطيّـب يتـولى ذلك الأمر.

في اليوم التالي، اقتحمتُ الحضانة مجددًا. حيـث قـررتُ إعـادة السَّـنافر. تسلَّلتُ خارجًـا كالعـادة، والسَّـنافر معـي في حقيبـة. ثـم اقتحمـتُ النّافـذة نفسها ودخلتُ، أخرجتُ السَّنافر من الحقيبة وأعدتُ ترتيبها عـلى الطاولـة، لكن بشكل مختلف عمّا كانـت عليـه، حيـثُ جعلـتُ السَّـنافر تتحـدَّث إلى السّاحر "شرشميل"، وقِطة "جارجامـل" كانـت مـع "بابـا سـنفور" ووضـعتُ السَّنفور العابس داخل المنزل، ينظر من النّافذة. بالتأكيد سيندهش الأطفال وتملؤهم السَّعادة لعودة السَّنافر. تحمَّستُ للقراءة عن الأمر في "ذا فـايس". "روبن هوود يصل ويجول عبر "فوسفوجور"! ربَّما يظنُّ الجميع أنَّني شـخص ما يسرق من اللُّصوص، بطلٌ خفيٌّ يسرق من اللُّصوص الأشرار ليعيد الأشـياء إلى أصحابها. مثل "باتمان".. هل أنا "بانك مان"؟ انغمسـتُ في تلـك الأفكـار، لكن عندما فتحتُ الباب بحرص، فوجئتُ بمشهد مريع! رأيـتُ أمـامي اثنـيْن من رجال الشُّرطة، أغلق أحدهما الباب بعنف وصدمَني بكتفه.

- ماذا تفعل بحقِّ الجحيم، أيُّها المُخرب اللعين؟

أعجزني الرعب عن الحديث، حدَّقْتُ به مثل غزال أمام أضواء سيارة.

حاولت الكذب على والديّ، وقلتُ لهما إنَّني وجدتُ السَّنافر في مكان ما وقررتُ إعادتها.

- وجدتُها في حديقة، وقررتُ إعادتها حتّى يفرح الأطفال.

كانت أمّي غاضبة، صاحت فيِّ:

- توقَّف عن الكذب يا "جون"!

- لستُ أكذب.

لكن سرعان ما أدركتُ أنَّ الأمر مستحيل. علمتْني التجربة صعوبة الكذب على أمّي. لم تر أمّي القصد الحسَن ممّا فعلتُ، ولم تمدحني لأنَّني اقتحمتُ المكان ثانيةً لإعادة الألعاب. كانت ترى الجانب السلبيَّ فقط. لم أحصل على أيِّ شيء مقابل إعادة الألعاب. كان أبي قلقًا على سُمعته أكثر من انزعاجه لأنَّني أصبحتُ مجرمًا، سارق سنافر معروفًا!

سألني والدمع في عينيه:

- لماذا تفعل هذا بي؟

تمتمتُ كالعادة:

- لا أعرف!

- بالضبط. أنت لا تعرف شيئًا.

في اليوم التالي، حضر أحدهم لتفتيش غرفتي. فتح الأدراج كلَّها، والكبائن. أخذ أكشن مان الخاصَّ بي، ونظر إليَّ نظرة اتِّهام.

تمتمتُ:

- هذا مِلكي.

ثم اضطررتُ للذهاب معه إلى القسم، حيث يحقّق مع المجرمين. أخذوا بصماتِ أصابعي. اشتبهوا في اقتحامي أماكن أخرى، وكانوا مقتنعين، من

بين أمور عديدة، أنَّني اقتحمتُ مؤسسة وأفسدتُها. افترضوا أنَّني دمرتُ كـل شيء وأفرغتُ مطفأة حريق. لم أكن لأفعـل ذلـك. لم أكـن شريـرًا أو مجرمًـا. كنت مجرَّد طفلًا فضوليًّا، أحـب رؤيـة الأشـياء ولمسَـها وشـمَّها. لم يصـدقني المحقِّق حتّى إنَّنـي انهـرتُ وانفجـرتُ في البكـاء. عنـدها وقـف وتحـدَّث إلى الضُّباط وسمِعتُه يخبرهم أنَّني لستُ الشخص الذي يبحثـون عنـه. مسـحتُ دموعي وجففتُ أنفي. أوصلني الضابط إلى المنزل. وفي الطريق، أخـبرني أنـه لم يضطرّ أبدًا، خلال حياته المهنيَّة كلها، إلى التعامل مع قضيَّة بهذة البلاهةً!

- ماذا كنتَ تريد بالتحديد يا فتى؟ مَن يقـتحم الأمـاكن ويسرق الأشـياء فقط كي يعيدها؟

- لا أعرف.

سألني بشفقة كأنني من ذوي الاحتياجات الخاصَّة:

- ألستَ على ما يرام؟ هل تسرق من الأطفـال؟ هـل تنـوي الاسـتمرار في ذلك؟

- كلا.

- إذًا، لماذا فعلتَ ذلك؟

- لا أعرف.

- لا تعرف، هذا صحيح.

"إزعاج"



كم نحن فاتنون

نحن فاتنون بشدة، حتّى إننا فارغون

كم نحن فاتنون

نحن فاتنون بشدة حتّى إننا فارغون

آه، لكننا الآن لم نعُد نهتم!

- أغنية "شاغرة جدًا" - فرقة "سكس بيستولز"

كانوا يستعدّون للسَّفر، رأيت دفتر السَّفر على الطاولة فسألت:

- مَن سيسافر؟

قالت:

- نحن.

وكأنَّني لستُ معهم.

- إلى أين؟

- بلغاريا.

لم أسمع عن هذا المكان من قبل. لم أكن أعرف أين تقع. لم أعـرف حتّـى إنْ كانت دولة أم مدينة.

- متى؟

- في شهر يوليو.

لم أستطع تعلُّم الشهور جيِّدًا. لا أتـذكر الأسـماء أو التَّرتيـب. كـان يوليـو يعبِّر عن الصيف فلا بد أنَّه كان قريبًا. ربما الشَّهر التّالي.

- أين سأذهب؟

كنت أعرف أنَّهم لن يسمحوا لي بالبقاء في المنزل.

- سوف تذهب إلى الرّيف.

تـذكَّرتُ آخـر مـرة لي هنـاك، كانـت مرعبـة. لم أكـن لأذهـب إلى هنـاك مجدَّدًا. امتلأتْ عيناي بالدُّموع.

- لن أذهب إلى هذا الجحيم مرة أخرى.

قالت أمّي بحزن:

- كلّا.

شعرتُ بالرّاحة.

- هل يمكنني البقاء مع "رونا"؟

- كلّا، لا يمكنك البقاء مع "رونا".

لم أرغب في الذهاب إلى مكان ريفيٍّ مخيف وكريه، أردتُ الذهاب إلى شقيقتي في "كيالارنيس".

- لمَ لا يمكنني البقاء مع "رونا"؟

- لأنه لن يكون.

- لمَ لا؟

- لأنَّها قريبة جدًّا من المدينة، وأنا لا أريد القلق بشأنك في إجازتي.

- ولكنَّني لن أفعل شيئًا.

صوبتْ نحوي نظرة حاسمة.

- لن تذهب إلى "رونا" وهذه نهاية المناقشة، سوف تذهب إلى الرّيف.

- أين؟

- إلى "براستارهولي"، مع العمة "بوندي".

- أين هذا؟

- في الشَّمال.

- الشَّمال؟ أين؟

تنهدَتْ أمي.

- في "يجافجورور".

لم أكن أعرف عن شمال أيسلندا أكثر ممّا أعرف عن بلغاريا، لا أملك أدنى فكرة عن موقِعها، إنَّها بعيدة مثل "فاراوايستاين" في مجلة بطوط. الجغرافيا كتاب مغلَق بالنِّسبة لي، أشكُّ في قدرتي حتّى على تحديد مكان أيسلندا على الخريطة. كانت صورة العالَم في عقلي ضبابيَّة تمامًا ولا أعرف

الاتِّجاهات. مثلًا، لم أكن أعرف من أين تشرق الشَّمس وأين تغرب، أعرف أنَّ للأمر علاقة بالشَّرق والغرب لكن لا أتـذكَّر واحـدًا مـنهما. كـلُّ مـا أعرفـه في خريطة أيسلندا هو "ريكيافيك" و"فاتنايوكول" و"فيستفروير". يقـع الغـرب بـالأعلى، لسـبب غـير مفهـوم. كانـت "فيسـتفروير" شـيئًا ينمـو مـن الأرض. "بارادايسرهيلر" هي الكهف الذي كتب فيه "هيالتي" كتابـه عـن "آنـا" مـن "ستوروبورج"، كان ذلك في الشَّرق، يسري الأمـر نفسـه عـلى "سوورسـفايت" رغـم أنَّ الاسـم قـد يـوحي بأنَّـه في الجنـوب، لقـد وُلـد ونشـأ "بوربيرجـور بوروارسون" هناك. رغم ذلك لم أعرف بالتأكيد أين هـو الشرق تحديـدًا، أمّـا عن الشَّمال فلا أملك أدنى فكرة.

منذ عدة أعوام، سرتُ مع أمّي وأبي والخالة "جونا" على الطريـق الـدائريِّ. كان أبي متعجِّلًا كالعادة ويقود السَّـيارة مثـل المجنـون. دخَّنَـت أمّـي والخالـة "جونا" بكثافة، واستمعتا إلى كاسيت السيارة الكبير، وقامتا بالغناء بحماس مع أغنية "نينا وجيرا"، بينما انشغلتُ أنـا بقـراءة "حكايـات بطـوط". لم أهـتم ولم أرغب في الاهتمام بأيٍّ مـمّا يـدور حـولي. شـعرتُ بـالبرد طـوال الوقـت. كـان الطقس باردًا في كلِّ مكان. وجدتُ أيسلندا قبيحة ومملَّة. كانت الجبال مجـرَّد كومة من الصخر، وكأنَّ جبل "إسيا" كان في كلِّ مكان. كنا نتوقف أحيانًا لتأمل جبلًا أو بحيرة ما، أو لالتقاط بعض الصُّور. كنتُ أبقى في السـيارة ويتعجَّـل أبي الجميع. كان الطقس سيئًا طوال الوقـت، ريـاح ومطـر كالعـادة. نمنـا خـلال اللَّيل في خيمة. أعدَّ أبي المخيَّم بينما كنا ننتظـر في السَّـيارة، لم يزعجـه الـبرد. كان يرتدي تيشيرت في هذا البرد. استلقيتُ بين أبي وأمّـي مسـتيقظًا، أسـتمع إلى شخيرهما. ثم اسـتيقظنا ونحـن نشـعر بـالبرد والرطوبـة وتناولنـا حسـاء

البصل والخبز. قام أبي بتسخين الطعام على بوتاجاز "برايموس"، بينما حاولنا تدفئة أجسادنا في السَّيارة. تناولْنا الحساء من الصفائح ثم أكملْنا الطَّريق الوعر. مرَّت أيسلندا بصورة هزيلة غير واضحة خلال نوافذ السَّيارة المتَّسخة. كانت الرياح قويَّة وتهبُّ من كلِّ مكان. توقفنا لرؤية بعض شلالات المياه. خرجوا لرؤيتها لكنهم عادوا راكضين إلى السيارة، بعد أنْ أغرقتْهم المياه التي انفجرَتْ في اتجاههم. عندما هدأت الرياح أخيراً، وجدنا ضبابًا كثيفًا. في أحد الأيام، خرجتُ زاحفًا من الخيمة وأنا مبلَّل وأشعر بالبرد، فوجدتُ الثلج قد بدأ في الظهور.

سألتُ الخالة "جونا":

- أين تقع "إيجافيوروي"؟

- في "أكوريري"، لقد ذهبتَ إليها من قبل، أليس كذلك؟

- كلا.

- هل تعرف أين تقع "أكوريري"؟

التزمتُ الصمت. لم يكن لديَّ أدنى فكرة عن موقع "أكوريري". لا بدَّ أنها ليسَت بالمكان الشيِّق بما أنَّني ذهبت إلى هناك ولا أتذكَّرها. لم أسأل المزيد من الأسئلة، أصبحتُ مرتبكًا، غاب ذهني عن الواقع، وسُجنتُ في الخواء. لا يهمُّ، لقد أصدرتْ أمّي القرار بالفعل. انتهَت الرحلة، انتهيْنا من القيادة حول أيسلندا. لم يحتفظ ذهني بذكريات عن الرِّحلة، سوى – ربما - بعض محادثات أمّي والخالة "جونا". أحيانًا تطلب "جونا" من أبي أنْ "يخرس" عندما يلحُّ بشأن أمر ما مرةً تلو الأخرى. كان هذا مضحكًا. قامت أمّي بتعليق الخيمة في الحديقة لكي تجفَّ، أمّا المرتبة وحقائب النوم فتمَّت إعادتها إلى العليَّة.

في مساء يوم ما، بينما نتناول العشاء، أعلنَت أمّي أنَّني ذاهب إلى الرّيف في اليوم التالي. حزمتُ أمتعتي في حقيبة، وفي الصَّباح الباكر، حضر رجل لا أعرفه، لكنَّه أتى لتوصيلي.

بدتْ كأنَّها رحلة لا نهاية لها. سِرْنا بالسيارة طوال اليوم، كان الطقس مشمسًا. بدَت أيسلندا قبيحة ورماديَّة كالعادة، أكوام من الرَّمل والحشائش الذابلة وأسوار وخنادق.

كذلك فوجئتُ بقبح الحقول، وجدتُها متشابهة كلَّها، منازل حجريَّة بأسطح حديديَّة مموّجة، بألوان سخيفة، أزرق وأصفر، وبعضها برتقاليّ، وحول المنازل أعداد كبيرة من ماكينات كبس القشّ، وبعض الجرارات، وسيارات بائسة، وحظائر للبقر. كنتُ أكره الحقول. أعرف رائحتها، لها رائحة الكلاب، والأقدام المتعرِّقة، والبطاطس القديمة، والحساء الحلو. هذه رائحة عفن متراكم. حاولتُ تخيُّل ظروف المدينة التي سوف أذهب إليها، ستكون مشابهة لأيِّ مدينة أيسلنديَّة ريفيَّة. استطعتُ تخيُّل هيئة الأشخاص هناك. دائمًا ما يكون الأب ريفيًّا أخرقَ، لا يحلِقُ شَعره، ويرتدي ملابس ريفيَّة رماديَّة، وبنطالًا فضفاضًا من القماش السَّميك، عادة ما يكون كبيرًا، يُدخِله في حذائه ذي الرقبة العالية. كذلك يرتدي قميصًا مرقَّعًا، فوقه معطف أزرق. كما يملك سيارة "لاند روفر". عندما يتحدث، يكون صوته مرتفعًا ويُكثِر من اللَّعن. أمّا زوجته فترتدي جوارب طويلة فوقها جوارب صوفيَّة، وتنّورة بلون المسطردة، وتظلُّ متذمرة طوال الوقت. عند الخروج، ترتدي أقبح معطف تجده. تملك زوجة المزارع أقبح المعاطف، لها ياقات ممزَّقة في عدة أماكن، بحيث يمكنك رؤية الحشو. أبناؤهما كذلك يرتدون ملابس سخيفة. يرتدي الصِّبية بناطيل

جينـز كبـيرة، وأحذيـة مطاطيَّـة ذات رقبـة عاليـة، وكـذلك تفعـل الفتيـات، يُدخِلنَ أرجل البناطيل في الجوارب الصوفيَّة، ويرتدين أطقُم عمـل، ويغلقْـن أزرارها كليَّة حتّى الأعلى.

لا يملك الريفيون حسَّ الموضة، وليسوا "هيبيـين". فقـط يرتـدون ملابـس الرجال، حتّى الأطفال والنِّساء. أشعُر بالخجل إزاء أمّي وأبي، وخاصَّة أبي، كما لو كنتُ أرتدي ملابس أمّي وأبي بعـد تعـديلها كي تناسـب حجمـي. لا أعلـم كيف كنتُ سأشعر إنْ كنا نعيش في الرّيف. أعتقـد أنَّنـي كنـتُ سـأنتحر! لم أكن سأعرف شيئًا عن "البانك"، فـلا توجـد مكتبـات في الرّيـف، لـذا لم أكـن لأتعلم شيئًا هناك عن الخِراف، وهذا الهراء.

لم يخاطبني الرجل المُسِـنُّ وهـو يقـود السَّـيارة. التزمْنـا الصـمت طـوال الوقت. في المساء وصلنا إحدى المدن. لم أكـن أدري أيـن نحـن. فـتح الرجـل حقيبة السّيارة وأحضر لي حقيبتي قائلًا:

- حسنًا.

ثم دخلنا.

كان كلُّ شيء كما تخيلته، يرتدي المزارع بنطال "تايريلين" كبيرًا وجوارب صوفيَّة. كان معطفه مثقوبًا، وكانت يداه ممتلئتيْن بالجروح. السَّيدة أيضًـا كانت ترتدي بنطالًا، لكن ليس فضفاضًا. كان هناك شخص آخـر أكـبر سـنًّا، يرتدى بنطال "تايريلين". لم يكن هناك أحد آخر في المنـزل. رحَّبـا بي بـأذرع مفتوحة وسألوا عن أخبار العائلة. أكَّدتُ لهـما أنَّ كـلَّ شيء عـلى مـا يـرام، وإنْ كنت لم أفهم السؤال. أليسَت كل الأخبار أخبار جيِّدة ما دام لم يمُت أحدهم؟ من الواضح أنَّ الأمور جميعها ليسَت على مـا يـرام، دائمًـا تجـد أمرًا مـا، كـأنْ يكـون أحـدهم مريضًـا. لكـن لا أحـد يتحـدَّث عـن ذلـك.

لا أحد يهتمّ. يريدون فقط سماع ذلك، أنَّ كلَّ شيء بخير، على أيِّ وجـه، وفي كلِّ مكان.

قضيتُ الأيام القليلة التالية في التعرُّف إليهم وإلى المكـان. لم يكـن حقـلًا تقليديًّا. لم يكن هناك خراف، فقط القليل من البقر. كان المُزارع مريضًا نوعًا ما، فلم يكن يعمل، أمّا زوجته فتعمل بوظيفة في "أكوريري". لم يكـن قـادرًا على القيام بشيء، لا رعي البقر ولا حرث الرَّوَث. كانت حياة هادئة. أحببتُ التَّواجد هناك. أتسكَّع في أيِّ مكان وأقرأ طوال اليوم، ولستُ مكلَّفًـا بشيء لا أريد القيام به. لا يوقظني أحد في الصَّباح الباكر، ولي غرفتـي الخاصَّـة. كـان الأكـل بسـيطًا وشـبيهًا بمـا نأكلـه في "ريكيافيـك"، حتّـى إنَّهـم يتنـاولون "الإسباجيتي". كم كنتُ قلقًا حيال هذا الأمر قبل مجيئي، فكثيرًا مـا أُرسِـلتُ إلى أماكن ريفيَّة اضطررتُ فيها إلى أكل أشياء مقزِّزة، مثـل: سـمك المصـباح، وبودنج بلبن الحيوانات، ولحوم مُملحة، وفطائر بالعصيدة، و"هرارنج"، كـان ذلك مزيجًا من العصـيدة وزبـادي "سـكير" الأيسـلندي، حتّـى إنَّنـي شربـتُ الحليب من ثدي البقر مباشرةً. يأكل الناس في الرّيف أكلات مقزِّزة، لم يفكِّر سكان "ريكيافيك" حتّـى في إمكانيَّـة أكلهـا. لكـنَّ هـذا لا ينطبـق عـلى تلـك المنطقة من الرّيف، هناك كان بإمكاني تناوُل ما أريد، وإنْ لم أشـعر بـالجوع فليس عليَّ تناول أيِّ شيء. هناك كان الشعور بأنَّ حيـاة الريـف رائعـة أمـرًا ممكنًا.

اكتشفتُ أنَّ الرجل المُسِنَّ شقيق أمـي، وخمَّنـتُ أنَّ زوجـة المـزارع هـي ابنته. كنتُ أعرف القليل عن عائلتي الكبيرة، لا أعرف مَن يكونون ولا أفهـم السبب. يستوقفني الكثير من النّاس في الطّريق ويسألون عن أخبـار والـدي، كنتُ أخبرهم الشيء نفسه دائمًا، أنَّ كلَّ شيء على ما يرام.

- مساء الخير "جون".

أتظاهر أنَّني أعرفه، وأجيب:

- مرحبًا.

- كيف حال والدك؟

- جيِّد، وكلّ شيء على ما يرام.

- أبلغه تحياتي من فضلك.

- أجل، بالطبع.

وأحاول أنْ أبدو مقنعًا.

لم أكن أعرف مَن هؤلاء، لكنَّ عادة ما يتَّضح أنَّهم أشقّاء أبي أو أمّي. كنت أجد صعوبة دومًا في تمييز الناس وتذكُّر الوجوه. أتى أخي "أوسكار" مرَّة للزّيارة، بعد أنْ حلق لحيته بفترة قصيرة. قلتُ له: "مرحبًا"، وبدأتُ في تقديم نفسي، فضحك الجميع.

سألتْ أمّي ضاحكة:

- ألا تعرف شقيقَك؟

لكنَّني كنتُ أقابل هؤلاء الناس قليلًا. ونادرًا ما كانت أمّي أو أبي يأخذانني معهما في الزِّيارات. كنتُ شقيًّا، لذا كان اصطحابي إلى أيِّ مكان أمرًا صعبًا. عادةً ما أقضي الصَّيف في الرّيف. لا أحضر التجمعات العائليَّة. وأشقاء أمّي وأبي بالنِّسبة لي أشخاص غرباء، وكذلك أشقّائي، وكأنَّ كلَّ الناس من جيل مختلف عنّي.

كنّا نذهب أحيانًا إلى "أكوريري" بالسَّيارة، يشبه الأمر العودة إلى مدينتنا، حيث المنزل. كان بها متاجر، ويقف بعض المراهقين أمامها. ذهبتُ إلى المكتبة واشتريتُ نسخة من مجلة "برافو". في اليوم التالي

اختبأتُ ومعي المجلـة، لم أفهـم شـيئًا لأنَّهـا كانـت باللُّغـة الألمانيَّـة، لكنَّنـي تفحصتُ الصُّـور جيِّـدًا. حاولـتُ تخمـين فنـاني "البانـك" مـن بيـنهم، هكـذا اكتشفتُ "نينا هاجن". كان حبًّا مـن النَّظـرة الأولى. أبهرتْنـي. كانـت أجمـل امرأة في العالَم بلا شكٍّ. تحوي المجلة بوسترًا كبيرًا لها، علقتُه فور عـودتي إلى المنزل. إنَّها مغنية "بانك" بالتأكيـد. جلسـتُ أحـدِّق بهـا. وقعـتُ في الغـرام. أحببتُ تلك المرأة. لا أعرف عنها شيئًا لكنَّها مُبهرة، وبالتأكيد تعرف كلَّ شيء عن الفوضويَّة.

الجريدة الوحيدة التي كانت تصل إليهم في الرّيـف هـي "تـايمز". كانـت هناك كومة من الأعداد القديمة بالمطبخ، تصفَّحتُها جميعًا بحرص، وقصصتُ كلَّ ما له علاقة بالبانك. علقتُ القصاصـات في غرفتـي حـول "نينـا هـاجن". كانت "تايمز" تُطلِق على "البانك" ("لاعبي الروك المتشردون").

"قالـت ملكـة روك المـتشردين الدنماركيَّـة "كـاميلَّا كـوول": "نلعـب روك المتشردين لأنَّنا نشعر بالملل". وصل روك المـتشرّدين إلى "كوبنهـاجن" منـذ عام ونصف تقريبًا، جاء بالتَّأكيد من "سيكس بيستولس" في "لنـدن". لقـي هؤلاء الذين نهجوا نهج روك المتشرَّدين في "كوبنهاجن" معاملة سيِّئة مـن النّاس، الذين أرادوا منهم ومن فِرَقهم الاختفاء، أو الموت. لكن أعضاء تلـك الفِرَق لم يقعوا في ذلك الفخِّ؛ لأنَّ جزءًا من فلسفة لاعبـي هـذا الـروك هـو مفاجأة الآخرين، وقلـب الـرأي العـام ضـدهم. يصـبغ لاعبـي هـذا الـروك شعورهم باللَّون الأخضر أو البنفسجيّ، ويرتدون ملابس ممزَّقة بشدة حتّى إنَّ أعضاء "الهيبي" في العقد الماضي كانوا سـيخجلون مـن ارتـدائها. وفـوق ذلك، إنَّهم عادة ما يخرقون آذانهم ووجوههم بدبابيس.

قصصتُ صورة "كاميلّا كوول" وعلقتُها على الحائط. قـرأتُ المقالـة مـرارًا وتكرارًا. ما هي الفلسفة؟ لم يكن لديَّ أدنى فكـرة لكنَّنـي أعـرف أنَّ مفاجـأة الناس وجعلهم ينقلبون ضدّك أمر ممتع. فلا بأس – مثلًا - من السُّخرية من "الهيبيز"؛ لأنَّهم يثيرون الملل.

بعد وصولي إلى الرّيف بفترة قصيرة، جاءت فرقة "ذا كـلاش" إلى أيسـلندا في جولة فنيَّة، قدَّموا عروضًـا صـغيرة في "لاوجاردالشـول". كتبـتْ "ذا تـايمز" الكثير عنهم، ونشرتْ صورهم في المطار، وأذاع الراديو "لنـدن كـالنج". لا بـد أنَّهم أدّوا أغنيـة "بانـك روبـر" في حفلاتهـم. تمنيـتُ مـن كـلِّ قلبـي حضـور حفلاتهم، لكن لم يكن هذا ممكنًا. كنتُ بعيدًا، وآلمني هذا، وبكيـتُ. كانـت تلك أغنيتي. إنَّه أهمُّ حدث في حياتي يحدث خلال غيابي.

نظرتْ "نينا هاجن" إليَّ متعاطفة، وكذلك فعلتْ "كاميليا كوول".

كان فنانو "البانك" هم حياتي، أحدِّق بهم، وأحاول تقليـدهم في مـلابسي. خرقتُ قميصي بدبوس ثم رسمتُ عليه رمز الفوضويَّة بقلـم سـميك. كَحَـتُّ رُكَب بنطالي الجينز بصنفرة حتّى تمزَّقَت، ثُمَّ عقدتُ حبلًا على شكل مشنقة، كما تعلمتُ في الكشّـافة، وارتديتُـه حـول عنقـي. في النهايـة، مزَّقَـت أكـمام ملابسي، والجزء الواقع أسفل ضلوعي. تفحَّصني أهل الرّيف مبهـورين بهـذا التغيير، إنَّه مولد "بانك" من قلب الرّيف الهادئ. أعجبـتهم عقـدة المشـنقة تحديدًا. وكان المُزارع مرِحًا، فأعارني قلمه الخاصَّ، كي أكتب به عـلى مـلابسي بشكل أوضح، وأحضرتْ زوجتُه لي دبابيس أكبر كما طلبتُ.

كان شقيق أمّي يدخِّن سجائر "الجمل"، لديه صندوق مليء بالسَّجائر في الخزانة. تسللتُ إلى هناك وسرقتُ علبـة واحـدة. خبأتُهـا في الحظـيرة،

وكنتُ أتسلَّل لأدخِّن هناك. درَّبتُ نفسي على التَّدخين كـما يفعـل الشـخص القويُّ، بأنْ أدع السّيجارة تتدلّى من فمي بإهمال، وأنفـث الـدُّخان في شـكل حلقات. كما تمرنتُ على طفي أعقاب السَّجائر بأصابعي (مـع الحـرص عـلى عدم إطفائها في القشِّ).

ذهبتُ إلى حفـل شـبابي في "أكـوريري" كتعـويض عـن عـدم تمكُّنـي مـن حضـور حفـلات "ذا كـلاش". كـان ذهـابي إلى "أكـوريري" وحـدي أمـرًا مثـيرًا للحماس. جهزتُ الكثير من الدبابيس، وكتبتُ اسم "نينا هاجن" عـلى حـذائي بقلم المُزارع. رفضتُ ارتداء معطف رغم غزارة الأمطار، لأنَّني أفضِّل التجمُّد من البرد حتّى الموت عن ارتداء معطف سخيف. لم أرتدِ إلّا قمـيص المدرسـة وحبل المشنقة حول رقبتي. أوصلني المُزارع إلى "أكوريري" وقال إنَّه سيأتيني بعد الحفل. أخرجتُ دبوسًا كبيرًا من جيبي عقب رحيلـه. لقـد رتبـتُ لتلـك الخطوة بحـرص، وحينهـا خرقـتُ أذُني اليُمنـى ومرَّرتُـه بـداخلها وجعلتـه في شكل حلقة. أصبحتُ جاهزًا. دخلتُ مكان الحفل ولفتُّ الانتباه فورًا. كنـتُ من خارج المدينة، كـما كنـتُ أبـدو غريبًـا بالنِّسـبة لهـم. حـدَّق بعضـهم فيّ بانبهار واضح. تظاهرتُ بأنَّني معتاد على لفت الانتباه ومشيتُ أمام المسرح بتلقائيَّـة، باحثًـا عـن سـائر مُحبّـي "البانـك"، ثـم أخرجـتُ علبـة السَّـجائر، وأشعلتُ واحدة بثقة.

لم تكن حفلة "بانك". فالفِرق ترتدي ملابـس عاديَّـة، يعـزف بعضـهم الميتال الثقيل. ولم يكن لـبعض الغـرق مغـنٍّ مـن الأسـاس، مجـرَّد عـزف منفرد على الجيتار. تحكي كلمات الأغاني عن الفتيات والطَّقس. موسيقى تافهة. كان القليل من الأغاني "جديدًا"، معظمهـا توزيعـات روك لألحـان أيسلنديَّة قديمة. بالإضافة إلى ذلك، حاول الـبعض وضْـع كلـمات باللغـة

الأيسلنديَّة على أغنيات أجنبيَّة. يا لها من خيبة أمل! لا توجد أغنيات عن الفوضويَّة، أو صعوبة العيش في ظلِّ القنبلة الذَّريَّة، ولا "اللَّعنة على النِّظام". وأهدر معظمهم الوقت في ضبط آلاتهم بدلًا من العزف عليها.

غمرني المطر، كنتُ أشعر بالبرد والبلل حين ظهرَت الفِرقة الأخيرة على المسرح. دائمًا ما تكون الفِرق الأخيرة هي الأفضل، فالفِرق المبكِّرة مجرَّد إحماء. كانت الفرقة الأخيرة تُدعى "جاست بارتي"، وهم أكبر سنًّا من سابقيهم. غنَّت الفرقة أغنيات أصليَّة باللُّغة الإنجليزيَّة. أُعجبتُ بهم، أخيراً وجدتُ شيئًا يعوِّضني عن تفويت حفلة "ذا كلاش". شعرتُ بالسَّعادة وحرَّكتُ رأسي مع الإيقاع كما صفقتُ مع النغمات. ربما كانوا "بانك"؟

قال لي شابٌّ نحيف يقف إلى جواري:

- هذا جميل.

- صحيح.

- هل أنت من "ريكيافيك"؟

أجبتُ بفخر:

- أجل.

سرتُ بعد الحفل إلى متجر بقالة وأنا أرتعش من البرد. مكثتُ قرب النّافذة، وأبقيتُ نظري على الطَّريق في انتظار المُزارع. أعارني الكثير من الصِّبية في المتجر انتباهًا واضحًا، كانوًا يتحدثون عنّي ويهمسون ويضحكون. كانوا أكبر مني بأعوام قليلة.

سأل أحدهم:

- هل أنت "بانك"؟

- أجل.

- هل يمكنني البصق عليك إذًا؟

أجبتُ بسخط.

- كلّا!

ضحك الآخرون.

لقد مررتُ بمواقف مشابهة من قبل.

- إنْ كنتَ "بانك" فيمكنني البصق عليك.

التزمتُ الصمت. هل هذا صحيح؟ هل يمكنك البصق على "البانك"؟ متى حدث ذلك؟ لم أصدِّق ذلك، فمن الصَّعب أنْ يبصق النّاس على "نينا هاجن" في المتاجر.

اقترب الصبيُّ مني.

- ما هذا الذي يحيط بعنقك؟

- عقدة مشنقة، نفسها التي تُستخدم لشنق الناس.

سحب الصبيُّ طرف الحبل، وضحك الآخرون.

قلتُ له:

- توقَّف عن ذلك.

- ماذا؟ ألستَ "بانك"؟

- اترُكني.

شعرتُ بالخوف، وبدأتُ أترقب وصول المُزارع بتوتُّر.

قالت فتاة:

- دعْه وشأنه.

- ألا يمكنني التحدُّث إليه؟

أردتُ الهرب والاختباء خلف الكاونتر.

قالت الفتاة:

- لو واصلتَ التصرف هكذا فسيكون عليك الرحيل.

تركني الصبيُّ، وعاد إلى أصدقائه الذين ضحكوا، وابتسمتُ للفتاة التي أنقذتْني بامتنان، واقتربتُ منها.

- هل أنتِ من "ريكيافيك"؟

- أجل. أقيم في الرّيف القريب.

- هل تستمع إلى "البانك"؟

- أجل.

فوجئتُ بالسؤال بشكل أسعدني، كانت تعرف "البانك"!

- هل أنت معجب بـ"نينا هاجن"؟

لم أصدِّق أذنيَّ، "نينا هاجن"! إنَّها تعرف مَن هي "نينا هاجن"! وربما تعرفها شخصيًّا!

أجبتُ بسعادة وأنا أشير إلى حذائي كدليل:

- أجل.

نظرنا معًا إلى حذائي، ثم نظرتْ إليَّ متسائلة، خلط المطر الحبر وحوَّله إلى كتلة داكنة.

- كتبتُ اسمها على حذائي.

- آه، حسنًا.

قلتُ بتفاخر:

- نينا هاجن" مغنيتي المفضلة، لديَّ بوستر لها بالمنزل.

- في الحقيقة، لم أستمع إلى أيٍّ من أغانيها قطُّ، رأيتُ فقط صورًا لها ووجدتُها جميلة وعظيمة.

قالت الفتاة:

- لديَّ أحد ألبوماتها، ألبوم "أونبيهاجن".

أومأتُ كأنَّني أعرف بالتَّحديد عمَّ تتحدَّث، وإنْ كنتُ في الواقع لا أعـرف شيئًا عنه. "أونبيهاجن"؟ ما معنى ذلك؟

أردتُ قول أيِّ شيء:

- "ذا كلاش" هي فرقتي المفضَّلة.

- هل حضرتَ حفلاتهم؟

- كلا.

- كانوا بارعين.

- هل حضرتِ؟

- أجل.

قالتها بتلقائيَّة كأنَّه أمر عادي.

تفحصتُها بفضول. لم تبدُ "بانك". لم يكـن بنطالهـا الجينـز ممزَّقًـا، كانـت ترتدي تيشيرت بسيطًا بأكمام طويلة. شَعرها طبيعيٌّ، مربوط إلى الخلف. لم تبدُ "بانك"، لكنَّها تستمع إليهم. كذلك لم يكن "أولي" مـن "البانـك"، مـع أنَّ لديه ألبومات "بانك" أكثر مما لـديَّ. لا أملـك أيَّ ألبومـات "بانـك". شـعرتُ بالفخر لمقابلة شخص حضر حفلات "ذا كلاش" مباشرة.

أضافت قائلة:

- لديَّ ألبوم لهم أيضًا، ماذا لديك من ألبوماتهم؟

لم يكن بوسعي الاعـتراف لتلـك الإنسـانة المذهلـة - التـي لم تكـن ملاكًـا حارسًا للمضطهدين فحسب، بل مسـتمعة "بانـك" شـغوفة أيضًـا – أنَّنـي لا أملك ألبومًا واحدًا.

- لا أملك ألبومات هنا، فلا يوجد مشغِّل أسطوانات حيث أقيم في الرّيف.

- يا للسَّخافة! لا يمكنني البقاء في مكان لا يوجد به مشغِّل أسطوانات.

- أجل، لكنّ الراديو أذاع أغنية "لندن كالنج" حديثًا.

سألتْ:

- هل يوجد كاسيت حيث تقيم؟

في الواقع، كان هناك جهاز راديو كاسيت في غرفة المعيشة، يشبه جهاز أمّي.

قلتُ موضِّحًا، كعذر:

- أجل، لكنَّني لا أملك شرائط كاسيت.

قالت مجددًا:

- يا للسَّخافة!

تمتمتُ بغرابة:

- أجل.

- يمكنني تسجيلها من أجلك.

- حقًّا؟

بعد ثلاثة أيام، أوصلني المُزارع إلى "أكوريري" مرة أخرى. عدتُ إلى المتجر وأخذتُ الشَّريط، كان في علبة، وكُتب عليه من الخارج بحبر أزرق: **ألبوم "أونبيهاجن" للمغنية "نينا هاجن"**. يا للرَّوعة! عدنا إلى المنزل، واستعرتُ الكاسيت وأخذتُه إلى غرفتي، هناك فتحتُ الغطاء بيديْن مرتعشتيْن، وأخرجتُ تلك الجوهرة التي تحوي أكثر الأغنيات إثارة بصوت أجمل فتاة في العالَم. "أونبيهاجن" على شريط "تي دي كيه" أسود. ستّون دقيقة من "البانك" الرائع. فتحتُ الكاسيت ووضعتُ الشَّريط ثُمَّ أغلقتُه، أخذتُ نفَسًا عميقًا وضغطتُ على زرِّ التشغيل. ملأتْ أنغام

"الريجي الأفريقيَّة" الغرفة. تعرَّضتُ لتنويم مغناطيسي غرامـي، فلـم أسـمع أحدًا يغني بتلك الطريقة مـن قبـل. كانـت حبيبتـي تنـوّع مـا بـين الهمـس بصوت عميق، والصريخ مثل سيدة عجوز، ثم تتحوَّل فجأة إلى مغنية أوبـرا. كانت فاتنة في جميع الأحـوال. لكـنَّ العقبـة الوحيـدة بيننـا كانـت غناءهـا باللُّغة الألمانيَّة.

كانت النغمات تسرى بيُسر، أصوات حادَّة متتابعة مع صـوت مُصـطنع قويٍّ يشبه أنغام "الفالس". كانت تتحـدَّث بسرعـة مثـل إعصـار، لم أتمكَّـن حتّى من تمييز الكلمات. حاولتُ تمييز كلمة "فوضى" بين مـا تقـول لكـن لم أسمعها إطلاقًا. كما كان صوت الآلات الموسيقيَّة رائعًا. زملاؤهـا الرجـال في الفِرقة من العازفين البارعين لكن ليس لهم مظهر "البانـك". كـانوا يرتـدون ملابس معتادة، وفقًا للصُّورة التي رأيتُها في "برافو". أشبه "نينـا هـاجن" في كوني "البانك" الوحيد في الفرقة، كان هناك عـزف جيتـار منفـرد في معظـم الأغنيات، رغم أنَّني لم أستمع للكثير مـن أغنيـات "البانـك" فـإنَّني علمـتُ بوجود قاعدة ضدَّ عزف الجيتار المنفرد في أغنيـات "البانـك". كانـت خيبـة أملي كبيرة، شعرتُ بالحزن. لم يكن هـذا "بانـك" حقيقيًّـا، كـان شـيئًا آخـر. كانت تغيِّر صوتها باستمرار، يبدو أنَّ "نينا هاجن" لا تهتمُّ بالفوضـويَّة، ولا بقلب النِّظام، كلُّ ما يهمُّها هـو الـذهاب إلى أفريقيـا. لم أتمكَّـن مـن رؤيـة "البانك" في ذلك. هل يوجد "بانك" في أفريقيا؟ هل يوجد متمرّدون هناك؟ لِمَ لا تذهب إلى "لندن" بدلًا من ذلك؟ لم أفهـم. أثـارت الموسـيقى أعصـابي، وأصابتْني بالملل. لم أفهم الكلمات. أوقفـتُ الموسـيقى وأخرجـتُ الشّريـط، ثُمَّ أعدتُه إلى العلبة. يا لخيبة الأمل! خيَّبتْ "نينا" أملي، لكنَّ الحب أعمـى. نظرتُ إلى البوستر بحسرة، كانت جميلة، وقويَّة، وفاتنة. قـررتُ مسـامحتها

على الموسيقى السيئة. لا أحد كامل. لم أستطع التوقُّف عن حبِّها حتّى إنْ كانت مملة، وقررت التمسك بالأمل، فربَّما تُصدِر ألبومًا آخر أفضل من ذلك، تطلِق عليه "أناركيهاجن" (فوضى هاجن)، باللُّغة الإنجليزيَّة. ربما تحتاج إلى فرقة مختلفة فحسب، ربما تحتاج إلى شخص يلفت انتباهها إلى الملل الذي يثيره سائر أعضاء فرقتها، ووجوب استبدالهم. ربما عليها مشاركة "سيكس بيستولس" الغناء. إنَّ مظهرها مقبول، لم أكن لأخجل إنْ كانت صديقتي، كنتُ سأسير معها حول المدينة بسعادة، لكنَّ حبي الأول كان سطحيًّا، لقد أحببتُ "نينا هاجن" لمظهرها فقط.



حياة الوادي



أنا مجرَّد ضحيَّة لأسوأ أكاذيبك

أرسل صورتي باسم مختلف

أنا ضحيَّة المجتمع

لا يجب على أحد إقناعك الآن

هذا شأنك وأنا لا أصوت

أنا ضحيَّة المجتمع

أنا موضوع النِّقاش الآن

أنا مَن لا يحبه أحد

ضحيَّة المجتمع

أنا لا أعاني من البارانويا

إنها اختراعك أنت وهم

أنا ضحيَّة المجتمع

- **"ديستشارج"**

عدتُ إلى المنزل من الرّيف، في اليوم نفسه الذي تمَّ فيه تعيين "فيجتيس فينبوجادوتير" رئيسة لأيسلندا. وفي هذا اليوم ذاته، فجَّر إرهابيّون إيطاليّون محطة قطار في "بولونا"، وقتلوا 85 شخصًا، فخفَّضوا تعداد سكان العـالَم إلى "أربعة مليارات وأربعمائة وأربعة وثلاثين مليونًا، وستمائة واثنين وثمانين ألفًا فقط. كان نصيب الأيسـلنديين مـنهم 292187. كـان "جيمـي كـارتر" رئـيس الولايات المتحدة، ولكنه كان على وشـك الخسـارة أمـام "رونالـد ريجـان" في الانتخابات الرئاسيَّة. اقتحم السوفيت أفغانستان. سيتطوَّر الإرهابيّون لاحقًـا إلى "طالبـان" ويـزدادون قـوةً في أفغانسـتان. وستنشـب الحـرب بـين إيـران والعراق. ستساند الولايات المتحدة العراق وتمدُّهم بالطَّعام والمال والسِّـلاح. وبدعمهم سيقتحم "صدام حسين" إيران.

كـان الأيسـلنديّون قـد بـدؤوا في اسـتخدام "كـروت الائـتمان" لتـوِّهم، وسيستمرّون حتّى يصلون إلى الرِّيـادة في اسـتخدامها حـول العـالَم. وكانـت السُّلطة مع الحزب الديمقراطيِّ الاجتماعيِّ، الذي سيتحوَّل لاحقًـا إلى (قـوات التَّحـالف). وكـان "بينيـدكت جرونـدال" هـو رئـيس الـوزراء. والتضـخُّم في أيسلندا قد بلغ 100%، ولم تكن هناك أي مؤشرات تنبئ بتوقُّفه عن التزايد.

لم يهمني شيءٌ من ذلك، كان العالَم - بالنِّسبة لي - ذاهبًا إلى الجحيم في كلِّ الأحوال. ليس لي أيُّ مستقبل، ولستُ ناجحًـا. لا أخشى المسـتقبل؛ فقط لم أكن مهتمًّا به. تجنَّبتُ التَّفكير فيه. كنـتُ أضـيِّع الوقـت. تنتظـر

القنبلة الذَّريَّة أنْ يستخدمها أحـدهم، وستنفجر في أيِّ لحظـة. إنَّهـا مجـرَّد مسألة وقت حتّى ينتهي العالَم. قذف الأمريكيون "هيروشيما" و"ناجاساكي" بالقنابل الذَّريَّة. يمكـن أنْ يحـدُث هـذا مجـدَّدًا. تحـدَّث النّـاس عـن ذلـك. والقاعدة الأمريكيَّة العسكريَّة في "كيفلافيك" تعرّضنا للخطـر، فربَّمـا تقـذف "روسيا" مطار "كيفلافيك" بالنووي إنْ نشبَتْ الحرب بين "أمريكا" و"روسيا". ستحترق "ريكجانس" كلُّها. سيموت الجميع. ستهتزُّ "ريكيافيك" من موجات الصَّدمة وتنهار المنازل، ومن لم يمُت في الانفجار سيقتله الإشعاع.

أصبحتُ واحدًا أصيلًا من جماعة "البانك". ومن أولى المهـام التـي قمـتُ بها: الذهاب إلى متجر الحيوانات الأليفة في "جرينساسفيجور"، وشراء طـوق كلب مرصَّع بالبروز الشائكة، ووضعتُه حول عنقي بدلًا مـن ربطـة المشـنقة. كما كنتُ أكره لون شَعري، فأردتُ صبغه باللون الأخضر، ولكنَّ أمّي رفضَـتْ ذلك. ولما كنتُ قد أُصبتُ بالكثير من العدوى نتيجة لثقب أذني بالـدبابيس، وافقتْ أمّي على ثقب أذني بشرط الذّهاب إلى متخصص في صـالون تجميـل. هذه كانت المهمـة التاليـة. جلسـتُ عـلى مقعـد صـالون التجميـل ومِعـدتي تعتصر من القلق. برَّدَتْ متخصصـة التجميـل أذُني بـالثَّلج أولًا، ثـم وضـعتْ مسدَّسًا عند أذُني وسألتْ:

- هل أنت مستعدٌّ؟

كتمتُ أنفاسي وأغلقتُ عينيَّ، وتقلصَتْ عضلات جسدي كلُّها، ثُمَّ أومأتُ برأسي.

تملكتْني الدهشة عندما لم أجد الأمر مؤلمًا على الإطـلاق. أصـبح لـديَّ ثقب أذُن حقيقيٌّ. شعرتُ أنَّ شخصيتي تضاعفتْ قوَّتها. وعند خروجـي،

شعرتُ كأن الجميع يحدِّقون بأذُني. كلُّ مَن قابلتُ حدَّق في أذني، حتّى سائق الباص، وكذلك شعرتُ أنَّ عيون الركّاب جميعًا موجَّهة إلى أذُني. كان الأمر مذهلًا. دخلتُ غرفتي وجمعتُ كلَّ الأشياء الطفوليَّة، أو ما ليس له طابع "البانك"، تخلَّصتُ من بعضها ووضعتُ البقيَّة في الخزانة. ثم علَّقتُ بوستر "نينا هاجن" وقصاصات الجرائد التي جمعتُها.

بعدها تفقَّدتُ ملابسي. اخترتُ من بينها مجموعة ومزَّقتُ بعضها، وتخلَّصتُ من معظمها. احتفظتُ ببعض البناطيل الجينز والتيشيرتات والقمصان. كَحَتُّ منطقة الرُّكبة في البناطيل بورقة صنفرة خشنة حتّى تهلهلَتْ وتمزَّقَتْ. قطّعْتُ ياقات القمصان. ثم كتبتُ بقلم أسود ثقيل حرف "إف" في دائرة وكلمة "فوضى" وبعض أسماء الفِرق الموسيقيَّة على الملابس كلِّها.

لكنَّني كنتُ أحتاج إلى معطف جيِّد، فـ"البانك" لا يرتدون المعاطف الواقية من الرِّياح. يرتدون معاطف من الجلد. لم يكن لديَّ أيٌّ منها. اتصلتُ بـ"أولي" وسألتُه عن مكان يمكنني الحصول منه على معطف جلديٍّ بسعر رخيص. قال إنَّ بإمكاني أخْذَ معطف أخيه "فريوجونس". فأسرعتُ إلى منزله مرتديًا التيشيرت الذي قطعتُه للتوِّ وحصلت على المعطف الخاصِّ بي. لم يكن الجِلد طبيعيًّا، كان جلدًا صناعيًّا، وليس أسود، كان لونه بُنّيًّا. لم يكن "الإستايل" المناسب، لكنَّ الشحاذ لا يملك الاختيار. فقطعْتُ الأساور وأجزاء منه.

ارتديتُ الطقم، وذهبتُ إلى أمّي وهي تلعب السوليتير.

- يا إلهي، ماذا فعلتَ يا فتى؟

قلتُ موضِّحًا:

- هكذا يرتدي "البانك".

تنهَّدَتْ أمّي بعمق وهزَّتْ رأسها في يأس.

- هل يمكنني الحصول على المال؟

عادت إلى لعب السوليتير، وقالت بصوت منخفض كالعادة:

- اسأل والدك.

كنتُ أفضِّل تجنُّب هذا مهما كان الأمر.

- لا يمكنني التحدُّث إليه، ألا يمكنكِ منحي بعض المال؟

- لماذا تريد المال؟

لم ترفع نظرها عن اللعبة.

- أريد شراء ملصقات وألبوم.

- كم سيتكلَّف ذلك؟

أخبرتُها بالمبلغ، فكَّرَتْ قليلًا ثم تنهَّدَتْ وقامت، أخرجَتْ محفظتَها ومنحتْني المال.

- تفضَّل.

- شكرًا!

شعرتُ بالامتنان، لأنَّني لم أعُد مضطرًّا إلى التحدُّث مع أبي وطلب المال. لم يكن سيعطيني المال لشراء الملصقات والألبومات مطلَقًا، وكنتُ سأضطرُّ إلى الكذب والقول بأنَّني ذاهب إلى السّينما، وتقديم ذراعي له والسَّماح له بالإمساك بي في قبضته القويَّة ومداعبة خدّي، والهمس بشيء لن أسمعه في أذني لكنَّني سأومئ برأسي على أيِّ حال، وأبتسم بلطف كأنَّني صبيٌّ جيِّد لطيفٌ. حتّى إنَّه كان سيتحدَّث عن اقتحامي غرفته،

وكم هو أمر غير ملائم بالنِّسبة له، فأضطرُّ للتعهُّد بعدم تكـرار ذلـك، لـيس لأنَّني لا أنوي تكرار ذلك حقًّا، بل لأنَّني أختنق، وأودُّ الابتعاد عنه سريعًا.

ركبتُ الباص إلى "هليمور"، وذهبتُ إلى المتجر الوحيـد في "لوجـافيجور" الذي يبيع شارات. كـان متجـرًا يحـوي أشـياءً متنوِّعـة للأطفـال والمـراهقين. يديره رجل عربيٌّ مُسِنٌّ. متجـر بـه كـلُّ شيء مـن الأرض إلى السَّـماء، ملابـس مُسايرة لصيحات موضة مختلفة، وصور كبيرة، وأحزمة بأشـواك، وملصـقات، وشارات، وبخور، وبه أيضًا قنابل تُصدِر روائح كريهة، ومقالب. كنتُ أذهـب إلى هذا المتجر كثيرًا، عادة للمشـاهدة وتمنّـي الحصـول عـلى الأشـياء فقـط. اشتريتُ بعض الأشياء. اشتريتُ مرة برازًا زائفًا. كان مصدر متعة لا نهائيَّة إلى أنْ صادرَه المعلِّمـون في المدرسـة. كـما اشـتريتُ القنابـل التـي تُصـدِر روائـح كريهة، كنتُ ألقيها من النوافذ أو أضعها في صناديق بريـد الأشـخاص الـذين يضايقونني.

تطوَّر المتجر في تلك الحقبة وأصبح جنة "بانك" حقيقيَّة. كان به كلُّ شيء يمكن للـ"بانك" أنْ يحلموا به؛ بناطيل ممزَّقـة مخيَّطـة بـدبابيس، ومعـاطف من الجِلد الحقيقـيِّ، أساورها سميكة وبطانتها حمراء اللـون، وملصـقات. في أحد الجوانب ملصقات من القماش يمكنك حياكتها في ملابسك، وفي الجانـب الآخر دبابيس وبروشات تضعها في ثقوبك.

تفحَّصتُ كلَّ شيء بدقَّة، وسألت عن الأسعار، كان العربيُّ يجيب بصـبر وتعقُّل بلهجته الغريبة. بعد الكثير من التَّدقيق اشتريتُ قماشة بها علامـة الفوضويَّة لأحيكها في ملابسي، وثلاثة مشـابك صـغيرة: واحـدًا عليـه شـعار فريق "سيكس بيستولس"، والآخـر جملـة "اللعنـة عـلى النِّظـام"، والأخـير عليه صورة فريق "ذا كلاش". ثُمَّ اشـتريتُ الكثـير مـن الأشـواك الحديديَّـة

لأعلّقها في ملابسي. لم يكفِ ما معي من مال لشراء المزيد، إذْ كنتُ بحاجة أيضًا إلى شراء ألبوم. ثبّتُّ الأشواك الحديديَّة إلى معطفي ووضعتُ الدبابيس، ثُمَّ تسكَّعتُ حتّى وصلتُ متجر أشرطة التَّسجيل.

كان معي ما يكفي لشراء ألبوم واحد، تفحَّصتُ جميع ألبومات "البانك" بالمتجر واستمعتُ إليها بحرص. حرصتُ ألّا أشتري واحدًا يمكنني استعارته من "أولي". كما أنَّ معظم الألبومات تحوي أغنية واحدة جيِّدة من بين جميع الأغاني. استمعتُ إلى "شام 69"، ليسوا مشهورين، ولم أُعجَب بهم. كان بألبوم "ذا ديد كينيديز" بعض الأغاني الجيدة مثل: "كاليفورنيا أوبر أليس"، و"تو درنك تو فاك" لكنَّني لم أشعر أنَّ الأمر يستحقُّ شراء الألبوم كله.

بعد تفكير عميق، قررتُ شراء "إنفلامابل ماتريال" لفرقة "ستيف ليتل فينجرز". شاهدتُ برنامجًا عنهم على التليفزيون. إنَّهم من شمال "أيرلندا"، وبدوا كأنَّ لهم آراءً قويَّة حول الحياة والوجود. كان لهذا قيمة في نظري، إضافة إلى أنَّ الألبوم كان به الكلمات مكتوبة. لكن ما جعلني أشتري هذا الألبوم تحديدًا هو ارتداء المُغني الرئيسي للنظّارة. كانت نظّارة مُربَّعة معدنيَّة مثل نظارتي، فشعرتُ بتواصل معه فورًا.

لم يكن هناك الكثير من مُحبّي "البانك" في "فوسفوجور"، كان الكثيرون يحبّون الموسيقى، لكنهم لم يكونوا مستعدّين لقَطع الطَّريق حتّى آخره، مثل الفتاة في متجر "أكوريري". يرتدون ملابس معتادة لكن لديهم ألبومات "بانك". وهناك "البانك" الزائفون، يظنّون أنَّ بإمكانهم أنْ يصبحوا "بانك" بالاستماع إلى الموسيقى، لكنْ كان ينقصهم التفكير الراديكاليُّ، بمعنى أنَّهم لم يفقدوا الأمل في المستقبل ولم يكونوا غاضبين

على النِّظام. بالنِّسبة لهؤلاء، كان "البانـك" مجـرَّد موضـة مُسـليَّة وسـطحيَّة. حتّى إنَّهم كانوا يستمعون إلى "أدم آنت" عـلى أنَّـه مغنـي "بانـك". لم يكـن لديهم اهتمام بالفوضويَّة، ولم أكـن أريـد الارتبـاط بهـم. عليـك الحـذر مـن "البانك" الزائفين! لم يكن "البانك" بالنِّسبة لي موضة عابرة، بل أسلوب حياة. كانت الملابس وسيلة مؤكّـدة النجـاح للانـتماء لمجموعـة معيَّنـة مـن النّـاس وللتَّسهيل على سائر جمهور "البانك" التعرُّف عليَّ. كما كانت تعبيرًا قويًّا عن إيمان الفرد وأيديولوجيته. كان الأهمّ لي هو المعنى العميق من كوني "بانك"، يعني هذا أنَّني مختلـف، لا أنتمـي إلى الجمـوع، أحلـم بـالموت يومًـا مـا في سلام، كي لا أضطر بعدها إلى القيام بأمور بلا قيمة. كانت الفوضى جزءًا كبيرًا منه. كنتُ بالنِّسبة للعالَم الطبيعيِّ أخرقَ وغبيًا وقبيحًا. لكنَّني في عالم الروك "البانك" كنتُ إنسانًا سويًّا، كنتُ نبيهًا وجذّابًا. منح "البانك" حياتي معنـى. لم تعُد للقواعد سُلطة عليَّ، إذْ يمكنني - حسب قواعد "البانك" - فعل ما يحلو لي. يمكنني الكتابة دون أنْ يسخر مني أحدهم إذا كـان الخـطُّ سـيِّئًا. كانـت الكتابة بشكل سيِّئ جزءًا من كونك "بانك". يمكنني العزف على الجيتار دون تعلُّمه. يمكنني القيام بأمور وقول أشياء يرفضها النِّظام لأنَّ "البانـك" يـرفض النِّظام. يتمرَّد "البانك" على النِّظام وعلى التَّفكير التَّقليديِّ. كان النِّظام الـذي أعرفه جيِّدًا هو النِّظام المـدرسيُّ، أكرهـه وأخشى كـلَّ الأنظمـة التـي تحـاول دفعي إلى "مستقبل". كنتُ أكره كلَّ مَن يتبع القواعد، أكره كلَّ القـيم التـي تبدو جذابة لكنَّها تجعل كلَّ مـا أعرفـه يبـدو بـلا قيمـة. كـان النِّظـام يريـد تعريفي كانحراف عن الطبيعيِّ، لم أكن أنتمي إلى نظام المدرسة، لكن لم أكن أنتمي إلى البلداء كذلك. يظن النِّظام أنَّني غبيٌّ ولكنَّنـي لسـتُ كـذلك. ربَّمـا

كنتُ أذكى من النِّظام. "البانك" يعلو على النِّظام؛ أدركتُ أنَّني لستُ مجبرًا على تعلُّم قواعدهم اللَّعينة، لم أصدق نصف هذا الهراء، لم أرَ فائدة من تعلُّم الرِّياضيّات أو اللُّغة الدانماركيَّة، ولم أهتمّ بآراء الآخرين فيّ. رفضتُ السَّماح للآخرين بتصنيفي. حرَّرَني "البانك" من سُلطة الأوامر غير المباشرة من المدرسة وأمّي وأبي. أردتُ التَّعبير عن نفسي، أردتُ التحدث أو حتّى الصُّراخ، أردتُ التَّحرُّر، أردتُ السَّلام. كان "البانك" سفينة تُبحر من ميناء مملٍّ، وصعدتُ أنا إليها من أجل مغامرة جديدة.

بدأتُ في الذهاب إلى مركز الشباب في "بوستاير" محاولًا إيجاد "بانك" آخرين، قابلتُ هناك "ألي". كان يعيش على بُعد شارع واحد، والده معلِّم في مدرسة "أوستوربايجار" وكان يذهب إليها، لذا لم نتقابل سوى في إجازة الصَّيف. أصبح "ألي" "بانك"، كان يرتدي جاكت بذلة قديمًا، بعد أنْ علَّق به ملصقات. تفحَّصتُها بدقَّة، كانت جميعها "بانك" عدا واحدة: "ذا بوليس". "ذا بوليس" ليسَت فرقة "بانك"، كانت تتبع الموجة الجديدة، كلمات الأغاني بَلهاء ولا تناقش شيئًا مهّمًا. تتحدَّث إحدى أغنياتهم - "السير على القمر" - عن مجموعة بُلَهاء يسيرون على القمر. ويتحدَّث عدد لا نهائيّ من الأغنيات عن الفتيات، مثل "روكسان". "البانك" الحقيقيّون لا يبكون على الفتيات. رغم ذلك كان "ألي" "بانك" بدرجة تكفي كي أقضي الوقت معه.

كان معظم الصبية في "بوستاير" غرباء، يحبّون الدّيسكو، أو تقليديّين. لم يحاول معظمهم مضايقتي، لكنْ كان هناك مجموعة من الصِّبية أطلقت عليهم "الأوغاد". "الأوغاد" هم مجموعة من الصِّبية يظنّون أنفسهم ظرفاء وأذكياء يُعِدُّون دائمًا المقالب، ولكنَّهم كانوا

مـزعجين، يتحرّكـون في مجموعـات ويتحـدَّثون بصـوت عـالٍ، وفي الشِّـتاء يتصارعون على الجليد ويحاولون حشْر الـثَّلج في فـم بعضـهم بعضًـا. كانـت موسيقاهم المفضلة هي "سكا" الكوميديَّة، مثل "مادنس" و"باد مانرز". كـما يحضرون أفلامًا من نوعيَّـة H.O.T.S. أفـلام عـن فتيـات تشـجيع بالمدرسـة الثانويَّة، يظنّون أنَّها أفلام عظيمة. لم يكن لديهم حبيبـات، كـانوا يتسـكَّعون معًا فقط، وكأنَّ حياتهم تمرُّ ما بين شجارات صغيرة، وصراخ ونكات سخيفة.

حين يجهّـز "الأوغـاد" مقلبًـا يتغـير سـلوكهم، يظهـر الكثـير مـن الهمـس والضـحك سرًّا أو قهقهـات قويَّـة مكتومـة. كـما أنَّ لمقـالبهم دائمًـا علاقـة بالفتيات بشكل ما. أحيانًا يلهون بالسدّادات القُطنيَّة النِّسائيَّة، يغطّسوها في الكاتشـب ويلقونهـا عـلى بعضـهم بعضًـا ويصرخـون بسـخرية. أمّـا الـواقي الذَّكَري فكان إبهارًا بالنِّسبة إليهم. يظهرون أحيانًا بواقٍ ذكـري قـاموا بمِلئِـه ببصاقهم ليلقونه على بعضهم أو يدَّعون أنهـم اكتشـفوه في حـوزة بعضـهم، حتّى إذا فرغوا من إلقائه على بعضهم ألقـوه عـليَّ. كـان "الأوغـاد" يركِّـزون عليَّ بشكل خاصٍّ.

يسخر مني "الأوغاد" في كلِّ ليلة، يتهكَّمون عليَّ ويدفعونني، يحـاولون إسقاطي أرضًا بأنْ يصدموني. طلبتُ منهم تَـركي وشـأني لكـنَّ هـذا زادهـم حرصًا على مضايقتي، فتعلَّمتُ الصَّمت حتّى ينتهوا ممّا يفعلون. يأتي أحد العمال أو فتاة ما لإنقـاذي عـادة. تحمَّلـتُ الأذى ولم أشـكُ إلى المسـؤولين قطُّ. فإنْ فعلتُ لضربـوني لاحقًـا. كنـتُ أتأكـد قبـل الخـروج أنَّهـم ليسـوا بالخارج، وبالداخل أجلس حيـث يـراني العـاملون، ولا أذهـب إلى الحـمّام

وحدي. وكنتُ حين أحتاج إلى الذّهاب إلى الحـمّام أنتظـر حتّـى يكـون أحـد العاملين ذاهبًا، أو أتسلَّل بينما الأعداء في مكان بعيد لا يرونني.

لم أسعَ مطلقًا إلى أيٍّ من هذا، ولم أرغب فيه، لم أكن مهـتمًّا. كنـتُ أجـد المراهقين أغبياء ومملّين في العموم، معظمهم منهمكون في أمـور سـطحيَّة لا قيمة لها. تهتمُّ الفتيات بمظهرهنَّ، ولا يفكِّر الصِّبية في شيء سـوى الفتيـات، وإنْ كانت لهم هواية فهي عادة رياضة ما. كنتُ أكره ممارسة الرّياضة.

وقفتُ في الـركن أرقـب دخـول "بانـك" مـن البـاب. كـان "سـيجي" أكثر شخص أتمنّى مقابلته، إنه أشهر "بانك" في "ريكيافيـك". كـان عضـوًا في فرقـة "ماسترباشـن" ويسـكن في الجـوار، كـان "بانـك" حقيقيًـا، بثقـوب في أذنيْـه، وجاكت من الجِلد الطبيعيِّ، وجينز ممزَّق، لم أقابلـه مـن قبـل، وإنَّمـا رأيـتُ صوره في الجرائد. سـمعتُ قصصًـا عنـه ورأيـتُ "جرافيتـي" لـه في محطّـات الباص. كان يرسم رمز الفوضويَّة بالحبر الأسود ويكتب شعارات قصيرة مثل: "اللَّعنة على النِّظام"، و"فلتسـقط الشُّرطـة"!. أردتُ بشـدة مقابلـة "سـيجي" "البانك" لأحصل على النصائح والمعلومات، وحتّى نصبح أصدقاء، ولكنَّه كـان يكبرني بعدة أعوام، لذا ربَّما لن يكون مهتمًّا بصداقتي.

أردتُ مقابلة شخص يمكنني الحـديث معـه، شـخص يفهمنـي، شـخص يشاركني الحياة نفسها. أردتُ التحدُّث عن النِّظام وسعيه إلى قتل روحـي. أردتُ مقابلة شخص يفهم معنى الفوضويَّة ويمكنه توضيح تلـك الظـاهرة لي. أردتُ استكشاف الأمور الغامضة في الحياة، لم أكن لأهدأ حتّـى أحصـل على بعض الإجابات. ربما هناك دولة فوضويَّة، حيث يمكن للنـاس العـيش دون أنْ يتـدخَّل أحـد في أمـورهم. كنـتُ أشـتاق إلى المعرفـة كـما يشـتاق العطشـان للـماء. ولـيس تلـك المسـلَّمات التافهـة التـي يـتمُّ تدريسـها في

المدارس، لم تكن لهذه أهميَّة بالنِّسبة لي. أردتُ "معرفتي". حتّى الجريـدة لم يكن بها إجابات. تهتمُّ كلُّها بأمور غـير مهمـة. حاولـتُ إيجـاد كُتـب تحمـل بعض الإجابات، لكن مـا الكتـب المتـوافرة؟ لم يكـن هنـاك كتـب مناسـبة في المكتبـة. كـان بهـا كتـب قديمـة، جافـة ومملَّـة. لقـد مـات "بوربيرجـور بوروارسون"، إنْ كان حيًّا لتبعتُه. قرأتُ معظـم كتبـه، شـعرتُ بتنـاغم معـه، فهمني ووجَّهني. لماذا كنتُ دائمًـا قلقًـا ومضـطربًا وأفتقـد الشُّـعور بالرّاحـة بينما يبدو الآخرون جميعًا مسترخين دون قلق؟ ألسـتُ طبيعيًّـا؟ هـل كنـتُ مجنونًا؟ أم ربَّما هم غير الطبيعيين؟

لذا، جلستُ هناك ليلة تلو الأخرى، أخوض عذابًا مستمرًّا محـاولًا إيجـاد إجابات لحياتي الغامضة. أصبحَت ملصقات الفوضـويَّة مصـدرًا لتعليقـات لا تنتهي.

- هل أنت فوضويٌّ؟

- أجل.

- أنت لا تعرف ما هي الفوضويَّة.

- بل أعرفها.

- ماذا تعني إذًا؟

- تعني أنْ يتركك الآخرون وشأنك، وأن تفعل ما تريد دون أنْ يتحكم بك المسؤولون والشُّرطة، إنَّها رفضك جميع القوانين.

- ضد جميع القوانين؟ هل أنت ضد قوانين المرور كذلك؟

- إممم.. أجل.

- إذًا، هل يمكن لأحدهم دهسك بسيارته وأنت تسير على الرَّصيف؟

- إممم.. لا.

- أنت لا تعرف شيئًا عن الفوضويَّة إطلاقًا.

- بل أعرف، إنَّها أنْ يتركني الحمقى أمثالك وشأني.

كان ينتهي بي الحال في العادة عاجزًا. لم تكن معرفتي بالفوضويَّة تسمح لي بالجدال. عدتُ إلى المكتبة وانغمستُ في الكتب التي أتت على ذِكر الفوضويَّة. حفظتُ النظريات والأسماء المهمَّة في ذاكرتي، قررتُ أنَّني - في الأغلب - لستُ "باكونيني"، لكنَّني – ربما - "براودهونست". وفي المرات التالية، حينما سُئلت هل كنت فوضويًا، أجبتُ بثقة:

- أجل، أنا "براودهونست".

كانت تلك إستراتيجيَّة جديدة.

- وما هذا؟

- تلك نظريَّة تابعة للفوضويَّة، سُميت تيمنًا بـ"بيري جوزيف براودهون".

أخرجَني "براودهون" من أيِّ نقاش عن الفوضويَّة. أخذ النّاس انطباعًا بأنَّني درست الفوضويَّة جيِّدًا، وعندما يفشل ذلك، كنتُ ألقي باسم "باكونيني" متحدِّثًا عن الخلاف بين النظريتيْن. بعدها توقَّفوا عن معاملتي كتافِهٍ، بل عوملتُ كمجنون. لكن لم تتمكَّن تلك الإستراتيجيَّة من منْع "الأوغاد" من مضايقتي، لم تكن معرفتي بـ"بوكانيني" أو "براودهون" أو الفوضويَّة تهمُّهم. كانت مضايقتي ممتعة بالنِّسبة لهم، هذا كلُّ ما في الأمر.

حاولتُ تجنُّب "ألي" قدْرَ المُستطاع، فوجودنا معًا كان يزيد العذاب سوءًا، كأنَّه عرض بمتجر، اثنين بدلًا من واحد، طازجين وجاهزين للتَّعذيب. لم يساعدنا كوني ابن ضابط أو كون "ألي" ابن معلِّم، ولسبب ما وجد "الأوغاد" أنَّ تعذيب "ألي" أكثر إمتاعًا من تعذيبي. كانوا

يضايقونه أحيانًا ويتركونني في سلام، إلى حدٍّ ما. كما أنَّه كان يأخذ المضايقة بشكل شخصيٍّ أكثر منّي ويغضب. كان هذا بمثابة دفعة تشجيع للـ"الأوغاد"، تزيدهم حماسًا. لم أغضب، لم أهتمّ، حتّى حين ألقوا "الكولا" واللّبان الممضوغ عليَّ. كان لديَّ هدف، مهمة جاسوسيَّة سريَّة، وهي جمْع المعلومات عن "البانك". وإنْ كان هذا مقدمة لعمليتَي الاستشهاديَّة، فليكن إذًا. حين أتعرف على المزيد من "البانك"، سنصبح مجموعة كبيرة ولن يجرؤ أحد على مضايقتنا. ويومًا ما سيتحكم جمهور "البانك" في كلِّ شيء.

الشخص الوحيد الذي كنتُ أتحدَّث إليه هو "إيكي" المخدِّر، كان صبيًّا معاقًا يكبرني بثلاثة أعوام. سُمّي "إيكي" المخدِّر لأنَّه كان شديد الغباء، فبدا كأنَّه يتجرَّع المخدِّرات على الدوام. كنتُ أحبُّ "إيكي"، لعبْنا معًا كثيرًا حين كنّا أصغر سنًّا. كانت بيننا أمور مشتركة أكثر ممّا يجمعني بسواه، كأن قوة خفيَّة تجمعنا، كلانا منبوذ، وغير تقليديٍّ. نحن العبقري والأبله.

أخيرًا، جاءت الليلة التي طرح فيها كدح السَّنة الطويلة الثَّمرة المرغوبة. جاء "سيجي" "البانك" إلى "بوستاوير". كان أكثر إبهارًا ممّا تخيلتُ، نحيفًا وذابلًا، أقصر منّي بقدْر حجم رأس كاملة. شَعره الداكن مقصوص ومُرقَّع، من الواضح أنَّه قصَّه بنفسه. احترمَه الجميع بوضوح حتّى أسوأ "الأوغاد" ذهب للتحدُّث إليه والسؤال عن أخباره. كان لبقًا ومتحفِّظًا، يتحدَّث بصوت منخفض، يجيب عن الأسئلة ويتنفَّس من أنفه. ثم اقترب وجلس على الأريكة. حدَّقَتْ به، كان أول "بانك" حقيقيًّا أقابله، وأولَ شخص أكثر ارتباطًا منّي بـ"البانك" ألقاه. يضع حول عنقه سلسلة

كلب، وكان معطفه الجلديُّ أجملَ شيء رأيتُه، أسود تمَّت حياكتُه مـن قِطـع جلديَّة صغيرة، إنَّ معطفًا مثل هذا ثروةٌ حقيقيَّة. بنطاله الجينز ممـزَّق مـن الرُّكبة حتّى أعلى الفخذ، ومكتـوب عليـه بــ"الفلومسـتر" الأسـود. يلـبس في قدمه بـوت جـيش مهلهـلًا. كـان يبـدو في السادسـة عشر أو السـابعة عشر. عيناه هادئتان وحالمتان، تفوح منه رائحة عطـر "الباتشـول". عـليَّ الحصـول على واحد. نظر إليَّ، أوقَفَني الخوف ولم أجرؤ على التحدُّث إليه.

قال:

- أهلًا.

سقط قلبي في قدمي، قال لي "أهلًا"!

قلتُ بإعجاب واضح:

- أهلًا!

صمتنا.

سألتُه:

- "سيجي" أليس كذلك؟

- أجل.

لم أتمكَّن في التَّفكير في شيء أقوله. أيُّ أحمق أنا؟ ماذا يمكنني قوله حقًّـا؟ كان مجرَّد تأمُّله بالنِّسبة لي أمرًا لا يُقدَّر بثمن. اقترب أحـد العـاملين وألقـى عليه التحيَّة. كان شديد الاحترام. من الواضح أنَّ الجميع أحبوه. لاحظـتُ أنَّ لديه مشكلة في نُطق الكاف والجيم، يقول "تلب" بدلًا من "كلب"، و"دميل" بدلًا من "جميل". فنويتُ التـدرب عـلى التحـدُّث بالطريقـة نفسـها. عنـدما ابتعد العامل، التفتَ إليَّ.

- هل معك سيجارة؟

- أجل.

أخرجتُ علبة "الوينستون" المُطبقة في جيبي، سرقتُها من أمّي. كانت العلبة تكفيني شهرًا، لأنّني أدخِّن سيجارة أو اثنتيْن في اليوم، كنتُ أدخِّن لأصبح قويًا فقط، لا لشيء آخر.

خرجنا لندخِّن، قرأتُ كلَّ المكتوب على بنطاله، وتفحَّصتُ الملصقات على معطفه، كانا اثنيْن فقط: الفوضويَّة و"كراس". لم يبدُ عليه أيُّ اهتمام بي، كان يحدِّق بعيدًا بلا مبالاة.

قلتُ، فقط كي أقول شيئًا:

- اشتريتُ ألبوم لـ"ستيف ليتل فينجرز" قبل يوميْن.

قال دون اهتمام:

- حسنًا.

لم يكن هناك فضول في صوته، كأنَّني أقول معلومات عامة ومعروفة. لم يهتمّ. كيف يمكن لشراء ألبوم "ستيف ليتل فينجرز" ألّا يثير الاهتمام؟

أضفتُ:

- إنَّه ألبوم جيِّد.

صمتُّ، واستمرَّ في التَّدخين. كان يتنفَّس من أنفه بين حين وآخر ويبصق. لم يكن مصابًا بالبرد، بل هي "لازمة".

سألتُه بفضول:

- ما الموسيقى التي تحبُّ الاستماع إليها؟

لم يُجِب فورًا.

قال بصوت منخفض:

- لا أستمع إلى "بابل جام".

"بابل جام"؟ لم يكن لديَّ أيُّ فكرة عمّا يعنيه هذا؟ أكانت فرقة لم أسـمع عنها؟ أردتُ السُّؤال لكنَّني لم أرغب في الكشـف عـن جهـلي. أومـأتُ كـأنَّني فهمتُ قوله. لعلَّها فرقة من الـ"نيـو ويـف"، أيْ: "الموجـة الجديـدة"، أظـنُّ هذا.

قلتُ للتأكيد:

- أنا لا أستمع إلى "الموجة الجديدة".

لم يقُل شيئًا، تنفَّس من أنفه بصوت فحسب.

أضفتُ:

- يستمع بعض "البانك" إلى "آدم آنت" و"ذا بوليس".

قلتُها إشارةً إلى أنَّني لا أفعل هذا، فتمتم:

- هذا ليس "بانك".

قلتُ كأنَّني صدى صوته:

- كلّا.

إنَّه أولُ شخص أقابله يشاركني هذا الرأي، كان هناك أمر عظيم يحـدُث. انتهينا من التَّدخين وألقينا بالأعقاب.

سألتُه:

- هلّا نعود إلى الداخل؟

- لا، جئتُ فقط من أجل التَّدخين.

- حسنًا.

- سأعود إلى المنزل، هل تريد المجيء؟

كدتُ ألّا أصدِّق أذُني، "سيجي" "البانك" يدعوني إلى منزله! هـل سنصـبح أصدقاء؟! إنَّه يراني جديرًا برفقته!

قلتُ محاولًا إخفاء حماستي:

- أجل، أجل.

كان يسكن في منزل ذي شرفة في "سمايبوافيرفينوس". رحَّبَتْ بنا أمُّه العجوز السَّمينة عند دخولنا.

- هل عدتَ يا "سيجورو"؟

أغلق "سيجي" الباب بكلِّ قوته.

- اخرسي أيَّتُها العجوز الشَّمطاء.

لقد أبدى ردَّ فعل أكثر حرارة من أمه، يبدو أنَّها معتادة على تلك المعاملة منه. كان هذا أمرًا تمنيتُ قولَه لأبي كثيرًا، لكنَّني لم أملك الجرأة، كما لم أجرؤ على قول أيِّ شيء قريب من هذا لأمّي. لم تكن أمّي تُلقي عليَّ المحاضرات، كانت تقول كلامًا قليلًا ومحدَّدًا. تبعتُه إلى غرفته وقلتُ: "أهلًا" لأمِّه في الطريق، لم تبادلني التحيَّة بل نظرتُ إليَّ بغضب. ثم أغلق الباب بالمفتاح.

- إنَّها حيزبون متزمِّرة.

كانت غرفته صغيرة مثل الصندوق، بها سرير واحد صغير، تحمل الحوائط شعارات وعلامات الفوضويَّة، ويعلو السَّرير صليب مقلوب كتب تحته بحبر أسود: "مات المسيح بسبب خطاياه لا خطاياي". ويتدلى فوق النافذة الصغيرة غطاء قذِر. كانت غرفة مظلِمة وقذِرة مغطاة بالقمامة والجرائد والكوميكس وعُلب السَّجائر الفارغة. على السَّرير مطفأة سجائر كبيرة ممتلئة بأعقاب السَّجائر. رائحة "الباتشولي" تملأ المكان مثل سحابة كثيفة. استنشق "سيجي" من أنفه ثم بصق على الأرض. بصق على أرضيَّة غرفته! دوَّنْتُ هذا في مذكرتي، كان عليَّ التَّجربة! ثم ذهب إلى

مشغِّل الأسطوانات ووضَع ألبومًا ما. خرجَتْ صرخات جيتار وإيقاع طبل سريع من السمّاعة الوحيدة. صرخ المُغنّي بطريقة سريعة حتّى إنَّني لم أتمكَّن من سماع الكلمات، ما عدا "اللَّعنة" و"النِّظام" و"الموت". لقد أحببتُ هذه الموسيقى.

سألتُه بتحمُّس:

- ما هذه الفرقة؟

أجاب دون النظر إليَّ:

- "ديستشارج".

أومأتُ كأنَّني أعرفها، حاولتُ الاحتفاظ بالاسم في ذاكرتي. أخرج "سيجي" بايب من مطفأة السَّجائر، وبدأ يكحت الرَّماد من الدّاخل، بسكّين صغير مصنوع من "الألومنيوم فويل"، من علبة السَّجائر.

- هل تريد بايب؟

سألتُه:

- ما هذا؟

- اخدش.

سألته بدهشة:

- أهذا الحشيش؟

قال مجددًا:

- اخدش.

هنا اضطررتُ إلى الاعتراف بجهلي:

- ما هذا؟

- إنه حشيشٌ تمَّ تدخينه من قبل.

ما هذا؟ حشيش تمَّ تدخينه مـن قبـل، لكـن بطريقـة مـا يمكنـك إعـادة تدخينه. تحمَّستُ لتجربته. كنتُ مستعِدًّا لتجربة أيِّ شيء، كانت حيـاتي بـلا هدف حتّى هذه اللَّحظة.

- هل معك سيجارة؟

قدَّمتُ له سيجارة، فمزَّقها إلى أجـزاء، وفـرك التَّبـغ في الـورق الألومنيـوم فويل ومزجه مع الرَّماد. رفع الورقة في الهواء وسخَّنها باستخدام الولّاعة، ثـم أفرغ كلَّ شيء في البايب وأشعله. أخذ نفَسًا عميقًا. حـبس الـدُّخان بداخلـه وقـدَّم لي البايـب، حـرق الـدُّخان السّـاخن حَلقـي فسـعلتُ. زفـر "سـيجي" واستعاد البايب.

- عليك حبسُه في الداخل حتّى تثمل.

أخذ نفَسًا آخر، وأعاد الأنبوب إليَّ. أخذتُ نفسًا صغيرًا وحبستُه بالداخل. واصلْنا التَّدخين حتّى لم يعُد هناك شيء. ألقى "سيجي" بنفسه فـوق سريـره ووضع ذراعَه فوق عينيْه، جلستُ على طرف السَّرير وانتظرتُ حدوث شيء، انتظرتُ أنْ تتملَّكني النَّشوة. لم يحدُث شيء! استمرَّ مشـغِّل الأسـطوانات في إصدار صراخ "ديستشارج".

قلتُ:

- إنَّها فرقة جيِّدة.

لم يُجب.

- "سيجي"؟

تمتم:

- هه؟

بدا مستعدًّا للنوم. جلستُ على السَّرير محرَجًا، أنتظر حدوث شيء، حتّى أدركتُ أنَّه لم يكن هناك شيء ليحدُث.

- كنتُ أفكِّر في العودة إلى المنزل فحسب.

- أجَل.

كان من الواضح أنه لا ينوي توصيلي إلى الباب، فرحلتُ.

قبل إغلاق الباب، قلتُ:

- وداعًا.

لم يُجب، كان من الواضح أنَّه نائم. قلتُ لأمِّه "وداعًا" في طريقي إلى الخارج، فلم تُجب، بل نظرَتْ إليَّ باحتقار! سرتُ إلى المنزل، كان الطريق مُنارًا ودافئًا رغم أنَّ الوقت متأخر، كنّا في منتصف الليل. رحَّبَتْ أمّي بي بصفعة على مؤخرتي.

- لماذا تأخرتَ في العودة؟

- إممم، تأخرتُ، هذا كلُّ ما في الأمر.

- أين كنتَ؟

- "بوستاوير".

- لماذا ظلَّ المكان مفتوحًا حتّى هذا الوقت المتأخِّر؟

- مسابقة تنس طاولة.

خلعتُ حذائي. بدَتْ متشكِّكةً لكنَّها لم تقُل شيئًا، أصبحتُ كذّابًا ماهرًا.

قلتُ "تصبحين على خير" وذهبتُ إلى غرفتي. وضعتُ ألبوم "ستيف ليتل فينجرز" في مشغِّل الأسطوانات وخفضتُ الصَّوت قدْر المستطاع. استلقيتُ على سريري. كانت هذه لحظة تحوُّل في مسيرة حياتي، إذْ أصبحتُ "بانك" حقيقيًّا.

هكذا بدأتْ علاقتي بـ"سيجي". كان أكبر مني، ولم يكن حضوره في حياتي واضحًا. كنتُ أنتهز كلَّ فرصة للتحدُّث إليه. أسأله عن "البانـك" والفوضـويَّة وكيفيَّة رسم الشِّـعارات بـالحِبر، وأنـواع شـعارات الفوضـويَّة المختلفـة. كـان يعاملني جيِّدًا، لم يتعالَ عليَّ أو شيء من هـذا القبيـل، مطلقًـا. بـل عـاملني كأنني مثله بالضبط. كنتُ أراه عظيمًا، وكنّا نقضي وقتًا طـويلًا معًـا. جعلنـي هذا أحظى بقدْر من الحماية، حيث كان يتمتع "سيجي" باحترام لم أحظَ به قـطُّ. لم يضـايقني أحـد وأنـا معـه. قضـينا وقتًـا خـارج "بوسـتاوير" نـدخِّن ونتحدَّث عن "البانك". أسأل ويجيب، وضَّح لي معلومات عـن "البانـك روك" وعن كيفيَّة التمييـز بـين "البانـك" وغـيرهم. تسـكَّعنا معًـا كثـيرًا، ذهبْنـا إلى محطة الباص في "هليمور"، وإلى وسط المدينة.

أحيانًا - بينما نتسـكَّع - كنّـا نفـتح السَّـيارات غـير المغلَقـة، نبحـث عـن العملات والسَّجائر، أحيانًا نأخذ السَّجائر من المطفأة. في تلـك الأيّـام، كانـت السَّيارات جميعها غير مغلَقة، وتحتوي غالبًا على سجائر. كـان أمـرًا طبيعيًّـا، فالجميع يدخِّن والسَّجائر في كلِّ مكان. لم نندهش لإيجاد السَّجائر، ولم نكن نقوم بأمور سيِّئة. فقط نأخذ بعض السَّجائر والعملات وأشياء صغيرة.

أوقفتْنا الشُّرطة عدة مرات، كنا نتسكَّع ليلة ما في "بوستاوهيفيرو"، نعبث بالسيارات وأمور مثل تلـك، وأبلـغ أحـدهم الشُّرطـة. كنّـا قـرب "ريتارهولتسفيجور"، نرسـم علامـات الفوضـويَّة عـلى الحـوائط. فجـأة ظهرَت الشُّرطة في سـيارة "ماريـا" سـوداء وقفـز منهـا عـدد مـن رجـال الشُّرطة. ركضْنا والشُّرطة في أعقابنا، كنتُ خائفًا لكـنْ تملكتْنـي حماسـة قويَّة. شـعرتُ أننـي شـخص مهـم، أهـرب مـن الشُّرطـة مـع "سـيجي"

"البانك". دخلْنا الغابة الواقعة خلف كنيسة "بوستاوير"، كان الجميع يُطلق عليها "الغابة الكبيرة". ركض "سيجي" في اتِّجاه، وركضتُ أنا في الاتِّجاه المعاكس. وحين خرجتُ من الغابة وجدتُ حديقة. كنّا في منتصف ليلة صيفيَّة. في منتصف الحديقة كان هناك منزل وخلفه صندوقًا قمامة، قفزتُ دون تفكير في أحدِهما، وسحبتُ الغطاء فوقي. كنتُ أتنفس بصعوبة بالغة. من المؤكَّد أنَّ المنطقة كلَّها كانت تسمع نبض قلبي وصوت تنفُّسي. كان البرميل فارغًا لكنَّ الرائحة مريعة، لكنَّني تحمَّلتُ الرائحة من أجل الحريَّة. كي لا تتمكَّن منّي الشُّرطة. كنتُ أوقن أنَّ الغطاء سيُرفع في أيِّ لحظة لتمتدّ أيادي الشُّرطة وتسحبني. لكن شيئًا لم يحدُث. جسلتُ هناك محاولًا الاستماع إلى الأصوات، سماع صوت رجال الشُّرطة يتحرَّكون أو يتحدَّثون، لكن لم يكن هناك إلّا صمت تامٌّ. بعد فترة طويلة قررتُ رفعَ الغطاء والنَّظر حولي. رفعتُه بحرص ونظرتُ في المكان، لم يكن هناك شيء، مجرَّد صمت تامّ. عدتُ إلى داخل البرميل، واستنتجتُ أنَّ الشُّرطة قد مرَّت دون رؤيتي، لذا وقفتُ في البرميل.

- هل اكتفيتَ من الجلوس في البرميل يا صديقي، أمْ تريد البقاء مدَّة أطول؟

التفتُّ، فوجدتُ ثلاثة من رجال الشُّرطة، كانوا واقفين هناك طوال الوقت، رؤوا كلَّ شيء ووقفوا يسخرون منّي. رؤوني وأنا أدخل البرميل، وانتظروا خروجي. كنتُ أقف أمامهم وأنظر إليهم مباشرة، وهم يعلمون جيِّدًا أنَّه لا مفرَّ لي.

أجبتُ:

- كلّا، كلّا.

خرجتُ من البرميل.

قادوني إلى سيارة شرطة، واتَّهموني باقتحام السَّيارات، والرَّسم على الحوائط. أنكرتُ كلَّ شيء.

- لم أفعل شيئًا مثل هذا مطلَقًا، لم أقتحم سيارات أو أسرق شيئًا، لستُ لِصًّا.

- ولِمَ تكتب على الحوائط؟

- كلّا، مطلَقًا.

- وليس معك أقلام أو أشياء مشابهة؟

- معي أقلام لكنَّني لا أكتب بها على الأشياء، لا أكتب على المنازل، بل على الورق.

ثم جعلوني أُفرغ جيوبي، كان في أحدها سجائر من ستِّ عُلب مختلفة. كان من الواضح أنّني أسرق من السَّيارات. كنتُ مذنِبًا، لا مَهرَبَ لي. أخذوني إلى قسم الشُّرطة، وأجلسوني في الطُّرقات. كما كانوا يعرفون أبي، وجاء لاستلامي.

- حسنًا.

وقفتُ، وذهبتُ معه إلى السَّيارة. كان صامتًا، وكانت أمّي في انتظارنا بالمنزل. جلستُ إلى طاولة المنزل وبدأتُ التَّحقيق. سألتْني عمّا كنتُ أفعل، هل حقًّا اقتحمتَ السَّيارات وسرقتَ أشياء؟ حاولتُ تبسيط الأمور واتِّهام الشُّرطة بالمبالغة، وأنَّني لم أفعل شيئًا، وأنَّ رجال الشُّرطة خلطوا بيني وبين صبيٍّ آخر. اتَّهمتُ "سيجي" برسم الجرافيتي، وقلتُ إنَّني لم أكن لأفعل أمرًا مثل هذا مطلَقًا. ثُمَّ حاولتُ بذل قصارى جهدي لإقناعهم بأنَّني لستُ مذنبًا، إلّا في مرافقتي الصُّحبة السَّيِّئة، وأنَّني سوف أتجنَّب هؤلاء النّاس في المستقبل. بعد تلك الكذبة ازدادت أمّي غضبًا.

- أتدرك كم كان الأمر مُحرِجًا لوالدك؟

- أجل.

- أتظنُّه أمرًا عاديًّا؟

- كلّا، لن أفعل شيئًا مماثلًا مرة أخرى.

تنهَّدَتْ أمّي.

- اذهبْ إلى غرفتك، ولا تغادِرْها.

اضطررتُ إلى مشاركة "سيجي" في أمر ما، شعرتُ أنا نفسي أنه تحدٍ كبير، لكنْ، من حُسن الحظِّ أنَّ أحدًا لم يعرف بالأمر. كان أبي ماهرًا في التَّصويب، ومِثل الكثير من رجال الشُّرطة تمَّ تدريبه على استخدام السِّلاح. اشترك في الكثير من مسابقات الرِّماية وحصل على العديد من الجوائز، حتّى إنَّه ظهر في التليفزيون مرَّة حين حدَث أمر ما خلال قيادته لسيارة الشُّرطة. في هذا الوقت كانت البندقية – مثل التي تستخدم في صيد الخراف - الأكثر انتشارًا في سيارات الشُّرطة، يستخدمونها لصيد الكلاب والقِطط. رأى أبي حيوان "مينك"، فأطلَق طلقة واحدة من مسافة كبيرة وأصابه. حظِي الأمر باهتمام وظهر على غلاف "ذا فايس". طبَعوا صورة لأبي وهو يحمل البندقية.

كان لأبي سلاحٌ آخر بالمنزل، من طراز "سبورتسمان"، لا يختلف عن أسلحة رعاة البقر. أخرجتُه وتفحصتُه عدة مرات حين كنتُ وحدي بالمنزل، كان في خزانة مغلَقة، لكنَّني أعرف مكان المفتاح. كما كانت توجد الكثير من الرصاصات. كنتُ ألعب أحيانًا بالسِّلاح الفارغ، كان سحب الأجزاء والضَّغط على الزناد ممتعًا. خرج أبي وأمّي مرة وعلمتُ أنَّهما سيتأخَّران، فقضيتُ الوقت بمنزلي مع "سيجي"، وضعْنا صمغ السِّجاد

على سجادة صغيرة واستنشقناه. جعلتْنا النشـوة نسـبح في الهـواء، أصـبحتُ نصف واعٍ. ضحكْنا، لكـنَّ تلـك الحالـة دائمًـا مـا تنتهـي سريعًـا. انتهيْنـا مـن التَّـدخين في العليَّـة وكنّـا في طريقنـا إلى غرفتـي حـين رأيـتُ فرصـة لإبهـار "سيجي"، فقلتُ:

- أتريد رؤية شيء مميَّز؟ سلاح حقيقيٍّ؟

رحَّب "سيجي" بشدَّة. نزلْنا وأخرجتُ السِّلاح من الخزانة. لم يرَ "سيجي" سلاحًا حقيقيًا من قبل. كنّا نلعب به من دون الرّصاص، حتّى سأل "سيجي":

- لمَ لا نُخرج بعض الرّصاص، ونأخذ السِّلاح إلى الخارج؟

لم أجدها فكرة جيِّدة، لكنْ لم يكن بإمكاني الرَّفض.

قلتُ، وكأنَّه أمر عاديٌّ:

- بالطبع.

وضعْنا بعض الرّصاصات في السِّلاح وخرجْنا. أمسكه "سيجي" وذهبْنـا إلى "أوسلاند". كنتُ متوتِّرًا جدًّا، لم تكن فكـرة جيِّـدة، ومـا زال أثـر الاستنشـاق باقيًا، وأردتُ وقف الأمر برُمَّتِه.

- لمَ لا نرجع ونعيد السلاح؟

- كلّا، علينا إطلاق الرّصاص.

- كلّا!

ودون مزيد من النقاش، أطلق "سيجي" الرصاص على "مصباح". دوّى صوت الاصطدام، وتوقَّف قلبي لحظة. لم أرَ إطلاق رصاص مـن قبـل، ولم أتخيـل عنـف الطَّلقـة. طنَّـت آذانُنـا، وركضْـنا إلى المنـزل مثـل الأرانـب المذعورة. أخذتُ السِّلاح فورًا، أفرغتُه ووضعتُه في جرابه. أعدتُ كـلَّ شيء

إلى الخزانة. سمعتُ حينها سارينة سيارات الشُّرطة، فارتعشَت يداي. بينما لم يكترث "سيجي" بالأمر، كأنَّهوجد الأمر ممتعًا، لا أكثر من ذلك.

- حسنًا، سأعود إلى منزلي.

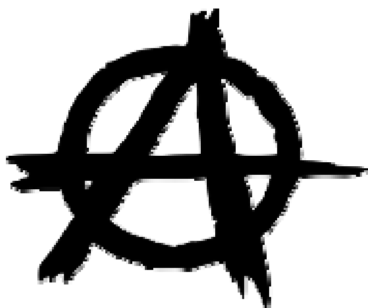
قلتُ بصوت مرتعش:

- أجل، حسنًا، وداعًا.

مكثتُ في غرفتي، ونظرتُ من النّافذة عدة مرات لأرى إنْ كانت الشُّرطة قادمة للقبض عليَّ. لكن لم يحدث شيء، لم يـأتِ أحـد. لكنَّنـي توقفـتُ عـن قضاء الوقت مع "سيجي" بعد تلك الواقعة. لم يكن حاضرًا في حيـاتي بشـكل كافٍ، كما أنَّني تعلَّمتُ منه ما يكفي.



قلم حبر ثابت



"رجل الشُّرطة في الشَّوارع
يُمسك بمَن يلقاه
لماذا يفعل ذلك؟، لا أرى
ولكنَّني قد أهتمُّ إذا لم يمسك بي!"

- **"نيفرينسلي"، رجل الشُّرطة**

أردتُ تعلُّم العزف على آلةٍ، والانضمام إلى فرقـة "بانـك". أراد معظـم الناس الغناء، مثل: "جوني روتن" أو مغني فرقة "سـتيف ليتـل فينجـرز". لكنَّنـي كنـت خجـلًا وانطوائيًّـا. لم أكـن لأجـرؤ عـلى الغنـاء أمـام النـاس. سيسـخرون منّـي. ظننـتُ أنَّ بإمكـاني أنْ أصبح عـازف جيتـار جيِّـدًا. لا يحتاج عازف الجيتار بفِرق "البانك" معرفـة الكثـير، مجـرَّد أمـور بسـيطة

تكفيه لعزف "البانك". يضع عازف جيتار فرقة "كـروس" - مـثلًا - يـده عـلى أعلى رقبة الجيتار، لا أسفل من ذلك، مثل أيِّ عازف جيتار جيِّد. لا يسـتطيع عازف جيتار "البانك" ضبْط أنغام جيتاره. كلَّما عرف أقلَّ، كان أفضل. عندما يصبح عازفو "البانك" أفضل، يسوء مستواهم كفنّـاني "بانـك"، ويتحوَّلـون في غفلة منهم من فرقة "بانـك" إلى فرقـة "موجـة جديـدة". ينسـون أهـدافهم ومبادئهم. لا تعود موسيقاهم خامًـا ثانيـة، تصبح مُبلـورة ومليئـة بالحـب. تتحوَّل الكلمات من مناقشة ظلم النِّظام والفوضويَّة إلى تناوُل كلام عـاطفيٍّ، أو نظرات فلسفيَّة للحياة. يُعَد إضافة عـازف أورج إلى الفرقـة مـن علامـات تحـوُّل فرقـة "البانـك". لا يمكنـك عـزف "البانـك" بـأورج، لهـذا لم أحـبّ "ذا سترانجلرز". شعرتُ أنهم ليسوا فرقة "بانك". كان عازف الباص الخـاصّ بهـم "بانك" لكنهم كانوا يستعينون بعازف أورج. في النهاية، خانوا لـونَهم الأصـليَّ وتحوَّلوا إلى ما هو أسوأ حتّى من فرقـة "موجـة جديـدة"؛ تحوَّلـوا إلى فرقـة "موسيقى راقصة". أكره كلَّ مَن يخون مبادئ "البانك". يريـدون الـرِّبح! كـلُّ فرقة تضمُّ إليهـا عـازفَ أورج أو تقـوم بـأعمال مشـبوهة، تخـرُج فـورًا مـن "اللَّوح المقدَّس". إمّا أنْ تكون "بانك" أو لا تكـون. وكلَّـما تطـوَّر الموسـيقيون وطوَّروا موسيقاهم، حذفتُ مزيدًا من الفِرق من تشكيلة ألبوماتي. أولُها كان "بوبي مورثنس"، قررتُ التبرُّع بكلِّ ألبوماته. خانني "ذا كـلاش" حـين أطلَقـوا "ساندينيستا". وانتهـى أمـر "سـيكس بيسـتولس". قالـت فرقـة "كـراس": إنَّ "البانك" مات، وإنَّه أصبح موضـة تجاريَّـة، وأصـبحَت الفـرق مهتمَّـة بجنـي المال، لا بتغيير المجتمع. مـع الوقـت، لم أعُـد أسـتمع إلّا لــ"كـراس". لم أكـن أشترى الكثير من الألبومـات حتّـى هـذا الوقـت، كنـتُ أسـتعيرها وأنسـخها

عبر الكاسيت. يتميَّز مشغِّل الألبومات عن مشغِّل الأسطوانات أنَّ بإمكانك حملَه في كلِّ مكان، في الحمّام، أو في الحديقة أو الجراج، لأنَّ باستطاعتك إضافة بطاريات.

قابلتُ "ألي" وناقشْنا الحاجة إلى تكوين فرقة "بانك" أيسلنديَّة جيِّدة المستوى. كان لدينا قُصورٌ قويٌّ، ليس بالدولة إلا ثلاث فِرق "بانك" فقط: "ذا سبانكس"، "ديسابوينتمنت" و"ماستربيشن". كانت جميعًا فرقًا مزعجة في نظري، وينقصهم العوامل الأساسيَّة، فمثلًا "ذا سبانكس" لا يتعاملون مع "البانك" بجديَّة. حتّى إنَّهم لا يرتدون ملابس "البانك". حضرتُ إحدى حفلاتهم ولم أستمتع بها على الإطلاق. أمّا "ديسابوينتمنت" فلم يقيموا حفلات، كانوا بالكاد يقدِّمون إنتاجًا بسيطًا. لم تكن لديهم هويَّة، ثمّة أغنية واحدة من أغانيهم كانت جيِّدة: "ريكيافيك أوه ريكيافيك". أمّا "ماستربيشن" فكان لديهم المظهر والأغاني المناسبة، فجميعهم يرتدون جينز ممزقًا ومعاطف جلديَّة. وكان "بياريني الموهاك" - كما هو متوقع – يحلق شَعره على طريقة "الموهاك". لكنَّهم لم يأخذوا الأمر بجديَّة، وبدؤوا في إضافة الهراء إلى أغانيهم. كان "سيجي" "البانك" عضوًا معهم.

يعرف "ألي" كيف يعزف على الجيتار، وكان لديه جيتار إلكترونيٌّ أعطاه إيّاه أخوه. ولمّا كان قد درس العزف على الكمان عدة أعوام، لم يجد صعوبة في تذكُّر عزف الجيتار. أمَّا أنا فلم أعزف على أيِّ آلة موسيقيَّة. حاولتُ كتابة الأغاني ولم يكن الأمر سهلًا. لم أستوعب فكرة كتابة كلمات دون لحن. لكنَّني كنتُ متمكِّنًا من المواضيع المتداولة: الفوضويَّة، ونظام التَّعليم، وكفاح السَّلام و"البانك".

حاولتُ تعلُّم العزف على الدرامز. صنعْنا آلة درامز في غرفتي باستخدام صفائح معلَّبات الأكل. عزفَ "ألي" على الجيتار وعزفتُ أنا على الدرامز بعصي خشبيَّة منزليَّة الصُّنع. لم يكن الأمر جيِّدًا. كأنَّني لا أفقه شيئًا عن الإيقاع. حاول "ألي" شرح مبادئ الموسيقى لي، وكيف أنَّ الدرامز هو أساس الإيقاع، لكنَّني لم أفهم شيئًا. جعلني أستمع إلى عدة أنواع من الأغنيات، وأتتبَّع وقْع ضربات الدرامز. لكنَّني لم أميِّز أيَّ إيقاع، بل مجرَّد ضوضاء متتالية. لم تكن أصوات "ألي" الموسيقيَّة تشبه أصوات الآلات الحقيقيَّة.

قال "ألي":

- نحتاج إلى عازف باص.

أدركتُ أنَّ عزْف "البانك" أصعب ممّا توقعتُ. اقترح "ألي" عليَّ عزف الباص، باعتباره الأسهل. أعجبتْني الفكرة. كان "سيد فيكيوس" عازف باص. لم يكن يعرف شيئًا عن الآلة حين بدأ العزف مع "سيكس بيستولس". قاموا بضمِّه بسبب مظهره فحسب، وجعلوه عازف الباص. رغم ذلك أصبح أهمَّ عضو في الفرقة بعد "جوني روتن". كان أقوى من عازف الجيتار وأكثر جاذبيَّة. الباص آلة بسيطة، أبسط من الجيتار، لها أربعة أوتار فقط، ولا "فريتس". ذهبتُ إلى صديقي "أولي" الملقب بـ"الجذاب"؛ لأنه اشترى لتوِّه باص جديدًا وثمينًا، وبدأ العزف مع فرقة رقص.

سألتُه:

- هل يمكنك تعليمي كيفيَّة العزف على الباص؟

تحمَّس للفكرة، جلسْنا وسمح لي برؤية الباص الخاص به، كان "فيندر" أسود وسيمًا. علَّمني كيفيَّة الإمساك به وضبْط الأوتار. سار كلُّ شيء جيِّدًا،

وأدركتُ سريعًا أنَّ الصَّوت يتغيَّر وفقًا لموضع يدك على الرَّقبة. كنتُ موهوبًا، وبدا كأنَّني سأصبح مثل المحترفين في وقت قصير. ثُمَّ وضع "أولي" أسطوانة في المشغِّل، وطلب مني الاستماع إلى الباص، والعزف معه. حاولتُ جاهدًا لكنَّني لم أسمع شيئًا. حاول مساعدتي بتعبيرات وجهه وحركاته لكنَّ ذلك لم يُجدِ. لم أسمع إلّا ضوضاء، وكأنَّ أحدهم يهزُّ علبة صفيح مليئة بمسامير معدنيَّة. في البداية، شكَّ "أولي" أنَّني أستدرجه للشَّرح فحسب، لكن حين أدرك جدّيتي، قال إنَّ عليَّ الذهاب لتعلُّم الموسيقى.

- عليك تعلُّم مبادئ الموسيقى.

كنتُ متحمِّسًا لذلك، لكنْ ماذا كان يعني تحديدًا!

- هل يمكنني تعلُّم الباص؟

- كلّا، لا أعتقد أنَّ هناك مكانًا لتعلُّم الباص.

- لكنَّني أريد تعلُّم الباص فقط.

أكَّد "أولي" أنَّ عليَّ تعلُّم أساسيات الموسيقى، كما أنَّ عليَّ الذهاب إلى مدرسة "أولي جوكور" للجيتار. هناك سأتعلَّم الأساسيات وعزْف الجيتار، وفور تعلُّمي أساسيات عزف الجيتار، سيمكنني عزف الباص تلقائيًّا. بدا ذلك لي حلًّا غبيًّا، لكن لمّا كان "أولي" هو الذي أخبرني أنَّ هذا هو الطريق، فهو كذلك على الأغلب. أعجبتْني الفكرة، وعدتُ إلى أمّي بالمنزل مباشرة لأخبرها.

- هل يمكنني الذّهاب إلى مدرسة "أولي جوكور" للجيتار؟

- لماذا؟

- لتعلُّم عزف الباص.

تفاعلتْ أمّي مع الفكرة جيِّدًا، رأت أنَّ رغبتي في تعلُّم شيء ما أمرٌ إيجابيٌّ. حصلتُ على موافقة للانضمام إلى تدريب لمدة 6 أسابيع.

اصطحبني أبي إلى "رين"، محلّ الآلات الموسيقيَّة، لشراء أرخص جيتار مُتـاح. بدا لي قبيحًا غبيًّا يليق بـ"الهيبيز". لم أرَ "بانـك" بجيتـار مثـل هـذا، فقـررتُ استخدامه وحدي للتعلُّم، وبقيـتُ في غرفتـي طـوال الليـل أتعـرَّف عليـه. لم تكن أظافري طويلة، فاستخدمتُ واحدًا من تلـك الأشـياء البلاسـتيكيَّة التـي يغلِقون بها أكياس الخبز. وضعتُ سبّابتي عـلى الأوتـار، مثـل عـازف جيتـار فرقة "كراس"، حرَّكْتُ يدي إلى الأعلى والأسفل على الرَّقبة، بينما عزفتُ عـلى الأوتار بالقطعة البلاستيكيَّة. ربَّما تصبح تلك بدايـة رحلـة موسـيقيَّة مميَّـزة. ربَّما سأصبح عازف "بانك" مشهورًا عالميًّا.

في اليـوم التـالي، ذهبـتُ إلى مدرسـة الجيتـار للمـرَّة الأولى. كـان الطلبـة يجلسـون بسـمّاعات في آذانهـم والجيتـار في حجـورهم. سـار "أولي جوكـور" بيننا، وأعطانا التَّعليمات. عزفْنـا جميعًـا الشيء نفسـه. كـان يعلِّمنـا "كـورد" ويطلب منا عزفَه مرارًا وتكرارًا حتّى نتقنه. ثم يضيف "كورد" آخـر. لم أميِّـز بين "الكورد" والآخر جيِّدًا، ولم أتمكَّن من إيجاد الموضع الصحيح لإصـبعي. في نهاية الجلسة، كان يفترض بنا عزْف "نوح العجوز". لم نستخدم أظافرنا، لكن كان علينا استخدام السَّبابة للعزف عـلى الأوتـار. أصـابني الملـل. كـان تعلُّـم "الكورد" صعبًا بالنِّسبة لي، كما وجدت الأغنية غبيَّة ومزعجة. والأسـوأ أنَّنـي سـبَّبتُ الضَّرر لأصـابعي. تشـنَّجَتْ يـدي مـن تـأثير الإمسـاك بالرَّقبـة بقـوَّة، وأصبحَتْ أناملي جافَّة من العزف. أردتُ تعلُّم "قبضة كـروس" لأنَّ هـذا مـا يفعله "البانك". وسألتُ "أولي" عن هذا. قال إنَّه لا يعرف تلك الأشياء، وأنَّنـا لن نحتاج ذلك إنْ تعلَّمْنا "الكوردات" الحقيقيَّة.

كانت المرة الثانية أكثر صعوبة. توقَّع "أولي" منّا تنفيذ مـا تعلَّمنـاه في المرَّة الأولى، مفترضًا أنَّنا قد تدرَّبنا بالمنزل جيِّدًا. بدا أنَّ معظمهـم تـدرَّبوا

بالفعل، لكنَّني لم أكن مهتمًّا، ونسيتُ "الكوردات". حاول "أولي" تذكيري، بينما حاولتُ أنا إقناعه أنَّ ذلك كلَّه بلا جدوى إذا كنتُ أهدف إلى العزف في فرقة "بانك".

- عليك تعلُّم الآلة حتّى تعزف في فرقة.

أوضحتُ له أهميَّة المعرفة القليلة؛ فإنْ أصبحتُ عازف جيتار جيِّدًا فسأدمِّر الفرقة، وأحوِّلها إلى فرقة "موجة جديدة". لم يكن "أولي" مهتمًّا بـ"البانك" ولا يحبُّه، لكنَّه كان صبورًا، وحاول إثارة اهتمامي بـ"الكورد" ثانية.

في الحصَّة الثالثة، عزفْنا "نوح العجوز" مجدَّدًا. كلٌّ منّا في وحدته، لكنَّني لم أعزف. كنتُ أهزُّ رأسي بينما يشرح لنا التَّعليمات، ثم أداعب الجيتار بالقطعة البلاستيكيَّة فور ابتعاده. كان هذا يُصدِر صوتًا جيِّدًا في السمّاعات. أغلقتُ عينيَّ واستمتعتُ. صدمتُ الأوتار بقوّة حتّى إنَّني قطعتُ أحدها، فجاء "أولي" بوجه محبَط وأخذ منّي السمّاعات والجيتار.

حين انتهت الجلسة طلب منّي الانتظار.

سألني بود:

- لمَ أنت هنا يا "جون"؟

- لأتعلَّم عزف الجيتار.

- إذًا، فلماذا لا تؤدي ما أطلبه منك؟

كان سؤالًا جيِّدًا، فأنا لم أذهب لتعلُّم الجيتار، بل لتعلُّم مبادئ الموسيقى، وكيفيَّة عزف الباص.

- أريد تعلُّم عزف "البانك".

- أنا لا أدرّس "البانك".

لم أفهم ردَّه.

- لماذا لا تفعل؟

- أنا أعلِّم النّاس عزف الجيتار التقليديِّ، و"الكوردات" المهَّمة، حتّى يتمكَّنوا من عزف الأغاني المنتشرة.

لم يكن هذا ما أريده. لم أكن في المكان المناسب. لم تبدُ لي هذه "الكوردات" والأغاني أشدَّ جاذبيَّة من القسمة المُطوَّلة واللُّغة الدنماركيَّة، فأنا لن أجلس حول النّار في مخيم، ممسِكًا بجيتار تقليديٍّ، كي أغني "عزيزتي فلتأتِ إليَّ" مثل الحمقى. كما أنَّني لن أجلس في المطبخ وأعزف لأبي وأمّي "نوح العجوز" مثل فتى أخرق، لم أكن أحمق!

اقترَح "أولي" عليَّ ترْك مدرسة الجيتار، حتّى إنَّه عرض عليَّ استعادة المال. أعجبتْني الفكرة. كان أبي قد دفع المبلغ كاملًا مقدَّمًا، لذا يمكنني استرداد بقيَّة المبلغ. على صعيد آخر، أخبرتُ أبي وأمّي أنَّ الأمور تسير جيِّدًا في مدرسة الجيتار وأنَّني سوف أصبح عازف جيتار جيِّدًا. لم يكن أحدهما مهتمًّا بالأمر، فلم أقلق من أنْ يطلبا منّي عزف شيء لهما.

فقدتُ الأمل في تعلُّم العزف. إنْ أردتُ الانضمام إلى فرقةٍ فعليَّ أنْ أكون أنا المغني. لم يعُد أمامي طريق آخر، فلا أملك أيَّ موهبة موسيقيَّة.

كان "ألي" عازف جيتار، إذًا، فنحن بحاجة إلى عازف باص ودرامز فحسب، إلى جانب مكان للتدريب. كنّا نعرف شخصًا واحدًا يلعب الباص: "ماجي". ذهبْنا إلى منزله وضربْنا الجرس، رغم أنَّنا لم نعرفه جيِّدًا. فتحَتْ أمُّه الباب.

- هل "ماجي" موجود؟

أتى "ماجي" إلى الباب بعد فترة، بدا متحيِّرًا.

سألناه:

- أتودُّ أنْ تصبح عازف باص في فرقة؟

- ما نوع الفرقة؟

كنت أعرف أنَّنا نشكل فرقة "بانـك". لم نكـن فرقـة موسـيقى سـاخرة أو "موجة جديدة". كما لم نكن فرقة روك قديمـة. لكننـا لم نكـن ننـوي تكـوين فرقة "بانك" فحسب، بل تكوين أفضل فرقة "بانك" في أيسلندا. لكن "ألي" لم يكن متحمِّسًا مثلي. كان يستمع للـ"بانـك" ويرتـدي مـثلهم، لكنَّـه لم يهـتم بفلسـفة الفوضوضـيَّة و"البانـك روك". جذبَـه المظهـر والموسـيقى فحسـب. عرفتُ أنَّه يستمع إلى فرق "الموجة الجديدة" مثل: "جانج أوف فور"، و"بي - فيفتي توز".

قلتُ موضِّحًا:

- فرقة "بانك".

لم يكن "ماجي" من جمهور "البانك". بل كان أبعدَ ما يكون عن ذلـك. لا يعـرف الفـرق بـين "دوران دوران" و"سـيكس بيسـتولس"، ولم يكـن مهـتمًّا بالموسيقى كفاية. كان مهـتمًّا بالموتوسـيكلات، يـقضي وقـت فراغـه في صـنع موتوسيكلات صغيرة في الجراج الخـاصِّ بهـم. كـان مصـابًا بحساسـيَّة تجعـل أنفَه لا يجفُّ، لذا كان يستنشق ويمسح أنفه طوال الوقت. تعلَّم العزف على الباص من أخيه الأكبر ورحَّب بالانضمام إلينا.

صار معنا الآن عازف الباص، لكن لم نـزل نحتـاج إلى عـازف الـدرامز. لكنَّنا وجدناه فيما يشبه المعجزة. كنّا نتسـكَّع ونـدخِّن في الشَّـارع الـذي يسكن فيه "ألي"، عندما سمعنا صوت درامز قادمًا من أحـد الجراجـات.

من الواضح أنَّ أحدهم يتدرَّب على العزف، كان يكرِّر الإيقاع نفسه. "دانك دانك دانك كلاش" "دانك دانك دانك كلاش".

سألتُ:

- مَن هذا؟

قال "ألي":

- لا أعرف.

لم نجرؤ على طرق باب الجراج، انتظرْنا طويلًا حتّى يظهر عازف الدرامز من تلقاء نفسه. بعد فترة، فُتح الباب وخرج صبيٌّ أكبر منّا سنًّا بفارق صغير. لكنَّني أُصبت بخيبة الأمل حين وجدتُه عاديًا، ليس من جمهور "البانك".

سألتُ مجدَّدًا:

- مَن هذا؟

- صبيٌّ انتقل للعيش في الحيِّ حديثًا.

رمقَنا بطرف عينه، ثم عاد إلى منزله مباشرة.

في اليوم التالي، ذهبنا وطرقْنا باب منزله. فتحت الباب سيدة عجوز فسألنا عنه:

- نبحث عن الصبيِّ الذي يسكن هنا.

صاحت السيدة:

- يا "هانس"!

أتى "هانس" بعد فترة، بدا متحيِّرًا، لكنْ من الواضح أنه يتذكرنا.

قال:

- أهلًا.

- ألستَ عازف درامز؟

- ماذا؟ أجل، نوعًا ما.

- سمعْنا عزفَك في الجراج.

ابتسم، وصارحتُه مباشرة:

- هل تريد الانضمام إلى الفرقة؟

- أيّ فرقة؟

- فرقة جديدة نكوِّنُها.

- ما اسمها؟

لم نختر لها اسمًا! فكَّرنا كثيرًا، لكن ما كنّا لنُطلق عليها اسمًا قبل أنْ تكتمل. أعجبني اسم "ضدّ الشُّرطة"، لكنَّ "ألي" كان يريد اسمًا أيسلنديًّا، مثل: "المجانين"، أو "المعاتيه". كانت أمُّه تعمل في مستشفى الأمراض العقليَّة، لكنَّ أباه كان رجل شرطة.

- لم نصل إلى مرحلة التسمية بعد.

- هل هي فرقة "بانك"؟

- أجل.

فكرتُ، هل يمكن تحويل "هانس" إلى شخص مُحبٍّ للـ"بانك". ربما يمكن خداعه عن طريق قصَّة شَعر غريبة، ثم نُلبسه بنطال جينز ممزَّقًا.

حرّك كتفيْه، وقال برضا:

- حسنًا.

اكتملَت الفرقة. ودعانا "هانس" إلى غرفته، كانت مليئة بالألبومات، لم أرَ في حياتي هذا الكمَّ من الألبومات، حتّى في متجر "كارنابير". كان لديه مئات الألبومات، وتشبه غرفته مكتبة موسيقيَّة: جميع الأرفف والكبائن

مليئة بالألبومات، وعلى الحائط بوستر "جون جيت" و"بلاك هارتز". لم أسمع عنهم من قبل، ولم أعرفهم، لكنَّها لم تكن فرق "بانك" وفقًا لمظهرهم في البوستر.

سأل "ألي":

- إلى أيِّ نوع من الموسيقى تستمع؟

ابتسم "هانس"، بغير أريحيَّة. كان هادئًا، وكتومًا.

قال:

- أستمع إلى كلِّ أنواع الموسيقى.

سألتُ بحماس:

- "بانك"؟

- أجل، أجل، أستمع إلى "البانك" كثيراً.

شعرتُ براحة. إنَّها أخبار سعيدة. اتَّضح أنَّ "هانس" يعرف جميع فرق الموسيقى في العالَم، ويعرف أسماء الأعضاء. كان مهووسًا بالموسيقى، وهوايته الوحيدة هي الاستماع إليها وجمع الألبومات. انتقل إلى "فوسفوجور" من "فوجونوم". تُوفي والده حديثًا، ويعيش وحدَه مع أمِّه.

- هل لديكم مكان للتدريبات؟

لم يكن لدينا مكان، كنّا نبحث عن جراج.

لم يكن جراج "ألي" متاحًا، لأنَّ أخاه كان عضوًا بفرقة، ولن يتحمل والداه مزيدًا من الفِرق في الجراج. أمّا جراج منزلي فمليء بالهراء. أُرسِل إلى أبي - مجانًا - عدد مهول من إصدارات "ناشونال ويل" القديمة، بدلًا من التخلُّص منها. وأصبح الجراج ممتلئًا بعشرين عامًا من إصدارات

"ناشونال ويل" القديمة. لم يفهم أحد السَّبب من وراء هذا. كما صُدمت أمّي، وتملَّكها الغضب.

- ماذا ستفعل بهذا الهراء، بحقِّ الجحيم؟!

أصرَّ أبي:

- إنَّها قيّمة.

- هذا هراء.

هزَّ أبي رأسه كأنَّ كلام أمّي غير منطقيٍّ، كأنَّها لا تفهم أمور السِّياسة المعقَّدة، كأنَّها تنحدر من سلالة طويلة من المحافظين، ولا تفهم الأهميَّة المُعقَّدة لنُسخ "ناشونال ويل" القديمة. انغمس أبي في الأمر. كانت الجرائد ذات قيمة له، لما بها من مقالات عن الصِّراعات السِّياسيَّة لليساريّين، ومبادئ حركاتهم. الأهمُّ أنَّ الجرائد مصدر معرفيٌّ مهٌّم. كان أبي ينتوي قضاء وقته في الجراج، بعد التقاعد، يقرأ جميع الجرائد ويقصُّ المقالات المهَّمة، ثُمَّ يُلصِقها في سجلِّ الصُّور. وأخيرًا، كان يرى أنَّ التخلُّص منها نوع من العار، فقد يفقد مقالًا مهّمًا للأبد. لم تكن المبادئ هي الجاذب الوحيد له، بل رأى قيمة اقتصاديَّة في الأمر. إن احتفظ بها لمدة طويلة، فندرة تلك الأوراق تعني احتماليَّة بيعها لاحقًا مقابل مبلغ جيِّد من المال. بدا الأمر قيِّمًا له، لكنَّ أمّي أصرَّتْ على نقلِها من الجراج، لذا قام والدي، بنفسه، بنقلها جميعًا إلى العليَّة، وبقيَت هناك حتّى انتقل والدي إلى شقق الخدمات للمُسنين خارج "فوسفجور". لم يتوافر لدى أبي وقت لقراءتها وقصِّ المقالات ولصقها، ولم تشأ أمّي ملء الشَّقة الصغيرة بـ"ناشونال ويل". هكذا قضى أبي أمسياته يحاول الاتصال بالورثة. كان

مجهودًا ضائعًا؛ ولم يتمكَّن من إيجاد أحد يهتمُّ بتلك الكميَّة من أعداد "ناشونال ويل" القديمة.

صاحت أمّي بينما يبحث هو عن أرقام التليفونات:

- مَن برأيك سيهتمُّ بهذا الهراء؟

بعد العديد من المكالمات، تخلّى عن الأمر أخيرًا، وعن الحُلم كلِّه. أتى بعض سائقي التَّوصيل النشطين بعد أيام قليلة، وحملوا هذا الكنز بعيدًا في سيارتهم، للتخلص منه. شاهدَهم أبي وتنهَّد حزنًا.

- سيتمُّ التخلص منها في النهاية!

صاحت أمّي:

- كان يمكن القيام بذلك مبكِّرًا.

وقف أبي هناك بلا حيلة وهو يرى هذه المصيبة الثقافيَّة.

حدث ذلك كلُّه بعد فترة "نيفرينسلي".

قال "هانس":

- يمكننا التدرُّب في الجراج الخاصّ بنا.

لم نصدِّق آذاننا. لم تكن الجراجات المفتوحة للفِرق الموسيقيَّة متوفرة. كما كانت معظمها ممتلئة بالفعل. يخزّن الناس أشياء وينسونها. والفرق الموسيقيَّة تُحدِث ضوضاء وتزعج الجيران، خاصَّة في الليل. كما تجذب المراهقين الذين يدخِّنون ويتلفَّظون بكلمات سيِّئة، ولا أحد يريد أمثال هؤلاء قُرب منزله أو ممتلكاته.

أضاف:

- لا نملك سيارة ولا نستخدم الجراج، لن تهتمّ أمي.

تحتاج أماكن التَّدريب إلى عزل الصوت. يستخدم الناس عـادة سـجاجيد قديمة، أو كراتين بيض، أو مراتب من الفوم. تذكَّرتُ مرتبـة حصـل عليهـا أبي مجانًا من مكان ما، وظلَّت مُخزَّنة عندنا لأعوام. أردنـا الـتخلُّص منهـا، لكـن كعادة أبي، لم يوافق. كان يرى أنَّها ستكون ذات نفع يومًا ما. حتّى إنَّه حاول إقناع أمّي باستخدامها في التَّخييم، كمرتبـة داخـل الخيمـة، لكنهـا لم تقتنـع؛ كانت قبيحة بشكل واضح، وأطرافها ممزَّقة وبها ثقوب. لم يكن هناك سبب للتوجُّه إلى أبي بالسؤال، فتبعتُ حدسي، وسألتُ أمّي مباشرة إنْ كان بإمكاني أخذها:

- أجل، خُذها من فضلك.

شعرَتْ بالرّاحة للتخلُّص منها أخيرًا.

- إنَّها مجرَّد هراء آخر أحضره والدك، لا أفهم لماذا يجمع تلـك القمامـة؟ ولكن، لا تجعله يراك وأنت تأخذها.

هرَّبْتُ المرتبة الفوم إلى جـراج "هـانس"، وضـعناها عنـد البـاب وأسـفل السَّـماعات والـدرامز. لم يشـعر أبي بغيـاب المرتبـة. أحضر "ألي" و"مـاجي" السِّجاد. تمكنّا من الحصول على سجادة سميكة جـدًّا، مزيَّنـة بـالزُّهور، مـن غرفة إعادة تدوير في "سوورلاندبروت"، أحضراها في البـاص، تضـايَق الركـاب بالطَّبع لأن رائحة البـول والقـيء كانـت تفـوح منهـا. وضـعناها عـلى الأرض وجمع "ألي" كراتين البـيض، ثـم علَّقهـا عـلى الحـوائط ومعهـا بعـض الفـوم، وبعض أجزاء السّجادة ذات الرائحة المتعفِّنة. أخيرًا، أصبح مكـان التَّـدريبات جاهزًا، ويبدو على طراز "البانك". كان العرَق يغطينا لكن كنّا سعداء بنتـائج مجهوداتنا. لم يبقَ سوى أنْ نبدأ في العمل.

لم تكن هناك نوافذ أو نُظم تهوية في الجراج، كما غطَّينا الباب بالفوم، فأصبح المكان أشبه برحِم ساخن مكتوم. تعرَّقنا، ومع الوقت امتلأ المكان برائحة العرق، والبول والقيء. كان "ألي" أكثر قابليَّة للإصابة بالغثيان، فكان يركض إلى الخارج من وقت إلى آخر للتقيّؤ. لكنَّنا اعتدنا تدريجيًّا على الرّائحة، فلم نعُد نلحظها. دُخنا وأشعلنا البخور، وعلَّقنا البوسترات، كي نشعر أنَّ المكان أقرب إلى المنزل بالنِّسبة لنا.

عقدْنا الاجتماع الرَّسمي الأوَّل للفرقة. كانت أول بنود الأجندة: الاسم. نحتاج إلى اسم "بانك". تمَّ استبعاد اسم "أنتي - بوليس" بثلاثة أصوات ضدّ واحد. أراد "ماجي" أسماءً مثل: "ريح"، أو "مؤخّرة". بدا هذا لي سخيفًا، كأنَّها مزحة سيِّئة. لم تكن هذه فرقة مقالب. كان لـ"هانس" خبرة أكبر من خبرتنا في الفِرق، حتّى إنه قرأ كتبًا عن الفِرق الموسيقيَّة.

رغم أنَّ اسم الفرقة المفضلة لديه كانت "باي سيتي رولرز"، فإنَّه كان مطَّلِعًا على الموسيقى و"الروك بانك" أكثر منّا جميعًا. اقترح "هانس" اسم "بانك أيسلاندك لاند"، أيْ: أرض "البانك" الأيسلندي، ويكون اختصارها "بي إيه إل" BAL. هكذا لن نحتاج إلى لوجو، بل يمكننا استخدام الشعار الخاصّ بالفرقة الإنجليزيَّة المعروفة "بابليك إيمدج ليميتد" التي كوَّنَها "جوني روتن" بعد "سيكس بيستولس". أوضح "هانس" أنَّ إعادة الاستخدام من مبادئ "البانك"، فلما لا نعيد استخدام اسم؟ وجدتُ الفكرة مذهلة، لكنَّني لاحظتُ أنَّها ستكون شبيهة بشكل غير مريح من فرقة تُدعى "دانسباند ريكيافيك أند إنفيرونس" واختصارها "دراك"، وهي مقتبَسة عن فرقة "كو أوبيراتيف فور ريكيافيك أند إنفيرونس" واختصارها "كراك". لم أشأ أنْ نكون مثلهم بأيِّ شكل. لم

أشأ أنْ يشعر أحد أنَّنا تأثَّرنـا بــ"دراك". الكثـير مـن الفِـرق الجيـدة لم تجتَـز مرحلة اختيار الأعضاء للاسم. اختيـار الاسـم الجيِّـد أمـر مصـيريّ. في النهايـة تحوَّل النقاش إلى جدال بين "ألي" و"ماجي"، ظلَّ "ماجي" يقترح أسماءً مثـل: "سيلان الأنف"، و"المهبل"، وحتّى "فرْج!". اتَّضح أنَّ "ماجي" لم يكن متوافقًـا معنا، فهو ليس مناسبًا للفرقة، فتمَّ طـردُه فـور اعترافـه بأنـه انضـمَّ للفرقـة فقط من أجل التأثير على الفتيات. انتهى أمره بالنِّسبة لي فور قوله ذلـك. لم يكن بإمكاننا تحمُّله لمدة أطول. ثم قـال هـو إنَّ فـرص جـذب تلـك الفرقـة للفتيات ضعيفة على أيِّ حال.

بعد أنْ خرج "ماجي" وصـفعَ البـاب المُغطـى بـالفوم خلفـه، سـأل "ألي" بتعجُّب:

- كيف يعتقد - بحقِّ الجحيم - أنَّه سيحصل على فتـاة وهـو يستنشـق، وأنفه يسيل طوال الوقت؟

قلت :

- هل تعرف أنَّهم يلقبونه بـ"سنوتي" لأنَّ أنفه يسيل دومًا؟

كان "هانس" يجلس هادئًا، لم يشارك في الحوار، لكنَّه فجأة سأل:

- ماذا عن "نيفرينسلي"؟

- ماذا؟

- لماذا لا نُطلق على الفرقة اسم "نيفرينسلي"؟ إنَّه مثير!

"نيفرينسلي"؟ بدا هذا اسمًا جيِّدًا. إنْ أصـبحنا معـروفين عالميًـا، سـتكون ترجمتُه سهلة: "الأنف الذي يسـيل باسـتمرار". فكـرتُ في الأمـر. "جـون" أو "جوني" المغني الرئيسي لفرقة "الأنف الـذي يسـيل باسـتمرار"، يبـدو جيِّـدًا. أومأ "ألي" موافقًا. وأصبح هذا اسم الفرقة. نحن "نيفرينسـلي". أفضـل فرقـة "بانك" في أيسلندا، وها هي تبدأ العمل.

تدرَّبنا على مـدار الأيـام والأسـابيع التاليـة، مـن أوَّل اليـوم لآخـره. بـدأنا بعزف أغنيات فرق أخرى، "بابليك إيمدج" لـ"بي إيـه إل"، و"دو ذاي أو أس أ ليفينج" لـ"كـراس"، وأغنيـات بسـيطة أخـرى. لم أتمكَّـن مـن بـدء العـزف في التَّوقيت المناسب، فشلتُ مرارًا وتكـرارًا. أومئـوا لي مشـجعين، لكنَّـي كنـت أشعر بالفشل في تمييز الإيقـاع، فأبـدأ عـادة متـأخِّرًا أو مبكِّـرًا. كـأنني رجـل أعمى في متاهة. حتّى عندما أنجح في الدخول في الوقت الصَّحيح بالصُّـدفة، أفسد الإيقـاع لاحقًـا، إلا أنَّ الأغنيـة كانـت سـهلة وبطيئـة، لـذا عـزف "ألي" و"هانس" الأغنيات ببطء شديد. حـين تقـترب بدايـة الغنـاء، يـومئ "ألي" لي بوضوح فأقرأ حركات فمـه، أو يغنّـي بدايـة الأغنيـة معـي. سـاعدتْني تلـك الطَّريقة على حفظ إيقـاع الأغنيـة. لكـن ذلـك لـن ينفعنـي في المسرح حـين يكون عليك الرَّكض والقفز والرَّقص، وعيناك على الجمهور، لا يمكن أنْ تقف هناك مثل الحجَر بعينيْن مثبتتيْن على "ألي" طوال الوقت.

كان عجزي عن متابعة الإيقاع يصيبني بالشَّلل، ويزيد خجلي وخوفي من المسرح. لم أشعر بالرّاحة في الوقوف أثنـاء الغنـاء، كنـتُ أفضِّـل الجلـوس في ركن مـا، وقـراءة الكلـمات أو انتظـار إشـارة "ألي". بـدأتْ أحـلام الشُّـهرة في التحطُّم بعد أنْ كانت تبدو قريبة. كيف يمكنني إحياء حفل؟ بالكاد يمكنني الجلوس في ركن والتمتمة. ربما أحتاج للتَّدريب؟ ربما سأتعلم الأغنيات؟ ربمـا تغيِّرني كثرة الممارسة!

سريعًا، ولدتْ أول أغنية "جديدة" لنا. وضع "ألي" لحنًا بسيطًا وإيقاعًا، وكتب بعض الكلمات وأطلق عليها "كان هناك هيبي". كانت عن شـخص "هيبي" مغفَّل يسير مرتديًا فسـتانًا مزينًـا بـالورود، ولا يعـرف أن موضـة "الهيبي" قـد انتهَـت. أغنيـة بسـيطة مثـل أغنيـات الأطفـال، حتّـى إننـي

غنيت باندماج ولم أحتَج إلى التَّحديق في "ألي". تفاجأنا حين وقفتُ وصرختُ في نهاية الأغنية، باتِّجاه الفوم على باب الجراج:

- كان هناك هيبي، هيبي لعين دائمًا.

فكَّر "هانس" في أغنية أخرى، دندنها لـ"ألي" الذي نقر الإيقاع على الجيتار. لعبوا الأغنية وسجلتُها على شريط. ثم أوكلوا إليَّ مهمة كتابة الكلمات. جلستُ ليلًا، بقلم وورقة، أستمع إلى الموسيقى مرارًا وتكرارًا بينما أكتب الكلمات:

الفوضويَّة والحريَّة..

الفوضويَّة والحريَّة..

الفوضويَّة والحريَّة هما ما أحتاج..
اللَّعنة على الحكومة..
لا يمكنك منعي من فعل ما أشاء..
اللَّعنة عليك أيُّها الخنزير..

الكلُّ يعتقد أنَّه يعرف..
الصَّواب من الخطأ..
لكنَّهم لا يعلمون شيئًا..
لهذا، أغني تلك الأغنية..

اللَّعنة على الشُّرطة، وعلى المدارس..

مجرّد مغفلون..
اللَّعنة على الجيوش والكنائس..
فلتحيا الحريَّة والفوضويَّة..

لم أصدِّق عيني. كتبتُ أغنيتي الأولى! لم تكن سيِّئة كما توقعتُ. تلك أغنية "بانك" صادقة. لعبت الموسيقى ودندنتُ الكلمات. لم أعُد ضيف شرف بل مشاركًا. تحمَّستُ حتّى إنَّني لم أنم حتّى الفجر.

وضعنا الأغنيات الواحدة تلو الأخرى. يؤلِّف "هانس" و"ألي" اللحن وتأتي الكلمات من هنا وهناك. استعرْنا واحدة من الشّاعر "شتاين شتاينر" مثلًا. كتبتُ بعضها وكتب والد "ألي" واحدة: "حرب في بيروت". كانت أغنية بطيئة وحزينة. ورغم أنَّني لم أعرف أين تقع "بيروت" على الخريطة، فإنَّني غنيتُ بحزن:

حرب في "بيروت"..
تطير القنابل..
تنهار المنازل مثل الدَّمع..
يهرب الناس، تحلِّق الصَّواريخ..
في الخوف المجنون..
عالم مجنون..

بعد أسابيع من التدريب، أصبح لدينا بضع أغنيات خاصة بنا. صرنا فرقة حقيقيَّة. تحمَّس "ألي" و"هانس" للعزف في مكان ما، ولكنَّني ترددتُ ورفضتُ الفكرة. رغم أنَّني أردتُ الوقوف على المسرح والصُّراخ

"في الخوف المجنون.. عالَم مجنون"، لم يكن لديَّ حماس لهذا. شعرتُ بالقبح والغباء. نظّارتي سخيفة ولا يمكنني التخلُّص منها، لأنَّني لا أرى من دونها. كما أنَّ عينيَّ كانتا ضعيفتيْن وباهتتيْن. ثُمَّ ماذا عن عجزي عن التّزامن مع الإيقاع! عرفتُ أنَّ الأمر سيزداد سوءًا إنْ أصبحتُ تحت ضغط. سوف أفقد الإيقاع في منتصف الأغنية وأحرج نفسي. كنتُ أشعر بالإحراج إنْ حضر أحد أصدقائنا تدريباتنا في الجراج. أتشتَّت أكثر من المعتاد خلال الأغنيات وأنسى الكلمات. لكنَّني لم أعترف لأحد. لم يمكنني إخبار "ألي" و"هانس" أنَّ تدريباتهم الكثيرة ستذهب هدرًا لأنَّ المُغني يشعر بالحرج، وغير مستعدٍّ للغناء على المسرح. اختلقتُ الكثير من الأعذار، قلتُ إنَّني أعاني صداعًا أو غير راضٍ عن الكلمات أو اللحن. هناك دائمًا شيء يحتاج التَّعديل قبل الأداء العلنيِّ. سار عقلي في دوائر عديدة محاولًا إيجاد شيء غير سليم، وكلَّما زاد التفكير، زاد الأمر صعوبة. انتظر الصِّبية استعدادي للوقوف على المسرح بصبر وتفهُّم. وكتعويض، احتفلنا بإقامة حفلة في الجراج وسجَّلناها على شريط. ثُمَّ جلسنا في غرفة نستمع بإعجاب لأفضل فرقة "بانك" في العالَم، والتي لم تخرج للعلن لأنَّ المُغنّي الرئيسي خجول.

لَمَّا لم يكن بإمكاننا الإعلان عن الفرقة بإقامة حفل صغير، أعلنَّا عنها بشكل مختلف، حيث اشتريْنا جميعًا أقلام حبر وكتبْنا "نيفرينسلي" في كلِّ مكان: محطّات الباصات، نوافذ المحلّات، علامات الطريق، وأيّ مكان تمَّت الكتابة عليه من قبل. كان شعار الفرقة حرف "ن" في دائرة يخرج منها سَهم. مع الوقت، اشتهرَت الفرقة رغم أن أحدًا لم يسمع عنها. بتُّ حتّى معروفًا بـ"مغنّي فرقة نيفرينسلي". مغنٍّ معروف في فرقة "بانك" لم تُقِم حفلًا من قبل! مع انتشار شهرتي وشهرة الفرقة، زاد انطوائي وخوفي من

إقامة الحفل. ألم يكن هذا كافيًا؟ ألا يمكننا إقامة الحفلات الخاصَّة بنا في الجراج؟ هل نحتاج جمهور كبير لحفلاتنا؟ الأفضل أنْ يظنَّ الناس أنَّني جيِّد، عن أنْ يروا فشلي. لكنْ، وصلتْنا الكثير من الدعوات للحفلات والأسئلة عن فرقتنا. تحمَّس "ألي" و"هانس" بينما بحثتُ أنا عن الأعذار.

- لا يمكننا الوقوف على المسرح هذا الأسبوع، فيبدو أنَّني سأصاب باحتقان في الحلق.

قررنا إرسال تسجيل لنا إلى محطة راديو. أرسلْنا أغنية "عالم سيِّئ" التي كنّا نظنُّ أنَّها أفضل أغنياتنا، وتوقَّعنا أنْ تلقى نجاحًا كبيرًا، ليس في أيسلندا فقط، بل عبر المحيطات، حيث كانت باللُّغة الإنجليزيَّة.

بعد عدة أيام، اتَّصل مدير بالراديو بـ"هانس". قال إنَّه استمع إلى الأغنية ويرغب في استضافة الفرقة للّقاء. توجَّهْنا إلى محطة الراديو في "سكولاجاتا" مذهولين، نكاد نسمع دقّات قلوبنا. أدخَلونا الإستديو ورحَّب بنا المذيع. شعرتُ كأنَّني أقف على أعتاب الشُّهرة. أجري حوارًا مع الراديو القوميِّ. يستمع إلينا وإلى أغنيتنا كلُّ مواطن أيسلنديٍّ. سنصبح مشهورين! مع بداية اللِّقاء، تمكَّن منّي التوتُّر. جفَّ فمي وعرقَت يداي. سمعتُ دقّات قلبي. قدَّم المُحاور الفرقة للمستمعين وقال شيئًا عن انتشار الجراجات في أيسلندا. ثُمَّ التفت إلينا يطلب منا تقديم أنفسنا وموسيقانا. نسينا كلَّ المواصفات والكلام الذي أعددناه، وسيطر الخجل علينا. تمتمنا وتعثَّرنا بالكلام. حاول المُحاور البدء بشيء خفيف، وسألْنا عن اختيار اسم الفرقة وإنْ كنّا نصاب بالبرد كثيرًا. لم نفهم وجهة نظره، قال "ألي": "أجل"، وقلتُ أنا: "كلّا". كنتُ متوتِّرًا حتّى إنَّني شعرتُ بأذُني تكاد

تنفجر. أخبر المستمعين أنَّـه اسـتمع إلى أغنيتنـا، حاولـتُ اسـتنباط انطباعـه عنها، لكن لم يكُن الأمر واضحًا.

- هل تعرفون شيئًا عن عزف الآلات أيُّها الصِّبية؟

- كلّا، لا شيء.

- لا شيء؟ على الإطلاق؟

قال "ألي":

- يمكنني العزف على الجيتار فقط.

تمتمت:

- نعزف قدْرَ استطاعتنا.

- هل تحتاجون إلى تعلُّم العزف حتّى تتمكنوا من لعب الآلة؟

أجمعْنا على أنَّه أمر غير ضروريٍّ.

- ألا تحتاجون مبالغ كبيرة لشراء الآلات الموسيقيَّة؟

احمرَّ وجهي. عمّا يتحدَّث؟ ولماذا يسألنا هذا السؤال؟ ما مقصـده؟ لمـاذا لم يسألنا عن الكلمات؟

قال "ألي" بوضوح:

- يمكنك استعارة الآلات.

نظر إلينا الرجل بسُخرية.

- هل يمكنكم أنْ تصبحوا عازفي موسيقى دون معرفة شيء عن الآلات؟

قلتُ:

- أجل.

وقال "ألي":

- كلّا.

نظرتُ إلى "ألي" باتِّهام:

- ربما عليك تعلُّم شيء بسيط جدًّا.

قلتُ موضحًا:

- ربَّما بعض "الكوردات".

أضاف "هانس":

- وعزف الدرامز.

قلتُ:

- أجل، هذا يكفي.

نظر إلينا المحاور متسائلًا، ساد الصَّمت، أيسلندا بالخارج تستمع، منتظرة. حاولتُ إيجاد شيء شيِّق لأقوله، شعار أو ما يشبه، لكنَّ التوتُّر كان أقوى منّي. واجهتُ صعوبة في التنفُّس وعاد إليَّ شعور الاختناق المعتاد. ارتعشتْ يداي، وخفتُ أنْ يسمع الجمهور دقّات قلبي عبر الرّاديو.

- كيف تؤلِّفون الكلمات؟

أشار "ألي" وقال:

- هو يكتبها.

قلتُ:

- أنا أكتبها.

أومأ "ألي" و"هانس" مؤكّدين. الكلمات بالنِّسبة لي تؤثِّر على كلِّ شيء، وهي أهمُّ من الموسيقى. بدَت لي الموسيقى كبرواز للكلمات.

- هل تكتب باللُّغة الأيسلنديَّة أم الإنجليزيَّة؟

اعتبرتُ هذا شأنًا خاصًّا بي ولم أعرف ماذا يجب أنْ أقول.

- هذا يعتمد على أمور أخرى.

- هل تحبُّ الغناء بالإنجليزيَّة؟

- إنه أفضل من الغناء باللُّغة الأيسلنديَّة.

سأل بفضول:

- لماذا؟

- تجعل الأمر سخيفًا دائمًا.

تذكرتُ كلَّ المرّات التي حاولتُ التأليف فيها بالأيسلنديَّة، وصعوبة ترجمة الكلمات لتُناسِب اللَّحن. الجُمَل دائمًا أطول أو أقصر. ضحكتُ - رغمًا عني - عندما تذكَّرتُ. كان الحماس أقوى منّي.

ابتسم المُحاور محاولًا تخمين سبب الضَّحك.

- لماذا تجعله سخيفًا؟

قلتُ موضِّحًا:

- تجعلك تبدو أبلهَ.

حينها ضحك، لكنَّني شعرتُ أنَّه يضحك عليَّ وليس معي. كأنَّني أنا الأبله، فتوقَّفتُ عن الضّحك فورًا.

- من الصَّعب إيجاد الكلمات المناسبة؛ يصبح الأمر محيِّرًا.

بدأتُ أشعر بالغثيان.

سألني:

- ولكنك تجد متعة في اللَّعب بالكلمات حتّى لا يفهمها أحد؟

ماذا يقصد الآن؟ ما هذا السؤال؟ لماذا لا يسأل عن "البانك" والفوضويَّة؟ عمَّ يتحدَّث؟ ألا يعرف كيف يُجري لقاءً؟ ألقيتُ نظرة غريبة على الصِّبية لأرى إنْ كان لديهم إجابة. نظروا إليَّ بتساؤل كذلك. شعرتُ

أنَّني على وشك الانفجار. هل سيتحوَّل اللِّقاء إلى كارثة؟ هل سيُطفئ الجميع الراديو؟ انتظرتُ أن تنفجر رأسي ويغطي دمي حوائط الإستديو.

- ماذا؟

كرَّر السؤال.

- هل تجد متعة في اللَّعب بالكلمات حتّى لا يفهمها أحد؟ ربما لا تفهمها أنت أحيانًا؟

قلت، لا لشيءٍ، إلّا للردِّ فقط:

- نعم ولا.

لكنَّني لم أفهم مقصده بعد.

ساد صمت غريب.

- لكن هل تحمل كلماتك معنى؟

أخيراً، سؤال له معنى، شيء يمكن للمرء فهمه.

جاوبت بثقة:

- أجل، بالطبع.

- ومَن تستهدف بكلماتك؟ هل تحاول الوصول إلى زملائك؟

ما تلك الأسئلة بحقِّ الجحيم؟ ماذا يقصد؟ هل نحاول الوصول إلى زملائنا؟ كيف يمكننا الوصول إليهم؟ ألا يفهم أنَّنا فرقة "بانك" ولا توجد فرقة "بانك" حقيقيَّة غيرنا في أيسلندا؟ نحن أوَّل فرقة "بانك" حقيقيَّة تغنّي للفوضويَّة. ثم يسألنا عن الوصول إلى أمثالنا؟

قال "هانس" فجأة:

- السياسيين.

- السياسيين؟!

تعجَّب المحاور مثلي تمامًا.

لم أتخيل أنَّ رجال السياسة سيستمعون إلينا. كيف فكَّر "هانس" في هذا؟ نغنّي حتّى يسمعنا رجال السياسة؟ بدا العثور على سياسيٍّ يحب الاستماع إلى "نيفرينسلي" مستحيلًا. تذكَّرتُ هؤلاء الرجال الذين يشاهدهم أبي على التليفزيون. من المؤكد أنَّهم لن يستمعوا إلى "نيفرينسلي". قلتُ:

- كلّا، للجميع.

- الجميع؟

- أجل.

- هل تحاولون التأثير على الأجيال الأكبر سنًّا؟

- لا ننتظر منهم أيَّ اهتمام.

انضمَّ "ألي" و"هانس" إليَّ.

تمتم "ألي":

- انتهى العصر القديم.

- فلا جدوى من التحدُّث عنها؟

جاوبنا:

- أجل.

- لكن ماذا يظنُّ آباؤكم وأمَّهاتكم؟ هل تعجبهم تلك الموسيقى؟

حرَّكنا رؤوسنا نفيًا جميعًا. لم يسمع أبي أو أمّي عن "نيفرينسلي". ومن المؤكد أنَّ الموسيقى لن تعجبهم. لا أظنُّ أنَّ أمّي ستصنِّفها كموسيقى حتى. وأشكُّ أن أبي ظنَّ - ولو للحظة - أنَّني عضو بفرقة.

قال "هانس":

- أمّي لا تهتم.

شعر المحاور أنَّه لن يحصل على إجابة شيِّقة لهذا السُّؤال فغيَّر الموضوع.

- هل تعملون؟

هل نعمل؟ ما نوع هذا السُّؤال؟ إلى أين سيقودنا هذا الموضوع؟ لماذا يهتمُّ إنْ كنّا نعمل أمْ لا؟ كان سؤالًا غريبًا. ربما سيسأل إنْ كان أجدادنا على قيد الحياة كذلك.

قال "ألي":

- كنّا في برنامج تشغيل الشَّباب.

ثم أضاف وهو ينظر إلى "هانس":

- اثنان منّا فقط.

حدَّق المحاور بيّ. جاء دوري لقول شيء في هذا الحوار، الأمَّة تستمع وتنتظر بفارغ الصَّبر.

قلتُ:

- كنتُ أعمل جليسًا لأختي.

ثم عاد الصَّمت. ربَّما كنّا أقوياء وشديدي التمكُّن بالنِّسبة لهذا الرَّجل. من الواضح أنه لا يعرف شيئًا عن "البانك". ليسَت الأسئلة حول اللُّغات والعمل مناسبة. لماذا لم يسأل عن الأغنية؟ التحدُّث عن جمالياتها وعن روعة تكوين أوّل فرقة "بانك" حقيقيَّة في أيسلندا. فرقة يمكن مقارنتها بالفرق المهمَّة في إنجلترا.

- حسنًا يا رفاق، ماذا يمكنكم إخباري عن تلك الأغنية التي سنستمع إليها الآن؟

أخيرًا، ستستمع الأمَّة الأيسلنديَّة إلى "بانك" أيسلنديٍّ حقيقـيٍّ. وسـينتهي هذا الحوار الكابوسيُّ قريبًا.

قال "هانس":

- اسمها "عالَم سيِّئ".

قلتُ، وأنا أشير إلى "ألي":

- هو ألَّف اللَّحن، وأنا كتبتُ الكلمات.

- وهل تظنُّ أنَّ العالَم سيِّئ؟

- أجل.

أجبتُ بثقة؛ فقال الرجل باستمتاع:

- لكن لا بدَّ أنَّه عالَم جيِّد، ففيه يمكن لأيِّ شخص لعب الموسـيقى حتّـى دون تعلُّم الآلات.

سؤال آخر غير مهمٍّ، وليس له علاقة بالموضوع.

هل كان يقصد إثارة حيرتنا وإحراجنا بأسئلة لا نفهمها؟!

قلتُ:

- ماذا؟

وقال "ألي" في اللحظة ذاتها:

- أجل.

قال "هانس":

- هذا جيِّد.

بدأنا نفقد السيطرة مجدَّدًا. قلتُ في محاولـة أخـيرة لإنقـاذ اللِّقـاء، فقـد كانت لحظة مصيريَّة:

- ليس عزف الموسيقى كفاية، تحتاج إلى مستمعين أيضًا.

التفتَ وضغط على بضعة أزرار. وقال:

- فلنأمل أنَّ أحدهم يستمع إلينا، شكرًا لمجيئكم أيُّها الصِّبية.

ثُمَّ بدأ تشغيل الأغنية.

لماذا العالَم مكان سيِّئ؟

أمْ أنَّني أنا الحزين؟

خرجْنا من محطة الإذاعة. سِرنا في مركز المدينة مثل نجوم الروك. اتفقْنا جميعًا أنَّ اللِّقاء لم يسِر جيِّدًا. كان المُحاور العجوز أبله، يسأل أسئلة لا معنى لها. لكنَّ أغنيتنا أذيعت على الراديو واستمع الجميع إليها. شعرْنا بالأمل في أنْ يلتفَّ الجميع حولنا في الميدان ويطلبوا توقيعنا. لكنَّ الطقس كان باردًا، وأغلب الناس تُسرع إلى منازلها حيث الدفء، فلم يلحظوا عازفي "البانك" الثلاثة الذين يقفون بآمال عريضة في زيِّهم البسيط. كنّا نرتدي تيشيرت في هذا الطَّقس البارد، وأيدينا في جيوبنا، نستند إلى الحائط مثل "سيكس بيستولس" بأنوف تسيل.

اعتدتُ في تلك الفترة على التسكُّع حول المدينة، مشيًا أو بالباص، ليلًا ونهارًا. هكذا اكتشفت "أوت ريتش"، إنَّه مشروع تقيمه مدينة "ريكيافيك" في "ترايجفاجاتا". "أوت ريتش" عبارة عن بالغين يقودون سياراتهم حول المدينة بحثًا عن المراهقين قليلي الحظِّ من أمثالي. أخذوني معهم عدَّة مرات خلال السَّنوات، إلى الملجأ في "ترايجفاجاتا"، وثرثروا كثيرًا، حتّى إنَّهم أشركوني في عدَّة نشاطات. يحاولون فهم اهتمامات

المراهقين وتوفير الموارد لهم لتنمية تلك الاهتمامات. أمضيتُ بعض الوقت الجيِّد هناك. كان اهتمامي الرَّئيس هو الفوضويَّة، لذا كانت الموارد المتوافرة لديهم هي التحدُّث معي عن الفوضويَّة والأمور المتعلِّقة بها. لكنَّهم فهموا أمورًا لم أقُلها وقرَّروا أنَّني روح معذَّبة، وأنَّني أصبحتُ مدمّرًا بسبب التسلُّط الذي تعرَّضتُ له ولم أتمكَّن من الدِّفاع عن نفسي. كذلك شعرتُ أنَّني أستحقُّ ذلك، وأنَّه أمر مفهوم، فأنا غبيٌّ، وممِلٌّ، وقبيح وسخيف. كنتُ شخصًا سخيفًا، وبالطبع يتسلَّط الآخرون على السُّخفاء. اهتمَّ الرِّفاق في "أوت ريتش" بمناقشة هذا وأهملوا الفوضويَّة.

- كيف حالك يا "جون"؟

لم أعرف كيف أجيب؟ لم يسألني أحد من قبل عن حالي. لم يكن لديَّ فكرة كيف أشعر. كنتُ متوتِّرًا دائمًا، وقلقًا، شغوفًا بالتحوُّل إلى شخص آخر. تمنَّيتُ أنْ أكون شخصًا أهدأ، بلا شَعر أحمر. حاول الرِّفاق في "أوت ريتش" تشجيعي وإكسابي ثقة في نفسي. تحدَّثوا كثيرًا عن المستقبل، لكنَّ هذا كان يزيد توتُّري. فضَّلتُ عدم التَّفكير في المستقبل.

- هل يمكننا التحدُّث عن الفوضويَّة؟ هل تعرفون الفرق بين "براودهونيسم" و"باكونينيسم"؟

لم يعرفوا.

- ماذا تريد أنْ تصبح في المستقبل يا "جون"؟

هذا موضوع سيِّئ ومثير للقلق. ماذا أريد أنْ أصبح؟ أريد أنْ أصبح أهدأ وبشعر داكن أكثر. أردتُ أنْ أكون مغنِّيًا كذلك. لكنَّني كنتُ أعرف أنَّ ما أريده لن يتحقق على الأغلب، فأنا مجرَّد شخص سخيف، أحمر الشعر، متوتِّر، قليل الحظ. شخصٌ أحمق يرتدي النظّارات. سينتهي بي الحال في

مستشفى الأمراض العقليَّة مثل قريبي "كيدي". ربَّما كان هناك كثيرون مثلي، وُلدوا بالخطأ، مثل الأشياء المصنَّعة التي يصيبها عيبٌ ما فلا تعمل أبدًا. أشياء بلا قيمة مطلَقًا. لا يمكنك سوى التخلُّص منهم. ربما كنتُ كذلك. نسخة من شخص ما. لم أتحدَّث عن هذا مع أحد، حتّى "أوت ريتش". شعرتُ بشكل ما، ربما بلا وعي، أنَّني إن اعترفتُ بذلك فسوف يقرّون به. كان الشُّعور بالعار هو السَّبب الرئيس. كنتُ أخجل من كوني أنا، فلم أتحدَّث عن الأمر. تساءلتُ كثيرًا، لماذا يهتمّون بي؟ حين يتحدَّثون معي، أتساءل لماذا يهدرون وقتهم معي؟ هل يشعرون بالشَّفقة؟ هذا هو السَّبب غالبًا، لكنَّها وظيفتهم أيضًا. كنّا نتحدَّث ذات مرَّة، في محاولة منّي للتحدُّث عن الفوضويَّة و"البانك"، ومحاولة منهم لتغيير الموضوع، فتطرَّقنا إلى المستقبل، كالعادة.

- ماذا تريد أنْ تكون حين تكبر؟

هذا السؤال وحدَه كفيل بإصابتي بالاختناق، فضاق صدري وشعرتُ بالألم في مقدِّمة رأسي.

- لا أعرف، أيّ شيء.

- أليس لديك حبيبة؟

أنا؟ إنَّني أقبح وأسخف فتى في "ريكيافيك"، أيّ فتاة تلك التي ستريد أنْ تكون حبيبتي؟

قلتُ مبرِّرًا:

- كلا، لا يهمني أمر الفتيات.

- من الغريب ألّا يكون لفتى جميل مثلك حبيبة.

تردَّد صدى الكلمات في رأسي: فتى جميل مثلي؟

نظرتُ إلى السَّيدة متسائلًا، وأنا أفكِّر في كلامها. ابتسمَتْ وبدَت مقتنعة بذلك، لا شفقة فحسب. شيء لا يُصدَّق! كانت جميلة، رغم أنَّها لم تكن - بالطبع – "بانك"، لكنها لم تكن "هيبي" كذلك، فتاة بسيطة، عذبة ولديها صديق. كانت فتاة جميلة في العشرينيّات، تفهم كلَّ شيء وتجدني جميلًا. "فتى جميل مثلك" لم أصدِّق أن شخصًا مثلها يمكن أنْ يتفوَّه بتلك الكلمات عني، قامت ثورة في روحي. وجدتُّها أكثر أهميَّة من الأشخاص الكثر الذين أخبروني من قبل أنَّني قبيح وغبي. كلماتها أكثر أهميَّة منهم. لم يخبرني أحد من قبل أنَّني جميل. امتلأتُ ثقة.

عرف العاملون في "أوت ريتش" أنَّني عضو في فرقة موسيقيَّة. كانوا يقيمون الحفلات أحيانًا في الحديقة الخاصَّة بهم، ويسألونني إنْ أردنا المشاركة. لكنَّني – كالعادة - اختلقتُ الأعذار، لم نكن جاهزين، أو كنتُ مصابًا بالبرد أو الأنفلونزا، ثم قلتُ إنَّه لا يوجد "بانك" كافٍ في المكان، وهذا غير مناسب لفرقة "بانك" في حجم "نيفرينسلي".

- نحن فرقة "بانك" حقيقيَّة.

لم أكن أنوي العزف بين حفنة من الفرق السخيفة. لكنَّهم قرَّروا إقامة مهرجان "بانك" حقيقيٍّ! حينها استنفدتُ كلَّ أعذاري. سيكون هناك مهرجان "بانك"، ولا مفرَّ من صعود "نيفرينلسي" إلى المسرح. سيكون الحفل للـ"بانك" فقط، بلا فرق حمقاء أخرى تسخر منّي. تحمَّس "ألي" و"هانس" فور سماع الأخبار. تمَّ تنظيم الحفل وكتابة أسماء الفرق المشاركة على لافتات عُلِّقت على المصابيح في "أوت ريتش" والأماكن القريبة منها. أفضل فرق "البانك" في "ريكيافيك". مهرجان "البانك" في ساحة "ترايجافاجاتا" الأحد القادم من 1 إلى 4 مساءً! واسم "نيفرينسلي" ضمن

أسماء الفرق. اقتربَت اللَّحظة الحاسمة. ملأني الحماس والترقُّب. سأخطو أخيرًا الخطوة التي لطالما أردتُّها دون أن أجرؤ يومًا.

لم أنم لحظة خلال الليلتيْن السابقتيْن للمهرجان. أردتُ الاعتذار، هل أدَّعي المرض؟ كلّا، لا يمكنني، الأمر رُتِّب ولا مفرَّ منه، عليَّ ابتلاع الرّصاصة والقفز من فوق الحافَّة. ارتديتُ أفضل ملابس "بانك" لديَّ، أكثر جينز ممزّق وتيشيرت "سيد فيسيوس" ووضعتُ الدبابيس في أذُني. قررتُ الغناء من دون نظّارة، لن أصعد المسرح بها. ويعنى هذا أنَّني لن أتمكن من رؤية "ألي"، وسأضطرُّ إلى الاعتماد على نفسي في الغناء. كنتُ ضعيف البصر (سالب ستة في عين وسالب سبعة في الأخرى). كما كنتُ أعاني - إلى جانب قِصر النَّظر الشَّديد - من استجماتيزم قوي. لا أرى من دون النظّارة مترًا واحدًا أمامي، ويبدو كلُّ شيء آخر مهزوزًا. ربَّما هذا أفضل، إنْ لم أرَ الجمهور فلن يصيبني التوتر إنْ كان هناك بعض الصِّبية الذين لا يعجبهم غنائي، أو لا تعجبهم فرقة "نيفرينسلي". قبل دخول السّاحة، خلعتُ نظّارتي وخبَّأتها خلف سلة قمامة، ثم مشيتُ أتلمَّس خطاي. كان "ألي" و"هانس" في قمة حماسهما، لا يطيقون صبرًا للقفز على المسرح. من ناحيتي، كنتُ مشلولًا من الخوف ولم أنطق كلمة. سِرت وراءهما وأنا أتمنّى ألّا أفقد طريقي وينتهي بي الحال وحدي، بفم جافٍّ وعقل تائه. صعدَت الفِرق إلى المسرح واحدة تلو الأخرى وغنَّت أغنياتها. بين صعود الفرق، كان هناك مذيع يتولّى تقديم الفرقة التالية للحضور. جاء دورنا سريعًا.

- والآن، مع ثلاثة فتيان من "فوسفجور" يُطلِقون على أنفسهم "نيفرينسلي".

فصفّقوا وصفّقوا.

نجحتُ في الصُّعود إلى المسرح مع الصِّبية، حلقي جافٌّ وقلبي يدقُّ مثل دويِّ الرَّعد. ارتعشَت يداي من التوتُّر. وعجزتُ عن التَّفكير في أيِّ شيء.

سمعتُ "ألي" من مكان ما لا أراه يقول:

- هل الأمر على ما يُرام؟

تمتمتُ:

- مممممممم..

أردتُ الموت. الاختفاء داخل المسرح أو الانفجار في الهواء. خبط "هانس" عصيَّ الدرامز دون تمهيد، وبدأ الأغنية الأولى. أعطانا أحدهم ميكروفونًا فأمسكتُه بإحكام، كلتا يديَّ ملتفتّان حوله بقوة. أصبحتُ كالمشلول، يعزفون الأغنية لكنَّني أقف كقطعة من الخشب، على وجهي تعبير يوحي بأنَّني نسيتُ شيئًا. لم أعرف متى أبدأ في الغناء. اقترب "ألي" مني وصاح:

- لماذا لا ترتدي نظّاراتك؟

- نسيتُها.

واصَلا العزف. ثم اقترب "ألي" منّي متحمِّسًا، لكن بوجه حائر، ليعطيني إشارة البدء. رفعتُ الميكروفون إلى فمي ووضعتُ يدي الأخرى في جيبي. ما إنْ بدأتُ الغناء حتّى أدركتُ أنَّني أخطأتُ المقطع الجاري عزفه، بدا صوتي في السَّماعات غريبًا بالنِّسبة لي، فتوقفتُ عن الغناء فورًا. التفتُّ وابتعدتُ قليلًا وادَّعيتُ أنَّني قلق من أمر تقنيٍّ. استمرَّت الأغنية وتمتمتُ أنا بكلماتٍ هنا وهناك، من المؤكد أنَّ وجهي كان أكثر حمرة من الطماطم! وبهذه الطريقة، لعبنا أغنيتيْن، عزف الصِّبية بحماس وتحرَّكتُ أنا على

المسرح بغرابة، أتمتم بكلماتٍ هنا وهناك في أوقات غريبة. وبين الكلمات، كنتُ أنظر بِحيرة إلى الفراغ الدّاكن، أتظاهر أنَّ سبب تشتيتي هو بعض المشكلات التقنيَّة. وإنْ كان واضحًا أنَّه لا وجود لشيء من هذا. كنتُ فاشلًا، وشعرتُ بهبوط مفاجئ. ثم جاء وقت أغنيتنا الثالثة والأخيرة: "عالم سيِّئ". الأغنية الأشهر لنا، الأقرب إلى النجاح. كنتُ أعرف أنَّني لن أتمكَّن من الغناء، لا ذهنيًّا ولا جسديًّا. أردتُ أنْ ينتهي الأمر. كيف سأخرج من هذا العذاب؟

تمتمتُ محدِّثًا "ألي":

- ألا يكفي هذا؟ ألا ترون أنّي أكاد أُصاب بأزمة قلبيَّة؟

قال "ألي" بثقة:

- كلّا.

وقال "هانس" مشجِّعًا:

- "عالم سيِّئ" يا رجل.

تسكَّعتُ على المسرح المصنوع على الأغلب من "منصّات قشّ". ضرب "هانس" بعصيّه، وصاح:

- واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربع!

أصابتْني نوبات من الصُّداع، مثل البرق، وازدادت سوءًا بمرور الوقت، إضافة إلى التوتُّر. فتحرَّكتُ مجدَّدًا دون سبب واضح، واصطدم إصبعي بشيء، هذا هو الحلُّ. أخذتُ قرارًا سريعًا ووقعتُ على الأرض. لم أخشَ الإصابة بجرح أو ما شابه، فأيُّ شيء أهون من هذا الجحيم!. عندما جاءتني الفكرة، امتلأتُ فرحًا، سينتهي هذا قريبًا. أوقعتُ نفسي من فوق

المسرح محدثًا ضوضاء ضخمة، وقعتُ على بعض الخشب، وتدحرجتُ حتّى اصطدمتُ بالرَّصيف.

صاح أحدهم:

- يا إلهي!

- هل أنت بخير؟

لم أُصب - لحسن حظي - لكنَّني أضفت نوعًا من الدراما على الموقف. جاء موظفو "أوت ريتش" لمساعدتي، وقد بدوتُ في حال يُرثى لها.

- وقعتُ على..

- هل تشعر بإصابة؟

- أجل، من المؤكَّد أنَّني أَصبتُ شيئًا في جسدي.

ادَّعيتُ أنَّ يديَّ وساقيَّ تؤلمني، وتنهَّدتُ وانتحبتُ من الألم الزّائف. ساعَدوني على النهوض وأخذوني إلى الداخل. خرجتُ من الأزمة، بطريقة قانونيَّة. أمّا الصِّبية فلم يسمحا للأمر بإعاقتهما، وعزفوا الأغنية دون كلمات. وضَعني الموظفون على الكنبة بالداخل. شعرتُ بالرّاحة. ثُمَّ قررتُ إنهاء "نيفرينسلي" لأنَّني لا أريد أنْ أكون مغنيًا في فرقة بعد الآن. لقد اتَّضح أنَّه لا مستقبل لي في الموسيقى. لم تكن مناسبة لي، ومن تلك اللحظة قررتُ ألا أستمع لها ولا أحاول الغناء مرة أخرى. صحيح أنَّني قد تخلَّصتُ من الفرقة، إلّا أنَّها استمرَّت في الوجود بفضل الأقلام الملوَّنة. كان الحضور قليلًا، فلم يسمع الكثيرون عن فظاعة أدائي. ولم يظهر من المقال الصَّغير الذي نشر في الجريدة أنَّ "نيفرينسلي" قد أدَّت أغانيها في الحفل بشكل مختلف عن سائر الفرق.

ظلَّ النّاس يحسبون "نيفريسنلي" فرقة قويَّة، لقد رسمتْ لنا الأقلام الملونة الطريق إلى الشهرة والثروة. كانت جميع محطّات الباص في المدينة مغطّاة بـ"نيفريسنلي"، "نيفريسنلي كانت هنا"، "نيفريسنلي تحكم"، إلى جانب شعارات الفوضويّة. ظنَّ النّاس أنّها فرقة حقيقيَّة تكتسح المدينة. وواصل الصِّبية التَّدريب في الجراج، لكنَّني فقدتُ كلَّ الحماس والطُّموح. في الأيام التالية، استمعتُ سريعًا إلى الألبومات التي أملكها، ثُمَّ قررتُ ألّا أستمع سوى إلى "كراس". فوفق رؤيتي للـ"بانك"، كانت هي فرقة "البانك" الوحيدة التي يمكن اعتبارها فرقة "بانك" حقيقيَّة، لذا احتفظتُ بألبوماتهم وتخلَّصتُ من البقيَّة. أصبح "ذا كلاش" و"سيكس بيستولس" خونة في نظري، بعد أنْ كنت أضعهم في مكانة عالية!. رأيتُهم خونة للمبادئ. فقط فرقة "كراس" هي "البانك" الحقيقيُّ، ومنذ ذلك الحين، ميَّزتُ نفسي عن سائر جمهور "البانك" بأنْ أطلقتُ على نفسي "كراس بانك". وحين أُسأل إنْ كنتُ من محبي "البانك"، كنتُ أؤكد ذلك، وأضيف أنَّني "كراس بانك" أو "بانك فوضوي". هذا "بانك" يهتمُّ بالفوضويَّة أولًا، نسخة جديدة من "البانك". لم أرغب في الاستماع إلى فرق تغنّي عن حفنة من الصِّبية يتسكَّعون في المدينة ويتصرَّفون كالبلهاء، أو عن بعض الفتيات، أو عن أمور عبر البحار لا تهمُّنا، ولا الاستماع إلى أغنيات عن أمر في الولايات المتحدة، مثل حاكم كاليفورنيا المنتظَر! فليس لهذا قيمة عندي! أمّا الفوضويَّة فجزء أساسٌ من "البانك روك". يجب أنْ يستند "البانك" إلى هذا. يجب أنْ يكون "البانك" أداة لنشر الفوضويَّة. و"البانك" الذين لا ينفِّذون مبادئ الفوضويَّة لا يُعتدُّ بهم كـ"بانك"، بل هم خونة. "البانك" وسيلة لجذب الشَّباب للتَّفكير في الفوضويَّة وأهميتها.

ومفهومي عن الفوضويَّة هو فعل ما أريد ما دمتُ لا أضرُّ الآخـرين، ويمكـن للآخرين القيام بالمثل أيضًا ما دامـوا لا يضرّوننـي. تلـك هـي الرّسـائل التـي يجب على فرق "البانك" نشرها من خلال الموسيقى.



"بانك"



"كان بالمدرسة صبي صغير
ظنَّ المعلِّمون أنه بطيء الفهم
سار إلى جانب الحائط
لكن حتّى الحوائط اضطهدتْه"

- **"ثور" "أوتانجاردسمين"**

ربّما يناسب تلك المرحلة كتابة شيء عن الخريف. يمكنني وصْف تغيُّر الضَّوء، والحديث عن قِصر الأيام وطول الليالي في سطور طويلة. يمكنني وصْف تكوُّم أوراق الشَّجر على الأرض، والصَّباح الهادئ، حين يصبح

الطَّقس باردًا إلى درجة توقُّف الطُّيور عن التَّغريد. يمكنني أيضًا وصْف المطر. لكنَّني لن أفعل، فأنا لا أنتظر الخريف.

في الخريف، بدأتُ ارتياد مدرسة جديدة، اسمها "ريتارهولت". كنتُ في الفصل (دال). على الأقلِّ لم يكن فصل الأغبياء، ففصل الأغبياء هو الفصل (فاء). (ألف) و(باء) كانا للمتميزين. سعدتُ عندما انتهى بي الحال في (دال)؛ لأنَّ الفصل (فاء) كان يُدعى فصل الحمقى ولم يكن لهم مستقبل. حتّى المدرسة فقدَتْ فيهم الأمل وسعَتْ إلى عزلهم عن بقيَّة الطلبة. لا أعرف لماذا لم يضعوني في (فاء)؛ فلم تكن درجاتي جيِّدة. ربَّما كان من الصَّعب تقييم درجاتي بنظام تلك المدرسة. فمدرسة "فوسفوجس" لم تكن تقدِّم درجات بل (تقييمات). ربما حصلتُ على نقاط للحضور حيث إنَّني كنتُ دائم الحضور في "فوسفوجس". لكنَّني لم أتعلَّم شيئًا. كان لـ"ريتو" سمعة سيِّئة. معظم معارفي كانوا قلقين بشأن الالتحاق بها. مدرسة قاسية!

نتداول قصصًا كثيرة عن قسوة المعلِّمين، وعنف الطلبة الأكبر سنًّا. بعض الطلبة في فصلي قَدِموا من "فوسفوجس"، وهي مدرستي القديمة. أمّا البقيَّة فلا أعرفهم. كانت "ريتو" بمثابة نقطة التقاء، حيث يجتمع طلبة "فوسفوجس" وطلبة "برايوجيوري" وطلبة مدارس أخرى. تغيَّر الجميع وكبروا خلال الصَّيف. لم ألحظ هذا من قبل! تغيُّر الفتيات كان الأكثر وضوحًا. صِرنَ فجأة كما لو كُنَّ أكبر من الصِّبية بأعوام عدة، وبدأنَ في استخدام مساحيق التَّجميل. شعرتُ أنَّني كبرتُ عشرة أعوام خلال الصَّيف، لقد حدث الكثير. كنتُ أسمعهم يتحدَّثون عن "ريتو" كمكان للصِّبية الكبار. وها أنا الآن واحد منهم. لم أعُد طفلًا. بدأتُ في

النموِّ. أصبحتُ ما كنت أكرهه وأخشاه؛ مراهقًا، واحدًا منهم، حتّى أنَّ حَـبَّ الشباب بدأ يظهر في وجهي. كنتُ في الرابعـة عشر مـن عمـري. أكـاد أكـون راشدًا. شربتُ الكحوليّات ودخَّنـتُ السَّـجائر. وذهبـتُ إلى حفـل المخـدِّرات للمرَّة الأولى.

كنتُ "البانك" الوحيد في "ريتـو". كـان معظـم الطلبـة عـاديّين وبعضـهم مشاغبين. حدَّقوا فيّ ببلاهة، وبدا على بعضهم الخوف منّـي. ضـايقني بعـض الصِّبية الأكبر سنًّا، إذْ أوقفوني في الممر وسألوا إنْ كان بإمكانهم البصق عـليَّ، ولماذا أبدو كذلك. حاولتُ الردَّ عليهم بوضوح وتفسـير مـوقفي. لكـن، مثـل المواقف السابقة، لم يكونوا في حاجة إلى توضيح أو مناقشة. لم أُعجبهم، وقد دمَّـروا فيَّ الرغبـة الضَّـعيفة التـي كنـت أُبطنهـا للحضـور إلى المدرسـة، لقـد تبخَّـرَتْ. كـان بعضـهم مـن الصِّـبية الـذين اعتـادوا مضـايقتي مـن قبـل في "بوستايور"، لكن انضم إليهم بعض الأعضاء الجدد.

- لماذا أنت قبيح؟

- لا أعلم.

- هل أنت متخلِّف؟

- كلّا.

- هل يمكنني البصق عليك؟

- كلّا.

لا أعرف لماذا ضايقوني، لم أفعل شيئًا لأحد! لم يكـن هنـاك مـا يربطنـي بهم ولم أفتعل المشاكل معهم. لكنَّهم، ببساطة، لم يعجبهم شكلي، وتعمَّدوا اعـتراض طريقـي لإخبـاري بـذلك. تحوَّلَـت الهجـمات مـن مـرّات قليلـة عشوائيَّة في "بوستايور" إلى حدَث يـوميٍّ. أقابـل هـؤلاء الشـباب في أمـاكن

عدَّة طوال اليوم. حاولتُ الاختباء لكنَّهم كانوا يبحثون عنّي، عادة في مجموعات من شخصيْن أو ثلاثة. كنتُ أقضي الوقت وحدي. ينتظرونني أحيانًا عند بوابة الخروج في نهاية اليوم. وأحيانًا ينتظرون خارج المدرسة في أماكن يعلمون أنَّني سأمرُّ بها. عندما يظهَرون أتوقَّف عن السير. لم يكن أمامي خيار آخر. الهرب يزيد حدَّة الإهانة. كنتُ عاجزًا أمامهم. ينتظرون أيَّ فرصة ليبرحونني ضربًا. أقف هناك صامتًا بانتظار فراغهم من الأمر، يركلونني ويرحلون. يبدأ الموقف بالمضايقات اللفظيَّة أولًا.

- هاي يا رأس الجزرة، ماذا تفعل؟

- لا شيء.

- لماذا أنت غبي؟

- لا أعلم.

ثم يبدأ التَّعذيب الجسديُّ؛ يمسكونني أو يجرّونني، يضحكون ويمرحون. وحين تنفد الشَّتائم الإبداعيَّة، يبدؤون في دفعي بينهم من أجل إيقاعي. طريقتهم الأفضل أنْ يمسكني أحدهم ويجعلني أدور سريعًا في مكاني، بينما يحاول الآخرون عركلتي حتّى أقع. وعندما يبتعدون، يوجِّهني الشخص المُمسك بي بحيث أتدحرج في الطريق. لم أكن أقول شيئًا، وأحاول عدم إظهار أيِّ مشاعر. طلب الرحمة لا يُجدي؛ فهم لا يتوقفون حتّى يأتي أحدهم ويمنعهم، أو يراهم المارّة. لكن لا يأتي أحد غالبًا ولا يتوقَّفون حتّى يتعبوا ويسيروا بعيدًا ضاحكين.

بدأتُ أكرههم! لماذا يهتمّون بإيذاء شخص لا يعرفون عنه شيئًا؟ لماذا يكرهون شخصًا لم يفعل شيئًا سوى إنه اختار العيش بطريقة معينة؟ لماذا لا يمكنني أنْ أكون كما أنا؟ لماذا أضايقهم؟ هل يخافون منّي؟ ممَ

يخافون؟ هل أهدِّد وجودهم بشكل ما؟ هل استقلاليتي تغضبهم؟ ربَّما تكون شخصيَّتي شديدة التَّعقيد بالنِّسبة لهم. إنَّ تعرُّضي لهذا العنف كلَّ يوم عمَّق فهمي له. ربما ينبع العنف في العالَم كله من المصدر ذاته، ثم يأخذ مجريات مختلفة تبعًا للظُّروف والطَّبيعة. يبدأ كأفكار، ونظرات، تتحوّل إلى كلمات، ثُمَّ تتحوَّل الكلمات إلى أفعال. إنَّ إهانة شخص ما بالكلام لا تقلُّ سوءًا عن ضربه. يمكن لذلك إيلامه بالقدر نفسه، لأنَّه نابع من التَّفكير نفسه. العنف واحد وإنْ تعدَّدَت صوره. يؤلم بالقدر نفسه، سواء في "ريكيافيك" أو "باريس".

كرهتُ هؤلاء الصِّبية، وظللتُ عاجزًا عن معاملتهم بالمِثل. تمنَّيتُ إبراحهم ضربًا، لكنَّني خشيتُ إيذائهم؛ خشيتُ أنْ ألكُمَ أحدًا فأكسر أسنانه، كما خشيتُ تماديهم في تعذيبي. وأين يمكنني لكمُهم؟ لم أقوَ على تخيُّل لَكْم أحد في وجهه. ولَكْمهم في مكان آخر سيكون بلا جدوى. فكَّرتُ في ركلِهم لكنَّ ذلك لن يحقِّق شيئًا. ركلوني، وإنْ فعلتُ ذلك بهم فسأصبح مثلهم. قررتُ أنَّ أفضل طريق هو البقاء كما أنا دون التغيُّر ولو بقدْرٍ بسيط، سأثبت على موقفي؛ لأثبت ذاتي بشكل أكبر، ولن أستسلم، حتمًا في النهاية سأنتصر عليهم.

رتبتُ طريقي بحيث أقلِّل من مقابلتي لهم. غادرتُ المدرسة من الباب الخلفيِّ، وتسللتُ إلى المنزل من طريق جانبيٍّ. وفي الصَّباح، أنتظر بالخارج ولا أدخل المدرسة قبل الجرس كي أتأكد أنَّ الجميع ذهبوا إلى الفصول. بالخارج، أتجنَّب المحلّات والأماكن التي يتردد عليها أولئك الذين يعذبونني. لم أخبر أحدًا عن ذلك. لم أرغب في الحديث عنه. لم أشتكِ. خشيتُ كذلك أنْ يزيد الحديث هذا الأمر سوءًا، كأنَّني أمنحهم سببًا لضربي.

استأتُ من مدرسة "فوسفوجس" وكرهتُ "ريتو". تنهار معدتي لمجرَّد رؤية المبنى. كنتُ بمأمن في الحصص، لذا تجنَّبتُ الفسحة، وصاحبتُ عددًا قليلًا من الأولاد، وحاولتُ التَّواجد معهم طوال الوقت. لم أكن أسير وحدي. ورغم حضوري الحصص، كنتُ أتعلَّم أقلّ القليل، ولم يكن معي كتب حتّى. لم أرغب في التعلُّم ولا الذّهاب إلى المدرسة. لم تكن المدرسة مناسبة لي، عقدتُ اتفاقًا صامتًا مع المدرسين؛ أنْ يتركوني وشأني على ألّا أزعجهم بمشاكلي. أرضاهم ذلك. كانوا مرهِقين. أُطلق عليهم جميعًا ألقاب ساخرة. أطلقتُ على معلِّم اللُّغة الأيسلنديَّة اسم "برشام"، كان المعلِّم سمينًا في منتصف العمر، يتصرَّف بغرابة. حصل على لقبه لأنَّه يحمل دائمًا علبة من الأدوية وأحيانًا يتناولها في الفصل. تتردَّد قصة حول إصابته مرّة بالنَّوبة في الفصل، حيث سقط أرضًا وحملتْه الإسعاف. لكنَّه كان مرحًا. يبتسم حين أتلاعب بالكلمات. فَهِم أنَّني لا أرغب في التعلم ولم يجبرني على خلاف ذلك. كان يمكنني التحرُّك في حصَّته بأريحيَّة. وعندما أريد الخروج للتَّدخين أقف وأقول إنَّني سأخرج.

فيتمتم هو:

- افعل ما يحلو لك.

كان نفَسُه ضيقًا دائمًا، يتلفَّظ بالكلمات بصعوبة. لم يبذل مجهودًا لا ضرورة له، وكان يتحدَّث بهدوء. حين يتحدَّث، تتمكن منه عادة غريبة وهي تنظيف أسنانه بقلم أو مفتاح، ممّا يجعل كلامه غير مفهوم، مجرَّد أنفاس، تمتمات، عمليَّة تنظيف متداخلة مثل العصيدة. إنْ حاول أحد آخر تقليدي، بالوقوف كأنَّهسيترك الفصل، كان السيد "برشام" يأمره

بالجلوس فورًا. سأل أحدهم: لماذا أتمكَّن أنا فقط من مغادرة الفصل وقتما أشاء. فقال "برشام" دون النظر إليه:

- لأنَّه لا فرق بين وجود "جون" وغيابه؛ فهو لا يتعلم شيئًا.

كما كان السيد "برشام" سريع الغضب إنْ ضايقَه أمر ما، وكان يضرب التلاميذ أحيانًا. حاوَل أحد التلاميذ إلقاء قفّازه على تلميذ آخر مرة فأصاب "برشام" بالخطأ. فاحمرَّ وجهه وسحَب القفاز، ثُمَّ صفع وجه الصبيِّ به وصرخ فيه:

- إنَّك لأحمق!

رغم غرابته، كنتُ أحب السيد "برشام" كثيرًا. كان "بانك" بطريقته الخاصة. لقد احترم آرائي وأعجب بكفاحي ضد اكتساب أيِّ تعليم. ربَّما بعد سنوات عدَّة من التَّدريس، وصل إلى الاستنتاج الذي وصلتُ أنا إليه، إنَّ الأمر مُحبِط وغير إنسانيٍّ. لعلَّ كونه مبعوث النِّظام دمَّر سعادته وإرادته وأصابه بالإحباط، حتّى أصبح غير قادر على عيش يومه دون أدوية.

معظم المعلِّمين كانوا مجهَدين وغير مبالين. بعضهم عُرف عنهم السُّكر، وشوهدوا سكارى في مكان ما. يمكن ملاحظة رائحة الخمر، ممّا كان يثير الفضول. معلِّم اللغة الدنماركيَّة حمل لقب "الثمِل". كان سمينًا مثل "برشام" لكنه لم يتناول الأدوية، بل يشرب النَّبيذ. كان دائمًا ثملًا في الفصل، تفوح منه رائحة كحول قويَّة. يحمل زجاجة صغيرة في جيبه. حين يريد شرب رشفة، يوجِّه مؤخِّرته للفصل ويتظاهر بمحاولة تذكُّر كلمة أو شيء ما، ويشربها ثم يلتفتُ كأنَّه تذكَّر الكلمة. كان في العادة لا يثمل، لكنَّه أحيانًا يسرف فيصبح كلامه غير مفهوم ووقفته غير ثابتة. نجلس هناك ونشاهده بفضول محاولين منْع أنفسنا من الضَّحك. شرب مرَّةً كثيرًا حتّى

أنه نام على مكتبه، قال كلامًا غير مفهوم ثم وضع رأسه على المكتب. توقَّف حين لمسَت جبهته المكتب، نظَر بعضنا إلى بعض بفضول، لم ينطق أحد، وبعد صمت قصير، بدأ "يشخّر" فغادرنا الفصل.

معلِّم اللغة الإنجليزيَّة كان لقبه "المنتشِر" لأنَّه يسير مسرعًا. رجل مهذَّب، وقور، ومعلِّم جيِّد. كان متحمِّسًا وصبورًا ويعاملنا باحترام. كان شاذًّا! وقتها، كان هذا أمرًا مُحرِجًا، وإنْ عُرِف الأمر بشكل رسميٍّ لتمَّ فصلُه فورًا. كان " المنتشر" يدعمني، أخيرًا قابلت شخصًا يعرف الإنجليزيَّة جيِّدًا. سألتُه عن الكتب وبعض الجُمل، وشرح لي الثَّقافة البريطانيَّة. لقد عاش في لندن فتمكَّن من وصف نظام التعليم ونظام المجتمع البريطانيِّ لي. لم أكن أفهم كثيرًا من الأمور في أغنيات "البانك"، وقد شرح لي، ضمن أشياء أخرى، أنَّ "بريكستون" ضاحية في لندن، وأنَّ "كوكني" لهجة، و"ألستر" إقليم في أيرلندا. تلك كلمات تتردَّد في أغاني "البانك". جلس "المِثليّ" متوسط العمر، بصبر ونبل، يقرأ معي كلمات أغاني "ستيف ليتل فينجرز" و"كراس". لم أواجه مشكلات في حصص الإنجليزيَّة، لأنَّني أجد هدفًا من تعلُّمه، فهو الحلُّ؛ تعلُّم الإنجليزيَّة يتيح لي قراءة الكتب وفهم الأغاني وحتّى الانتقال إلى "إنجلترا" يومًا ما. حصلتُ على الدرجة النهائيَّة في جميع امتحانات اللغة الإنجليزيَّة، تفوَّقْتُ على فصلي كله. قرأتُ كتبًا تستغرق ثلاثة أشهر لإنهائها، في أيام قليلة. إلى جانب الإنجليزيَّة، اهتممتُ بمادة واحدة أخرى هي الدراسات "المسيحيَّة". فقدتُ إيماني بأيِّ إله، وكـ"بانك" فوضويٍّ مُخلِص، أصبحتُ معارضًا للدّين. لم تقنعني تلك القصص المقدَّسة، الفوضويَّة ضدُّ الدّين، وكذلك "البانك". الدّين نظام آخر يجب مقاومته. ورغم عدم إيماني بالمسيح، لوَّنتُ صوره، وذاكرتُ بالمنزل، وتصرَّفتُ بأدب

في حصص الـدّين. ذلـك لأنَّ المعلِّـم كـان رجـلًا طيِّبًـا، رائعًـا، لم أجـرؤ عـلى مضايقته. عاملَني باهتمام واحـترم عـدم إيمـاني. كـان متواضـعًا، بعيـدًا عـن التَّظاهر، واستجداء التَّعاطف. إنه المعلِّم الوحيد الذي لم يحصل عـلى لقـب، كان اسمه "إنجولفور". كما كتب "إنجولفـور جونسـون" شِـعر "إشراق فـوق بيت لحم"، فلوَّنت وقرأتُ ما عليَّ قراءتـه ولم أقـف وأخـرج مـن الفصـل. لم أخبر "إنجولفور" عن أفكاري حول الإله، ولم أسأله إنْ كان الـربُّ قـادرًا عـلى صُنع صخرة كبيرة جدًّا يحتاج إلى مساعدتي في حَملها؛ هـذا سـؤالي المفضَّـل للمؤمنين.

لكن، في منتصف الشتاء، أصاب "إنجولفور" المرضُ وتوقَّف عن التَّدريس، وحلَّ محلَّه معلِّم جديد. وجدتُه جاهلًا مغـرورًا، وفـوق ذلـك كـان قسِّيسًـا. يتحدَّث بتعالٍ مع الطلبـة، وبـدا واضـحًا أنَّـه لا يتحمَّلنـي مـن اليـوم الأول! توقَّفتُ عن التَّلوين والمذاكرة بالمنزل. شخصان فقـط في حيـاتي جعـلاني أرى شـيئًا إيجابيًّـا في الإيمـان؛ جـدّتي و"إنجولـف جونسـون" مـن "بريسـتباكا". الآخرون جميعًا بدوا حمقى، يبشِّرون بالمسيحيَّة لكـن لا يمارسـونها. كـلُّ مـا قرأتُه وسمعتُه عن المسيح بدا معاكسًـا تمامًـا لمـا يـتمُّ باسـمه. وجـدتُ كـلَّ المفتونين بالمسيح منافقين ومملّين. تغيَّرَت حصة الدّين كليًّا، يطردني القسّيس من الفصل لأتفه سبب، وتعمَّدتُ طرح أسئلة شيطانيَّة، مثل سؤال الصـخرة، الذي طرحتُه كثيرًا ولم أحصل عـلى إجابـة. لم أتوقَّـف، حتّـى سـألت إنْ كـان "هتلر" آمن بالمسيح، فتمَّ إرسالي إلى المدير.

كان للمدير لقب مثل معظم المعلِّمين: "المتعصِّـب". أصـبحتُ ضـيفًا كثير التردُّد على مكتبه. "المتعصِّب" رجل عجوز، أصلع، له أذنان، وعينان كبيرتان تكادان تخرجان من رأسه. لم يناقشني، صرخ بصوت حـاد معلنًـا

أنَّني وقح، غير مرتَّب، وأنَّها مجرَّد مسألة وقت حتّى يتمُّ فصلي من المدرسة بسبب الغياب. ثُمَّ سمح لي بالذهاب. لم أقل شيئًا، جلستُ صامتًا بينما هو يجلدني بكلماته، ثُمَّ وقفتُ و مضيْتُ. وفي يوم، طُردتُ من حصَّة الدّين للأبد. كان درسًا عن خَلْق الأرض وفق الكتاب المقدَّس، وكيف خَلَق الله الإنسان والحيوان. وجدتُ الأمر غير منطقيٍّ، سأل أحدُهم: "مَن خَلَق الله؟!". هرب المعلِّم من السؤال بالقول إنَّ الله "أبديٌّ"، فكان دائمًا موجودًا. لم أتمكَّن من السَّيطرة على نفسي:

- لكن ليس هذا ما تعلَّمناه في الأحياء مع "جاندي".

- وماذا تعلمتُم هناك؟

- تعلَّمنا أنَّنا ننحدر من القردة.

ابتسم ساخرًا:

- ومَن خلق القردة؟

- تطوَّرت من الحيوانات.

- حسنًا، ومَن خلق الحيوانات؟

- تطوَّرت من الحيوانات الأكثر بدائيَّة، وفقًا لنظريَّة "داروين".

بدا واضحًا أنَّه لا يرحِّب بنظريَّة "داروين".

- ومَن خلق الحيوانات البدائيَّة؟

فكَّرتُ حتّى تذكَّرتُ.

- جاءت من السَّمك.

- ومَن خلق السَّمك؟

- جاءت من السَّحالي.

- ومَن خلق السحالي؟

تذكرتُ صورة لنظام "داروين" معلَّقة في غرفة البيولوجي.

- جاءت من الحشرات التي جاءت من المواد العضويَّة.

- ومَن خلق المواد العضويَّة؟

حدَّق بعضنا في بعض، فابتسم منتظرًا الإجابة. لعب تلك اللُّعبة من قبل بالتأكيد، وكدتُ أرى أين سنصل.

- لا أعلم، ربما هي "أزليَّة" ببساطة.

ضحك أحدهم. بدا كأنني صفعتُه بسجادة مبلَّلة على وجهه. احمرَّ وجهه غضبًا، وتحرَّك نحوي كالعاصفة، ظننتُه سيضربني، فتجمدتُ خوفًا.

صاح بي:

- أنت فتى بغيض.

ثم رفعَني وألقى بي خارج الفصل بقوة عارمة، حتّى إنَّني اصطدمتُ بالحائط المقابل.

- لا تجعلني أراك هنا مجددًا!

أغلق الباب خلفه، ووضع نهاية لتعلُّمي العلوم المسيحيَّة.

هناك معلِّم آخر يستحقُّ الذكر في "ريتو" وهو معلِّم البيولوجي. إنَّه - غالبًا - المعلِّم الذي لا أنساه.

كان "جاندي" يشبه طائرًا غريبًا، حيث لا يتناول أدوية ولا كُحول ولا يبدي تعصُّبًا دينيًّا. كان متوسط العمر، نحيلًا وقصيرًا، لكنَّه على مستوى جيِّد من التعلُّم. عيناه مثل الخطِّ المائل، له فم صغير وأسنان كبيرة، غير منتظمة وبارزة. كان أصلع لكنَّه يصفِّف شَعره ويجمعه فوق الجزء العاري. حين ترتفع حرارته يتجعَّد شعرُه وتقف الأطراف. في الحصَّة

الأولى، وزَّع الكتاب المقرَّر علينا. كان كتابًا أصفر مطبوعًا عليه كلمة "أحياء".

سأل بسخرية:

- أتعرفون ما هذا الكتاب؟

أجاب أحدهم:

- كتاب الأحياء.

ابتسم وهزَّ رأسه. لم يكن هناك طريقة أخرى لمعرفة الإجابة، فصمتْنا وانتظرْنا أنْ يخبرنا هو.

صاح:

- تتمّة الفراخ الصَّفراء الصَّغيرة.

ابتسمَ التلاميذ المسالمون، كأنَّهم فهموا المزحة. لكنَّ معظمنا حدَّق بعضهم في بعض.

أخرجَ هيكلًا عظميًّا بحجم كامل، يقف على منصَّة خشبيَّة. كتب أحدهم "جاندي" على جبهة الهيكل بحبر أسود، وكان من الصعب مسحه، فبقي الظلُّ الخارجيُّ للكلمة واضحًا.

سأل مبتسمًا، مليئًا بالتوقُّعات مجددًا:

- وهل تعرفون مَن هذا؟

رفعتْ فتاة يدها فورًا:

- "جاندي"؟

سألت متحمسة كأنَّها جاءت بالإجابة الصَّحيحة. وكأنَّها ألقَتْ على رأسه وعاءً من البول. توقَّف عن الابتسام وقفز حتّى أصبح على بُعد

خطوة منها. فهمْنا أنَّ خطأ ما وقع ولكننا لم نعرفه. حدَّق بها غاضبًا وعيناه تطلق الشرار. فجأة، أشار إلى الباب وصاح:

- اذهبي!

وقفتْ ونظرتْ حولها متحيِّرة. ثُمَّ خرجتْ. استجمع "جاندي" نفسه وعاد إلى الابتسام.

- حسنًا، ماذا تظنّون اسمه؟

لم يجرؤ أحد على النطق خوفًا من قول الإجابة الخاطئة. هزَّ البعض رؤوسهم. عندما وجد الحماس كافيًا، صاح "جاندي"

- "سترايتي".

لم يتمكّن من منع نفسه من الضَّحك، حتّى إنَّ أسنانه لمعَتْ.

كانت حصص "جاندي" تشبه السّيرك! في بداية الحصَّة، يقف بجانب الباب وينتظر، حين يتوقَّف جرس المدرسة عن الرَّنين يغلق الباب ويوصده. غير مسموح لأحد بالدخول بعد ذلك. لم ينتظر حتّى الذين يعلِّقون مَعاطفهم بالخارج، يغلق الباب في وجوههم ولا يمنحهم فرصة. مَن يدخل الفصل قبل أنْ يتوقف الجرس عن الرَّنين غير مسموح له بالدخول، الأمر بتلك البساطة. لم يفتح الباب حين ينقر أحدهم، إلا قليلًا، ليخبرهم أنْ يذهبوا إلى المدير. أحيانًا يحضر نصف العدد فقط وينتظر النصف الآخر أمام الباب الموصود. المثير في الأمر هو أنَّ "جاندي" لم يكن غاضبًا، بالعكس، وكأنَّه يجد الأمر مرحًا. يمتلئ وجهه بالحماس والمتعة. حين يجادل الطلبة، يستمتع بالأمر حتّى إنَّه يبتسم.

كان "جاندي" ظاهرة. شاعت قصص عن كونه أستاذًا جامعيًّا حصل على درجات عدة لكنه قرأ كثيرًا حتّى جُنَّ جنونه. وجهه يحمل تلك النَّظرة،

يشبه عالِمًا مجنونًا من فيلم خيال علميٍّ. لم يعرف أحد من أين أتى لقب "جاندي". ولم يجرؤ أحد على السّؤال. مَن يفعل يُطرَد. يجيب أيَّ سؤال عن هويته بسلسلة من الأقوال المفبركة. قال إنَّه مخترع، وكان لديه معمل في "فاتناجوكول" حيث يزرع طماطم "مربَّعة". ثم قال إنَّه اخترع نباتًا جديدًا.

سأل بحماس:

- ماذا كان النبات في رأيكم؟

حين لم يجب أحد، أجاب هو:

- شجر "السفن - أب".

ثم ضحك.

نمَّق كلامه مضيفًا أنَّها شجرة زرَعها في "فاتناجوكول". تطرح ثمرها مرة كلَّ شهر، حين تنمو زجاجات "السفن - أب" على الغصون. في مرة، أحضر معه تفاحة سداسيَّة الأضلاع، قال إنَّها من معمله. في معظم الأحيان، كنتُ أستمتع بحصة "جاندي". يتركني وشأني. جلستُ بالقرب من النّافذة، ودخَّنتُ خلف السّتار أحيانًا، تظاهر بعدم الملاحظة ولم يعترض. استمرَّت الحصص وفهمتُ أمورًا قليلة هنا وهناك؛ لقلّة اهتمامي، وأيضًا لغرابة "جاندي". شرح نظريَّة "داروين" بوضوح ولكنه أيضًا اهتمَّ كثيرًا أنْ نتعلَّم كلمة "باتر كاب" باللاتينيَّة جيِّدًا، أضعْنا الكثير من الحصص في ذلك. وكأنه مهووس بالأمر، كتبَها على السّبورة وجعلنا نردِّدها كثيرًا بصوت مرتفع: "رانونكولوس أكريس"، أي نبات "الحوذان الحريف". كتب بعض الكلمات لمساعدتنا على التذكر: "ران" "كول" "لوس". حقَّقَت طريقته الهدف. على الأغلب ذلك كان الشيء الوحيد الذي تعلمتُه في فصله، انتظرتُ فرصة لإثبات ذلك، لكنَّها لم تسنح قط. يومًا ما حين دخلنا الفصل، أخذ

بعض طلبة "الطبقة العليا" "جاندي" وعلَّقوه من حزامه على الحائط، تدلَّى هناك عاجزًا عن لمس أصابع قدميْه الأرض. قررتُ الاختفاء، ذهبتُ للتدخين. وسمعتُ لاحقًا أنَّ مَن ساعدوه على النّزول تمَّ إرسالهم إلى مكتب المدير.

مدرس الألعاب الرياضيَّة "أرني نيالسون" كان معروفًا بـ"أرني أظافر" أو "أظافر" فقط. لم أفكِّر في الذِّهاب إلى غرف الاستحمام بعد حصَّة الرياضة؛ بسبب ما يحدث هناك. هناك يجري العراك والتَّعذيب أكثر من أيِّ مكان آخر، لذا لم أذهب قطُّ إلى هناك بملابسي الرياضيَّة، اضطررتُ إلى الجلوس على الأرض بينما يتريَّض الآخرون كالمجانين. لم يدعُني "أرني" سوى بـ"بانكي"، ولم يتوقَّع مطلقًا إحضاري الملابس الرياضيَّة. وحيث إنَّني لا أفعل شيئًا خلال هذا الوقت بالطبع، فقد كُلِّفت بتوصيل ابنته إلى مدرسة "فوسفوجس" عبر "بوستاوارفيجور".

- "بانكي"؟
- أجل؟
- هل معك ملابسك الرياضيَّة؟
- كلّا.
- خذ الفتاة إلى المدرسة.

فكنتُ أسير إلى منزله، آخذ الفتاة، أسير معها في "بوستاوارفيجور" وأصحَبها في عبور المشاة. بعد ذلك، يصبح لديَّ وقت فراغ.

كي أصبح "بانك" أكثر، وأحصل على احترام هؤلاء الذين يضطهدونني، حاولتُ أنْ أصبح مقزِّزًا أكثر. كان لديَّ موهبة فريدة، اكتسبتُها عبر السِّنين؛ هي أنَّني أستطيع التقيّؤ وقتما أريد. اكتشفتُ حين كنتُ أحاول التحدُّث بينما أتجشَّأ، أنَّه بإمكاني كذلك التقيُّؤ. صعوبة الأمر

تعتمد على ما تناولته من طعـام. مـن الصَّـعب تقيّـؤ الطعـام الثابـت مثـل البطاطس واللَّحم والتُّفاح. بينما الحساء واللَّحم المفروم وما شـابههم يسـهُل تقيّؤه. أسهل شيء في التقيّؤ هو الآيس كريم. عندما يضايقني أحدهم، كنـت أتقيّأ وأوجِّه القيء نحوهم. سـاعدَني ذلـك؛ فقـد وجـده الكثـير أمـرًا مقـزِّزًا فتجنَّبوني. كذلك أبصق على النَّوافذ ثم ألعقُه وأبتلعُه بينما يشاهد الآخـرون ويصابون بالدوار. اسـتخدمتُ طريقـة "السـكانك" و"الفولمـارس" في الـدِّفاع. جلب لي ذلك الكثير من راحة البال. أصبحتُ حتّى مشهورًا كـ"البانك" المقزِّز الذي يتقيّأ على النّاس إنْ ضايقوه؛ "جونسي بانك".

كلُّ ما حدث بالمدرسة أضعَف رغبتي في التعلُّم. كنتُ متأخِّرًا في المـنهج عن الآخرين، وبدلًا من الاعتراف بضَعفي، كنتُ أخفيه بالمزاح واللا مبـالاة. في اللُّغة الإنجليزيَّة، سبقتُ غـيري في المـنهج. وجـدتُ أنَّ "البانـك" علَّمنـي أكثر من حصص اللُّغـة الإنجليزيَّـة بالمدرسـة. لم أكـترث لقـراءة الواجبـات. اللُّغة الأيسلنديَّة مزعجة. كان المـنهج مملًّا ويرتكـز إلى الهجـاء وقواعـد لا نهائيَّة. الجُمل والعبارات سخيفة؛ "فقـدَت "إنجـون" منصـبها حـين ذهـب مزارعـو شرق "سكافتافيلسـيلا" إلى "بينجفيلـر". اللعنـة! مـن الواضـح أنَّ "إنجــون" تلــك مملَّــة جــدًا. مــاذا فعلــتْ لتصــدم المــزارعين في شرق "سكافتافيلسيلا"؟ رفضتُ تعلُّم الرِّياضيّات واللُّغة الدّنماركيَّة. حصلتُ عـلى وقت راحة غير رسميٍّ خلال حصصهم. لم أرَ جدوى من الفيزياء والكيمياء، توقفتُ عن إحضار شـنطة المدرسـة أو الكتـب، في أفضـل الأحـوال، أحمـل قلمًا. أحيانًا أميل عـلى المكتـب وأكتـب شـيئًا في نوتـةٍ مـا، أو أبـدأ مناقشـة بهدف أنْ يتمَّ طردي. أحيانًا لا أذهب أو أعود إلى المنزل بعد الحصَّـة الأولى.

ابتعدتُ عن المدرسة، وأصبح زملائي غرباء بالنِّسبة لي. كنتُ أمضي وقتي في مكتبة المدينة وأقرأ "ميلودي ماكر". ثُمَّ أذهب إلى المنزل مع انتهاء اليوم الدراسيِّ؛ فأبدو وكأنَّني عائد من المدرسة. شعرتُ ككائن غريب على كوكب من المخلوقات الفضائيَّة. الجميع يستمتع به عداي. لم أفهم لماذا أنا مختلف، وكأنَّه لا اتصال بيني وبين العالم، حُكم عليَّ أنْ أبقى وحيدًا في عالم مليء بمبادئ لا أفهمها أو أجدها غير عادلة. ثم تلقَّتْ أمّي اتصالًا من المدرسة، أخبرها "المتعصِّب" المدير أنَّه قلق بشأن حضوري وتصرُّفاتي. جلسَتْ أمّي معي وطلبَتْ توضيحًا ولكن لم يكن لديَّ ما أقوله. لم يوجد ما أخبرها عنه، لم تفهمني. لن نفهم وجهة نظر بعضنا، تكاتفَتْ مع "المتعصِّب" ضدّي.

أرادتْ أن أفعل ما يريدني "المتعصِّب" أنْ أفعله. كيف يحقُّ لهذا الخاسر المقزِّز أنْ يتَّصل بأمّي ويخبرها أنَّهم قلقون بشأني؟ كنتُ أكرهه. إنَّه لم يهتمّ بي يومًا. لماذا لم يخبرها بما يقوله لي دائمًا؟ أنَّني وقح ومقزِّز؟ لماذا لا يمكنني ترك تلك المدرسة اللَّعينة والبقاء بالمنزل؟ ما الغباء في رغبتي أنْ أصبح مثل "جوني روتن" حين أكبر؟ "جوني روتن" مشهور، ذلك أفضل من أن أكون مثل السيد "برشام" أو مدرس الدِّراسات المسيحيَّة.

يريد النِّظام أنْ يصبح الجميع متماثلين ويفعلون ما يريده منهم النِّظام. يجب أنْ يكون المرء دائمًا مزعجًا وشريرًا. يمكن للمرء تناوُل الأقراص كما يريد، ولا يحتاج أنْ يبتسم أو يقول قولًا لطيفًا لأحد، عليه فقط أنْ يطيع الأوامر ويذهب إلى النَّوم في الميعاد المناسب ثُمَّ يستيقظ

ويصل إلى العمل حين يبدأ النِّظام. شعورُك لا يهمُّ. "ريكيافيك" مدينة أشباح. يسكنها الأشباح والآليون.

لا يحبذ أحد هذا، ولكنَّ النِّظام لا يريد لنا أنْ نكون بشرًا. لا يريحه هذا، يريد أشباحًا. أحياء أشبه بالأموات، أشبه بشُنط سفر على سير متحرك تنتظر إرسالها إلى مكان ما. إنْ قام أحد بفعل مختلف يهاجمه النِّظام، برفق أولًا، بالنَّصيحة، ثُمَّ بقسوة تدريجيًّا. في البداية، يصحِّحه ثم يهدِّده ثُمَّ يعاقبه. إنْ تجرَّأتَ على التصرُّف بشكل مختلف يتمّ طردك من النِّظام. قف في الطابور، ارتدِ هذا، لا تبدُ غريبًا، قُل هذا ولا تقُل ذلك، ومن الأفضل أنْ تخرس. وفوق ذلك؛ تعلَّم تلك القواعد عن ظهر قلب. إنْ عرفتها جيِّدًا فلن تسير أمورك بشكل سيِّئ، وإنْ لم تفعل فلن تحصل على وظيفة، أو ربّما وظيفة مُحبطة.

لن ندع لك فرصة. سنغلق جميع الأبواب في وجهك. لن يصادقك أحد. ومَن يرغب في الزَّواج منك سيكون شخصًا غبيًّا قبيحًا مثلك. إنْ حاولتَ التحايُل على الموقف فستُسجن، ولن تهرب منه لأنّنا لا نريدك. سنوصمك بالعار ولن ترى طيبة أو سعادة في أعيننا، بل اشتباهًا وقسوة. النِّظام هو كتلة واحدة، أيُّ انحراف عنها خطأ. يتمُّ التخلُّص من أيِّ شيء مختلف، لأنَّ أيَّ اختلاف يدمر النِّظام ويصيب المؤسَّسات بالحيرة. ينظِّم النِّظام كلَّ الانحرافات. النِّظام هو ما يتوقَّعه الجميع، ويجب أنْ يكون كلُّ شيء واضحًا. لا للتنوُّع، لا للتَّغيير؛ يجب أنْ تتشابه المنازل، والنّاس. لا نريد "البانك"، نريد أغاني "ثلاثي السافانا" الفلكلوريَّة. موسيقى تقليديَّة هادئة. نريد النوم. نريد مشاهدة حلقات في تليفزيون "أر يو في" عن روعة العيش في الرّيف. ألن يكون اختفاء "ريكيافيك" وعيشنا جميعًا في

الرّيف أمرًا رائعًا؟ وجودُك يشبه كلبًا ينبح في أحلامنا. افعل ما نخبرك به وإلّا فستندم. اجلس! قف! اخرس! تعالَ هنا "كومبايا"! هذا هو المرح. هـذا هـو التصرُّف المناسب. "يوروفيجن". "صناديق صغيرة على ضـفة النَّهـر، صـناديق صغيرة من السَّكاكين، جميعها متشابهة". وجميعنا نريد الشَّيء نفسه. النِّظام هو الإله. مَن يعبدون الإله يقبلهم ويذهبون إلى الجنَّة، لكن مَن لا يؤمنـون به أو لا يثقون فيه يذهبون إلى الجحيم. والجحيم هـو مـا يحـيط بـك حـين نغلق نحـن أعيننـا عنـك. لم أتمكَّـن مـن قـول شيء. أمّـا أمّـي فهـزَّت رأسـها وتنهَّدتْ.

- لا أعرف ماذا أفعل بك بحقِّ الشيطان...

بنبرة هزيمة في صوتها. كانت أمّي ممثِّلة للنِّظام، وتلك طريقتها لإشعاري بالـذَّنب. يسـتخدم النِّظـام والـديَّ لـزرع أذرع بـداخلي، والإمسـاك بي و"اعتصاري" عند الحاجة. كان يصفعني على صـدري حتّـى أختنـق - لكنَّهـا صفعات نظيفة ومهندمة. يعلم النِّظام أنَّ بإمكانه السَّيطرة علينا من خـلال جهازنا العصبيِّ. أَلَمُ الضَّمير قادر على تدميرك من الدّاخل. النِّظام سـامٌّ، غـير مرئيٍّ، غير ملموس، موجود في كلِّ مكان. لا يترك بصماته. مجرَّد نظرة أو نـبرة صوت. مجرَّد كلمة. كلمات غامضة. كلمات حادَّة. تحكُم عليك.

كان معنا صبيٌّ "مِثليٌّ" في "ريتو"، لم يكن النِّظام يتقبل المِثليّين في هذا الوقـت. كـان الصَّـبيُّ شـيطانًا شـاذًا مقـزِّزًا. حـاول النِّظـام تـدمير ميولـه الجنسيَّة بكلِّ الطـرق، بالنَّصـيحة وبالفعـل. اضـطهاد، نظـرات، ازدراء. لا مكان لك هنا. اتَّحدت قوى المدرسة، العائلـة، الـزملاء، الجـيران. سـخرية، ازدراء، عنف، تهديـد، عـار، تأنيـب ضـمير، وأخـيرًا، العـذاب في الجحـيم.

تردَّدَتْ إشاعات عن محاولة قام بها لشنق نفسه في جراج منزله. تنفَّس النِّظام الصّعداء؛ تمَّ محو الانحراف! كان معطوبًا من البداية. بُلي الوالدان بطفل مشوَّه مات في صغره. لكنَّه في الحقيقة تمَّ "إغراقه". لم يفعلها أحد. تأكَّد النِّظام من حدوث الأمر. أكمل الآليّون والأشباح رحلتهم على الحزام الملوَّن. لا يقلقهم شيء؛ لأنَّ النِّظام راضٍ عنهم دائمًا. لا يخسرون قسطًا من نومهم. مسترخين، نصف نائمين في طريقهم إلى الجنَّة.

لم أكن في طريقي إلى الجنَّة، عرفتُ ذلك. إنَّ الجحيم مصيري، أو قسم الأمراض النفسيَّة، الأعمال الشّاقة، المخدِّرات وسجن "ليتلا هرون". أصبحتُ جاهزًا لقَطع خطواتي الأولى في طريق الجريمة مبكِّرًا. الطريق للحكم عليَّ. لم ينتظر أحد الخير منّي. أنا نسخة مَعيبة. جريمتي هي التصرُّف باختلاف عن المطلوب. لم أفعل شيئًا لأحد، ولم أسبِّب الأذى لأحد، لكنَّني مصدر تهديد. كنتُ أغنية "البانك" على مذياعٍ يفضِّلون لو يذيع موسيقى المصاعد للمتاجر. يتحدَّث النّاس كأنَّهم لا يسمعون ما يقولون، بل يستمرّون مثل التيار. هل خطئي أنَّني أسمع كلَّ كلمة تُقال؟ من الخارج، من وجهة نظرهم، كنتُ مثل الزومبي، لكنَّني شعرتُ بمهرجان "ريو دي جانيرو" يقام بداخلي. كان عقلي مفاعلًا نوويًّا يُطلِق أفكارًا وكلمات جديدة طوال الوقت. الكلمات ثلاثيَّة الأبعاد، تحمل كلُّ كلمة معاني جديدة، احتمالات. تندمج الكلمات وتشكِّل جُملًا جديدة. تلعب الكلمات على المشاعر مثل آلة وتريَّة. لكلِّ كلمة دلالتها العاطفيَّة. كلُّ شيء قابل للتغير، كلُّ شيء يتجدَّد ويتحوَّل باستمرار. لكنَّهم لا يرونني بعينيَّ، لا يمكنهم ذلك!. إنَّهم يرونني بأعينهم، يعيشون في سجن. كنتُ بالخارج،

كنتُ حرًّا، وهم مساجين. دخولي إلى السّجن مستحيل. لم يفهموا ذلك. لأنَّهم يرون السّجن كالبيت. إنَّهم مصابون بالعمى، لا يمكنهم الرؤية.

أرسَلوني إلى الطَّبيب النفسيِّ بالمدرسة، كان يأتي إلى المدرسة مرة أسـبوعيًّا للتحدُّث إلى الطلبة الذين يعانون مشاكل. لم أره من قبل لكنْ سمعتُ عنـه القصص. قال مَـن قـابلوه إنَّـه مجنـون، أو - عـلى الأقـلّ - يوشـك أنْ يكـون كذلك. رجل صغير الحجم، له لحية كبيرة جدًّا، طلب منّي بودٍّ الجلوس.

ثُمَّ سألني برفق:

- حسنًا، كيف حالك يا "جون"؟

لاحظتُ أنَّه احتاج إلى النَّظر في ورقه لمعرفة اسمي.

أجبتُه:

- بخير.

تساءلتُ إنْ كان سيرسلني مجددًا إلى أطباء "دالبروت" أمْ إنَّني كبرتُ على ذلـك؟ هـل سـيطبِّق عـليَّ العـلاج الكهربـائيَّ؟ أو سيرسـلني إلى مستشـفى المجانين؟ هل تحتاج إلى بلـوغ سِـنٍّ معـين ليـتمّ قبولـك في مصحَّة "كليـب" النفسيَّة؟!

قال باهتمام:

- أنت بخير لا شكَّ، هل تشعر أنَّ أداءك جيِّد بالمدرسة؟

فكرتُ في الأمر. شعرتُ أنَّ الأمور تسير جيِّدًا. مشـكلتي الوحيـدة كانـت اضطهاد الصِّبية لي. معظـم المعلِّمـون يتركـونني وشـأني. كنـتُ في انتظـار أنْ يفقد نظام المدرسة الأمل فيَّ، فيسمحوا لي بالرَّحيل وفعل ما أريد. قلتُ:

- تسير الأمور بشكل جيِّد.

كان بإمكاني إخباره عـن الصِّـبية، وكيـف يثـيرون جنـوني وعـن المعلِّمـين المجـانين. ولكـن لم أشـعر أنَّ كلامـي سـيغيِّر شـيئًا. لـن يـتمَّ فصـل "بيكـون"

بناءً على كلامي. "بيكون" ليس مشكلة، النِّظام يحبُّه وراضٍ عنه. لم يأتِ الطبيب لمساعدتي، بل لفحصي. كان مرسال النِّظام ويسير وفق خطاه.

- كيف الحال بالمنزل؟

لم أفهم قصده؛ فأعاد صياغة السُّؤال.

- كيف هي الأوضاع في منزلك؟

كيف أجيب عن ذلك؟ هل عليَّ إخباره عن أبي؟ عن جنون إمساكه بيديَّ ودعكه لوجنتي بينما يطلب منّي وعدَه بذلك وهذا؟ هل يغيِّر ذلك من الأمر شيئًا؟ هل سيتمُّ استدعاء أبي لمقابلة طبيب نفسيٍّ بمدرسة؟ لا مشكلة بأمّي، إلّا حينما تغضب بسبب أفعالي، بعيدًا عن ذلك لا تقوم بأيِّ هراء. أراد الأطباء في "دالبروت" تجربة بعض الأدوية عليَّ مثلًا، رفضَتْ ذلك وقالت إنَّها تفضِّل أنْ تتحمَّلني كما أنا، عن أنْ أصبح معتمِدًا على أدوية.

قلتُ:

- لا أعلم.

فكَّر بالأمر، ودَعَك لحيته ثم قرأ الورقة أمامه. ما تلك الورقة؟ مَن سمح له بالحصول عليها؟ لا أظنُّ أنَّ المعلِّمين قد يكتبون شيئًا عنّي. ربّما كانت مجرَّد قائمة سوداء بكلِّ أفعالي. أو ربَّما ذلك هو التَّقرير الذي أخذه المحقِّقون منّي؟

- كيف تسير الأمور مع والديْك؟

ماذا أقول؟ نحن ثلاثة غرباء نعيش في غرفة واحدة ونتحدَّث لغات مختلفة. أبي وأمي لا يفهم أحدهما الآخر . تفهمني أمّي قليلًا ولكنَّني لا أفهمهما على الإطلاق. نحن من كواكب مختلفة.

تمتمتُ:

- بخير.

هزَّ رأسه ودعكَ لحيته. أومأ وانتظر. وكأنَّه سيتقبَّل أيَّ شيء أقوله. لكنَّني بقيتُ صامتًا.

طلب منّي الاقتراب. وضع السدّادة في الحوض وتركه يمتلئ بالماء. صمتنا بينما الماء ينهمر، شاهدتُ الموقف بفضول.

حين أوقف الماء سألتُه:

- ما هذا؟

أعطاني كوبًا وملعقة، ووضع سلة القمامة بالقرب منّي.

سألني مستفسرًا:

- حسنًا يا "جون"،ماذا ستفعل لإفراغ الحوض؟

هذه لعبة مسلِّية. ماذا يريدني أنْ أفعل؟ ما الذي سيثير حماسه؟ من المؤكد أنَّه سيكون أمرًا مضحكًا إنْ ملأتُ الماء بالمعلقة في الكوب، ثم أفرغتُ الكوب في السَّلَّة. أو أنْ أملأ الكوب بالمعلقة وأشربه ثُمَّ أتقيَّأه في السَّلَّة. سيكون مضحكًا أيضًا أنْ أشرب الماء من الحوض مباشرة. فهمتُ ما يجري، كان اختبارًا ليرى إنْ كنتُ غبيًّا. هذا ما يُطلِقون عليه اختبار الذكاء. تمكَّنتْ منّي الرَّغبة في القيام بفعل غريب، تقديم شيء لا يتوقَّعه! ماذا لو شربتُ الماء من الحوض ثُمَّ تقيَّأتُه في الكوب ثُمَّ نقلتُه من الكوب إلى السَّلَّة عبر الملعقة؟ ثم شربتُه مجددًا؟! لكنَّ المعالج كان شديد الصَّرامة؛ فلم أجرؤ على القيام بأمور بهلوانيَّة.

سألتُه بحذر:

- ألا يمكنني رفع السدّادة فحسب؟

نظـر إليَّ متسـائلًا ورفـع حاجبَـه، وكأنَّـه يسـألني إنْ كنـتُ أرى أنَّ هـذا صحيح. بقيتُ صامتًا، أفرّغ الحوض، وعاد إلى مقعده وكتب شيئًا في الورقـة. بقيتُ مكاني منتظرًا. إنْ ذهبتُ الآن فسيكون لديَّ وقت كافٍ للتدخين قبـل ميعاد الفسحة، وخروج جميع المغفَّلـين. خـلال الفسـحة أتسـلَّل عـادةً مـن الباب الخلفيِّ إلى الحديقة المقابلة، أدخِّن هناك للحصول على بعض السَّلام. ولكـنَّ التَّـدخين مـع أيِّ شـخصٍ أفضـل مـن التَّـدخين وحـدي. كـان "دوري" السَّمين الوحيدَ الذي ينضمُّ إليَّ. لم يُعـفَ أبـدًا مـن الاضّـطهاد. وعـادة تجـد صبية مسلّين يدخِّنون خارج الفصول، صبية تمَّ طردهم من الفصل، أو تركوه مثلي.

نظر إليَّ المعالج:

- "جون"، أين تعيش الفيلة؟

فاجأني السؤال. توقعـتُ سـؤالًا عـن هوايـاتي، هيَّـأتُ نـفسي للحـديث عـن الفوضويَّة. كما أدركتُ حين قابلته مدى الشبه بينه وبين "بيتر كـروبتكن". ربمـا كانا قريبيْن، وربما يعرف مَن هو "بيتر كروبتكن" ويحاول تقليـد مظهـره. كنـتُ أودُّ أيضًـا إخبـاره عــن "كــراس" والفـرق بــين "كــراس" و"سـيكس بيسـتولس" وشعارات "كراس" مثل: "مات المسيح لخطاياه وليس لخطاياي"، و"حارب الحـرب ولا تحارب فيها". كنتُ على استعداد لمناقشة معاني تلك الشِّعارات معه. ألا يعني هذا أنَّ عليك الحرب ضدّ الحرب وليس فيها؟ أمْ يعني وجوب المحاربـة في حـرب محدَّدة وليس في كلِّ الحروب؟ لم أقابل مَن يمكنني مناقشة ذلـك معـه. أراد هـو التحـدُّث عـن الأفيـال لا الفوضـويَّة. عرفـت الكثـير عـن الأفيـال. لقـد شـاهدتُ فيلمًا وثائقيًّا عنها، وقرأتُ كتبًـا عـن الحيوانـات. الأفيـال حيوانـات رائعـة. كنـتُ

أقتني كتابًا عن الحيوانات من إصدار "فيولفا"، يحوي فصلًا عن الأفيال، وقد قرأتُه كثيراً.

كلمة فيل بالأيسلنديَّة هي "أولفالدي". كانت قد ارتبطتْ في ذهني بصورة الجمَل قديمًا. يبدو أن الأمر اختلط على شخص ما بين الجمَل والفيل؛ فوضع اسم "الجمَل" لحيوان "الفيل" عن طريق الخطأ، لكنَّني عرفت أنَّه "فيل" من الكلمة الإنجليزيَّة. هناك فصيلتان من الأفيال: الفيل الأفريقيّ والآسيويّ. الأفريقيُّ أكبر حجمًا. لكنَّني لا أظن المعالج يرغب في تلك التفاصيل. كان يختبر مدى غبائي فحسب. يا له من أمر أبله!

- أفريقيا.

تمنيتُ أنْ تكون هذه إجابة كافية، فلن أتحمَّل مزيدًا من الإزعاج. أومأ كأنَّها إجابة صحيحة، لكنَّني بهذا تجاهلتُ الفيل الآسيويَّ!

ثم سأل:

- لكن، أين تعيش الحيتان؟

أعرف الكثير عن الحيتان أيضًا. في كتاب "فيولفا" الكبير عن الحيوانات، توجد صورة لـ"أوركاس" الذي قتل حوتًا أزرقَ خرج من البحر.

- البحر.

أومأ وكتب شيئًا. ثُمَّ نظر إليَّ، وقال إنَّ بإمكاني الرحيل.

- شكرًا لك.

ثم غاص في أوراقه.

شعرتُ بالراحة. وبالخارج، رأيتُ "دوري" السَّمين يدخِّن في أحد الأركان. كنّا قد توقَّفْنا عن التسكُّع معًا خارج المدرسة. أشعلتُ سيجارة وأخبرتُه عن المعالج النفسيِّ.

سألني:

- هل أجرى عليك اختبار الحوض؟

- أجل.

- وأنا أيضًا.

ضحكتُ. وأخذ هو نفسًا عميقًا ثُمَّ أطلقه في الهواء على شكل دوائر.

- إنَّه أحمق لعين.

كانت أمّي تجلس في المطبخ عند عودتي. نظرت إليَّ بتعجُّب. شيء ما حدث. شيء سيِّئ لا شكَّ. ترتبط جميع الأمور السَّيِّئة بعلاقة ما. في تلك المواقف تنتظرني أمّي على طاولة المطبخ قبل عودتي. طلبَتْ مني - أو قُل أمرتْني - بالجلوس معها.

- أتودُّ الجلوس هنا معي يا "جون"؟

على الطاولة سيجارتان مطويتان. علمتُ فورًا أنها سجائري. بدأتُ التَّدخين منذ زيارتي للرّيف. كنتُ أُخفي العلب التي أشتريها في الحديقة. لكنَّني أحيانًا أتركها في جيبي. حاولتُ التَّظاهر بالدَّهشة وبأنَّني لا أعلم شيئًا عن تلك السَّجائر.

- هل تخصُّك هذه السَّجائر يا "جون"؟

تظاهرت بالصَّدمة كأنني لا أصدِّق أنَّها تشكُّ بوجود صلة بيني وبين هذه السَّجائر.

- كلّا.

- إذًا ماذا كانت تفعل في جيب بنطالك؟

كانت تلك بقايا سجائر جمعتها. تظاهرتُ أنَّني تذكرتُ شيئًا.

- حسنًاااا، إنَّها تخصُّ صديقًا لي.

تنهَّدَتْ بحزن.

- توقَّف عن الكذب.

- لا أكذب مطلقًا.

تمتمتُ كشخص يعرف أنَّه يكذب، ويعرف الجميع ذلك.

نظرتُ إليها مباشرة.

- هل بدأتَ في التَّدخين؟

- لا.

حاولتُ التزام الصِّدق بقدْر الإمكان، رغم أنَّني أدخِّن بالفعل. لم تعُد مجرَّد تجربة، أصبحتُ أفكِّر في السَّجائر فور استيقاظي في الصَّباح، وأدخِّن قبل الذّهاب إلى المدرسة. أحيانًا أحتاج لسيجارة بشدَّة في المساء، فأدخِّن في النّافذة. ولِمَ لا يمكنني ذلك؟ هي تدخِّن. حاولتُ تشجيعها على الإقلاع في صغري، حين اكتشفت خطورة الأمر؛ لم أشأ أنْ تصابَ بسرطان الرِّئة مثل "جولي" شقيقها، ألقيتُ بسجائرها في سلة القمامة، ولكنَّها لم تقلع. ذات مرة، أخذتُ سيجارة من العلبة الخاصَّة بها، ووضعت فيها مواد متفجِّرة ثُمَّ أعدتُها إلى العلبة. اختبأتُ وراقبتُها. جلستْ إلى طاولة المطبخ تشرب القهوة، ثم أخذتْ سيجارة من العلبة وأشعلتْها. كان الانفجار شديدًا حتّى إنَّ السّيجارة تمزَّقَتْ وتناثر التبغ في كلِّ مكان. أصاب أمّي الهلع حتّى إنَّها أوقعَتْ فنجان القهوة وانكسر. صرخَتْ ثُمَّ انفجرتْ باكية. أخافني هذا بشدة حتّى أصابني بالشَّلل. لم أتوقَّع انفجارًا كبيرًا كهذا. صرختْ أمّي فيّ:

- ما خطبُك يا فتى؟ هل تحاول قتلي؟!

شرحتُ لها لماذا فعلتُ ذلك، إنَّ التَّدخين ضارٌّ ولم أشأ أنْ تموت. توقفتْ عن البكاء فجأة وبدأتْ في الضَّحك. ثم توقفت عن الضّحك وبكتْ مجدَّدًا. استمرَّ الأمر هكذا. تجمَّدْتُ أمامها. هل تصاب بانهيار عصبيٍّ؟ هل تمكنتُ أخيرًا من إصابة أمّي بالجنون؟ هل يتمُّ إرسالها إلى "مصحة كليب النفسيَّة" وأتلقّى اللوم على كلِّ شيء؟ هل أبقى هنا وحدي مع أبي؟

- أخبِرْني الحقيقة يا "جون"، هل بدأت في التَّدخين؟

شقيقتي "رونا" تدخِّن، وكذلك جميع أصدقائي. التَّدخين أمر شيِّق. فجميع الممثّلين يدخِّنون. وكلُّ أعضاء الفرق الموسيقيَّة، وكلُّ "البانك" يدخِّنون. الحمقى فقط هم مَن لا يدخِّنون. حينها قررتُ كشف أوراقي على الطّاولة.

تمتمتُ:

- أجل!

أومأتْ أمّي، فتنفستُ الصّعداء.

- كنتُ أعرف، بدأتُ أشمُّ رائحة الدُّخان تفوح منك.

التزمتُ الصَّمت. ربَّما تجد الأمر عاديًّا؟

- يزعجني كذبك جدًّا.

- أعرف.

لم تكن غاضبة لأنَّني أدخِّن، بل لأنَّني أكذب عليها.

سألتْني:

- كيف تدبِّر المال لذلك؟

لم أجد صعوبة في الحصول على سجائر. أحصل عليها من الصِّبية، أو أسرق من محفظة أبي لشراء علبة.

تمتمتُ مجدَّدًا:

- من الأصدقاء.

لم تعُد غاضبة. ليس هذا بالأمر المفجع عندها. بـل غضـبتْ فقـط لأنَّنـي كذبتُ عليها.

- كيف تتوقَّع أنْ يكون ردُّ فعل والدك؟

يمكنني تخيُّل ذلك. كان يكره التَّدخين، من المؤكد أنَّه سينهار. سـيتظاهر أنَّني جرحتُه بشكل شخصيٍّ، إنَّ تلك أكبر صدمة في حياته. سـيتفاجأ ويُمسـك بيدي ويحدِّق بي. ثُمَّ ينهار ويسألني:

- لماذا تفعل هذا بي؟

فأجيب، كالعادة:

- لا أعرف.

كيف يمكنك الإجابة على ذلك؟ ما هو الردُّ على هذا الهـراء؟ ولكـن عـليَّ التعايش مع ذلك الآن حيث إنَّ الأمـر أصـبح علنيًّـا. يسـتغلُّ أبي كـلَّ فرصـة للشكوى، يستمتع بذلك أكثر من أيِّ شيء آخر. إنْ فعل أحد أو قـال شـيئًا لا يعجبه يتظاهر أنَّ ذلـك جرحـه بشـكل شـخصيٍّ، وكأنَّنـا نفعـل ذلـك بقصـد مضايقته. يتذمَّر تجاهي، وتجـاه أمّـي و"رونـا". حتّـى إنَّـه حـاول ذلـك مـع شقيقات أمّي ولكنهنَّ لم يستمعنَ له. يشتكي لأنَّهنَّ يُدخِّنَّ وكـأنَّ هـذا لـيس كافيًا فيلومهنَّ أيضًا إنْ رآهنَّ يشربنَ. يتفاجأ ويرتدي رداء المجروح.

- ما هذا، أتشربنَ الكحول؟

وينظر إلى السّاعة. فيُجِبْنَه بغير اكتراث:

- أوه، بحقِّ السَّماء، اصمت يا "كريستن".

يمكن لأبي مضايقة الجميع بتعبيرات وجهه واختياره للكلمات. يحوِّل النبيذ إلى خمور، والتَّدخين إلى مخدِّرات. ذات مرّة، انهار أمام الخالة "سالا" وقال إنَّه لا فرقَ بين التَّدخين وتعاطي المخدِّرات، ممّا يعني أنَّها مدمنة مخدِّرات. يفضِّل ألّا تدخِّن "رونا" أمامه، رغم أنَّها بالغة. لا يدعها وشأنها، يستخدم معها الطرق نفسها التي يستخدمها معي، يصبح ودودًا ومزعجًا في الوقت ذاته. دائمًا ما يبدو متفاجئًا حين يراها تشعل سيجارة.

- ماذا تفعلين؟

تظاهرتْ بعدم فهم قصده، رغم أنَّها تفهمه جيِّدًا. كانت تحاول تغيير مسار الحديث.

تسأله بمرح:

- ماذا تعني؟

يسأل هو بشكٍّ، وكأنَّه يرفض تصديق ما تراه عيناه.

- أجل يا أبي العزيز، أنا أدخِّن.

يصمت، ثُمَّ ينظر إليها بحزن وغرابة:

- لكنكِ وعدتِني بالإقلاع عن التَّدخين.

لا تتذكر "رونا" تلك الوعود قط. ولكنَّها بالتأكيد اضطرَّتْ لوعده للتخلُّص من إلحاحه وتذمُّره. يمكنه دائمًا حملك على وعده بشيء ما وينسى الجميع تلك الوعود سريعًا، عداه هو. ينسى كلَّ شيء ولكنَّه لا ينسى تلك الوعود المزعجة. يضع الناس في موقف حيث لا يمكنهم سوى موافقته على ما يطلبه. أحيانًا يمسك بك ولا يدعك حتّى تعده بأيِّ شيء. في أغلب الأحيان، لا تعرف حتّى لِمَ تحتاج لهذا الوعد. وعد أنْ تهتم، وعد أنْ تكون خيِّرًا، وعد أنْ تكون مرحًا، وعد أنْ تهذِّب هندامك. وعد، وعد، وعد. ما يفعله النّاس أو

يقولونه يجرحه بشدة. تخذله "رونا" بالتَّدخين. توقفتْ عن التَّدخين فترة وأخبرتْ أبي بذلك لإرضائه، ثُمَّ عادت بعد شهور قليلة. اقتنع أبي أنَّها خانتْه بشكل شخصيٍّ. لم تفهم "رونا" كيف وصل إلى هذا الاستنتاج!

صرخ:

- تجعلين منّي كاذبًا.

سألتْه متفاجئة:

- كيف هذا؟

أجاب بغضب:

- أخبرتُ زملائي بالعمل أنكِ توقفتِ عن التَّدخين ولكنكِ لم تفعلي. كنتُ فخورًا بكِ. لن يصدِّق أحد شيئًا أقوله. سيعتقدون أنَّني كاذب.

تخيَّلتُ أبي وهو يخبر جميع رجال الشُّرطة أنَّ ابنته توقفتْ عن التَّدخين. وكيف امتلؤوا جميعًا بالسعادة والفرح من أجله، أشرقوا، تخيَّلتُه ينقر باب المدير ويزفُّ إليه الخبر السَّعيد. ثم رأيتُ المدير يقفز فرحًا ويقول:

- هذا حقًّا خبر عظيم.

هذا غريب وأحمق، مثل معظم أفعال أبي. لم أصدق كيف يمكن له أنْ يكون بهذا البله فيخبر الجميع أنَّ ابنته توقفَتْ عن التَّدخين. لن يهتم أحد، ولكنَّه استغلَّ الأمر ليُشعرها بالذنب. أدركتُ الأمر أخيرًا، يعيش من أجل الإلحاح علينا، والتذمر وإغراقنا بحديث لا معنى له. تلك طريقته في التواصل معنا. كما يستخدم الطريقة ذاتها حين يعيد علينا خبرًا ما سمعه في التليفزيون.

ذات مرة، كان طفل "رونا" يلعب بمطفأة سجائر فارغة في غرفة المعيشة، وهي تجلس بالقرب منه تقرأ الجريدة.

فجأة أشار أبي إلى الطِّفل، وصاح:

- خذي هذا الشَّيء من يده.

قفزتْ "رونا" واقفة:

- ما الأمر؟

صرخ أبي كأنَّ حالة طوارئ تتشكَّل:

- إنَّه يُمسِك بمطفأة سجائر.

تنهَّدتْ "رونا" ونظرتْ إليه بحزن:

- ألا يمكنه اللَّعب بها إنْ كان هذا يسعده؟

تظاهر أبي أنَّ البرق قد صعقه. نظر إلى "رونا" وكأنَّها شخص مغفل لا تفهم شيء على الإطلاق.

- يمكنه قطع يده بها.

- بحقِّ السَّماء يا أبي! ليست بتلك الخطورة. توقَّف عن التصرُّف هكذا.

تنهَّد أبي وتراجَع في كرسيِّه بوجه يحمل تعبير المتذمِّر. ثم قال معتذرًا:

- لا يتعلق الأمر بالمطفأة نفسها، بل بقيمتها العاطفيَّة عند أمِّك.

أصبحتْ "رونا" الآن تجرح مشاعره ولا تحترم مقتنيات أمّي. ثُمَّ نادت أمّي من المطبخ:

- إنَّها لا تحمل أيَّ معانٍ عاطفيَّة لأيِّ شخص. مجرَّد خردة اشتريتُها من "هاجكوب" في عيد ميلادي الخمسين.

شعر أبي بالحرج وتوقَّف عن التَّظاهر بالضّيق. ثم بدأ يفكِّر في أمر آخر.

يتصرَّف أبي أحيانًا كالطِّفل الصَّغير الذي لا يدع الآخرين وشأنهم. يتدخَّل دائمًا في كلِّ شيء، في مناقشات لم يكن جزءًا منها، ويسأل عن أمور لا يفهمها ولا تخصُّه.

وحين لا تكون له علاقة بما يجري، يواصل سؤال أمّي بلا توقُّف عن أمور لا أهميَّة لها في تلك اللحظة. كأنَّه لا يطيق رؤيتها سعيدة، فإنْ كانت تقصُّ قِصة - مثلًا - يستمرُّ في مقاطعتها حتّى يُفسِد السَّرد.

تقول أمي:

- لا أنسى أبدًا أخي "جولي" حين جاء إلى المنزل في "سكيبهولت" مرتديًا زي "سانتا كلوز"، كنّا في عزِّ الصَّيف..

فيسأل أبي:

- مَن اتصل بكِ صباح اليوم؟

- ماذا؟ لا أحد.

ثم تكمل حكايتها..

فيسأل أبي:

- ألم يرنّ التليفون؟

فتجيبه أمّي بضيق:

- كانت أختك "جونا" هي المتَّصلة.

وتمرُّ لحظة صمت.

فيذكِّرها المستمع بحماس:

- وكان يرتدي زي "سانتا كلوز"، أليس كذلك؟

فتُواصل أمي:

- أجل، باللحية وكلِّ شيء. كانت أمّي تجلس في غرفة المعيشة تشاهد "بونانزا"..

يقاطعها أبي:

- هل طلبَتِ التحدُّث إليَّ؟

فتردَّ أمّي بضيق:

- كلّا.

مرة أخرى، يسأل أبي:

- هل أتَّصل بها؟

فتنفجر أمي:

- أرجوك، بحقِّ السَّماء يا "كريستن"، اتركني لشأني!.

يتظاهر أبي بالانكسار ويترك الغرفة. حينها، لا تعود أمّي في مزاج يسمح بإكمال القصة. فعلى الجميع تجنُّب جرح أبي، كأنَّنا نعامل طفلًا. إنْ لم تتحدَّث عنه أو إليه فسيقاطع حديثك. ولا جدوى من محاولة التَّهوين من وقْع الأمر عليه.

نزلتُ القبو مرَّةً لرسم شعارات الفوضويَّة على قِطَع من الكارتون لأعلِّقها في غرفتي. تحمَّستُ كثيرًا للفكرة، وأردتُ رسم شعارات تشبه ما يغطي ألبوم "كراس"، حيث تخرج خطوط الحرف A من الدائرة. وجدتُ فرشاة قديمة فاستخدمتُها وعلَّقتُ اللوح في غرفتي. بعد أيام، دقَّ أحدهم على باب غرفتي. كان هذا غير معتاد. فتحتُ، إنَّه أبي يقف أمامي بتعبير حزين على وجهه. تغيَّرَتْ ملامحه بسبب حزنه الداخليِّ، كان ممسكًا بالفرشاة في يده، وجهَّها نحوي، لقد نسيتُ تنظيفها من الدِّهان؛ فجفَّ عليها!

سألني بصوت مرتعش:

- هل استخدمتَ تلك الفرشاة؟

- أجل.

- وجدتُها على الطاولة.. لم تعُد صالحة للاستخدام.

تمتمتُ:

- حسنًا.

- والآن عليَّ التخلص منها.

وامتلأتْ عيناه بالدموع.

لم أرَ للأمر أهميَّة، إنها مجرَّد فرشاة قديمة، بيدٍ بلاستيكيَّة، صغيرة وغير مميَّزة. كما أنَّها رخيصة الثَّمن.

قلتُ:

- ليس الأمر بتلك الأهميَّة.

نظر إليَّ كأنَّه لا يصدِّق أذنيْه. رآني شخصًا تافهًا، لا يهتمُّ بالآخرين، شخصًا أنانيًّا، مدللًا، لا مبادئ له. شخصًا سبَّب الأذى للآخرين ولا يخلِّف سوى الدَّمار، وبقع الدِّهان. عندها تحوَّل من شخص جريح إلى شخص غاضب. أثاره الأمر لأقصى درجة، فامتلأتْ عيناه بالشَّرر. وأمسك الفرشاة بقسوة حتّى ابيضَتْ يده وارتعشتْ.

- ليس بتلك الأهميَّة؟ هل تدرك ما تتحدَّث عنه؟

شعرتُ بالخوف، كان أبي رجلًا ضخمًا، ذراعه بسُمك فخذي. تذكرتُ ضربه لي وأنا أصغر سنًّا. كنتُ أشبه بكيس دقيق في يده. سألتُه خائفًا:

- ما الأمر؟

- لقد أفسدتُ فرشاتي أكثر من ألف مرة.

ارتعبتُ، بدا الأمر سخيفًا ومرعبًا في الوقت ذاته. يسمح أبي لمشاعره بالاضطراب حتّى يكاد يُجنُّ. لقد أسأتُ إلى فرشته واعتبرها إساءة إليه. يرى أنَّ الفُرش من الأشياء التي تحمل "قيمة معنويَّة". تضاربَت الأفكار في ذهني، هل سيهجم عليَّ؟ ماذا يدور في رأسه؟ ماذا أقول له؟ هل عليَّ الانهيار والتوسُّل كي يسامحني؟ سيحتضنني ويبكي، يدفسني فيه

ويهمس عن حبه لتلك الفرشاة، وقيمتها المعنويَّة عنده، ثم نجلس متشابكي الأيدي ونمسح دموعنا. سيحكي لي عن الأشياء التي دهنها بتلك الفرشاة، ومن دون أنْ نشعر، سنستحضر لذَّة الحياة ونبدأ في الضحك. في المساء نخرج معًا لدفن الفرشاة في الحديقة ونبكي من جديد. ساعتها زاد خوفي واضطربَت أفكاري فانفجرتُ ضاحكًا. تأمَّلتُ هذا الرجل الغريب الذي يقف أمامي ممسكًا بالفرشاة فضحكتُ، صرختُ ضاحكًا حتّى سالَت الدموع من عينيَّ. شعر أبي بالإهانة وابتعد كالعاصفة. امتنع عن مخاطبتي لأيام، لكنَّني لم أهتمّ، بل شعرتُ بالرّاحة للتخلُّص منه. لم أهتمّ بما أحسَّه من إهانة، لم أعُد أرغب في الاشتراك بهذا الهراء. عذَّبني هذا الرجل بهرائه هذا طوال حياتي. إنَّه يحزن دائمًا. والأمر لا يستحقُّ هذا، تلك كانت مجرَّد فرشاة تافهة. استمتعتُ برؤيته يتقوقع، على الأقل لن يمكنه الإلحاح عليَّ الآن.

بعد أيام قليلة، أتت أمّي للتحدُّث معي:

- من فضلك، تحدَّثْ إلى والدك.

- عن ماذا؟

- عليك طلب العفو منه.

- العفو؟ لماذا؟ لم أفعل شيئًا.

تنهَّدتْ:

- أعلم، لكن لا يمكنني تحمُّل الأمر، افعل هذا من أجلي، فقط اطلُب منه السَّماح.

عليَّ فعل ذلك من أجل أمّي. فعادة تسامحه هي لحفظ السَّلام والهدوء بالبيت. تفعل أيَّ شيء من أجل السَّلام، تطلب منه الغفران وتسمح له بالتصرُّف بخبث. تلك طريقتها للتمكُّن من العيش معه. على سبيل المثال،

وضعَتْ أمّي مرّة ألوان الطَّعام على الآيس كريم الخاصّ به، بدلًا من صوص الشيكولاتة. لم تقصد ذلك. فلما تناول الآيس كريم بشهيَّة طيبة خلال مشاهدة الأخبار، وعاد إلى المطبخ بالطَّبق، رأت أمّي لونًا أسود حول فمه.

- ماذا فعلتَ يا "كريستن"؟

لكنَّها سرعان ما أدركت خطأها وضحكَتْ. لكنَّ أبي لم يتقبَّل الأمر بالرّوح المرحة ذاتها، بل غضب واعتبره أمرًا متعمَّدًا. لقد جرحتْ مشاعره.

- تعمَّدتُ ذلك؟ لماذا قد أتعمَّد فعل شيء كهذا؟

- لإهانتي والسُّخرية منّي.

واستمرَّ أبي في الحديث حتّى وعدَتْه بألّا تفعل ذلك مجدَّدًا. لقد ملَّت أمّي واستسلمَت فوعدتْه ألّا تضع ألوان الطَّعام على الآيس كريم الخاصّ به مجدَّدًا.

عادة ما تقول:

- ليس رجلًا سيِّئًا.

تُردِّد هذا كثيرًا حين تشكو منه لأحد. تصرخ غاضبة لكنَّها دائمًا تُنهي حديثها بجملة "ليس رجلًا سيِّئًا". هذا حقيقيٌّ! لم يكن سيِّئًا أو شرّيرًا. كان غريب الأطوار لدرجة كبيرة فحسب. ذهبتُ إليه وطلبتُ السَّماح، أرى في ذلك ظلمًا لي لكنَّني فعلتُه من أجل أمّي. كان يشاهد التّليفزيون في غرفة المعيشة، لم ينظر نحوي حين دخلتُ. شعرتُ بالحرج قليلًا ثُمَّ تمتمتُ:

- آسف.

- ماذا؟

سأل بصوت جافٍّ، كشخص جُرحتْ مشاعره ولم يكن يتوقَّع تحسُّن الأمور.

قلتُها بوضوح:

- آسف لأنَّني دمَّرتُ الفرشاة.

فكَّر قليلًا إنْ كان سيسامحني، إنْ كان بإمكانه ذلـك. وانتظـرتُ. ثُـمَّ مـدَّ يده لي. شعرتُ بضيق في صدري؛ لماذا يتوجَّب أنْ يكون الأمر هكذا كلَّ مرة؟ لماذا أبي بهذا الجنون؟ لماذا لم يكن طبيعيًّا؟ لماذا لا نتحـدَّث مثـل الأشـخاص الطبيعيّين؟ لم أعُد أتحمَّل تلـك اللُّعبـة، هـذا السّـيناريو الـذي لا يتغـيَّر قَـطُّ لعلاقتنا. لم يكـن بيننـا مشـاعر حقيقيَّـة. فجـأة أردتُ البكـاء، لـيس بسـبب الفرشاة، أو غضبه. أو حتّى علاقتنـا. لكـن بسـبب استسـلامي وسـماحي لـه باستخدامي كلعبة في الدّراما الجنونيَّة الخاصَّـة بـه. تـأمَّلني وامـتلأتْ عينـاه بالدُّموع. أمّا أنا فاختنقَتْ أنفـاسي، إلّا أنَّـني رسـمتُ ابتسـامة عـلى وجهـي. كأنَّني أبتسم لمتشرِّد أخشى هجومه عليَّ في الطريـق. بعـدها جـاءت لحظـة العناق. ضمَّني إليه حتّى أحنى ظهري.

همس:

- يجب ألّا تفعل هذا يا ابني العزيز.

- حسنًا.

- أتعدني؟

- أجل.

لم تخبرْه أمّي أنَّني أدخِّن. ولم أخبره أنا أيضًا. كان بيننا اتفاق غير منطوق بأنَّه لا حاجة له إلى المعرفة بـالأمر. بـدأتُ أدخِّـن في غرفتـي، لم يـدخلها أبي مطلقًا. كما دخَّنتُ قبل عودته إلى المنزل. ولم يلحظ شيئًا.

ترسلني أمّي إلى المتاجر أحيانًا. لم أخبرها قط بأنَّني أتعـرَّض لـلضَّرب، ولم تسألني هي. واصلتُ الذهاب لأنَّني أحتفظ بالباقي. كان في المنطقة متـاجر كثـيرة، أتفحَّـص المكـان أولًا للتأكُّـد مـن خلـوِّه مـن الصِّـبية المـزعجين قبـل الدخول. إنْ رأيتُ أحـدهم أذهـب إلى متجـر آخـر. في إحـدى اللَّيـالي، سِرتُ

الطريق كاملًا حتّى "أسجارد" لمجرَّد شراء ثلاث زجاجـات كـولا. كـان المتجـر خاويًا، لكنْ فور انتهائي من التسوق ظهر اثنان من الصِّبية الذين يزعجـونني دائمًا. كانا يتقاذفان كرة سلَّة بينهما داخـل المتجـر. حاولـتُ تجـاهلهما رغـم سماعي همساتهما عني. تظاهرت بعدم رؤيتهما وتمنَّيتُ لو يتركانني وشأني. لكنَّني لما خرجتُ من المتجر ومعي الحقيبة، جاءا ورائي فورًا.

- أنت أيُّها الأحمق، إلى أين تذهب؟ لماذا أنت غبيٌّ هكذا؟

تظاهرتُ بعدم السَّماع، وأسرعتُ الخطى لكنَّهما ركضا واعترضا طريقي.

- أكنتَ تشتري العصائر؟

تمتمتُ:

- أجل.

كان هذا أفضل من القول بأنّي أتسوَّق حاجيات أمّي.

- أنت تدين لنا بالشَّراب.

- حقًّا؟

- أجل.

- لماذا؟

- هل غباؤك بمقدار قبحك؟

لم أفهم السؤال، لكنَّني وافقتهما لأرضيهما.

- أنت تدين لنا بالشَّراب حمايةً لك، إنْ لم تشترِ لنا سنضربك، فهمتَ؟

- أجل.

مررتُ بينهما وسرتُ مبتعدًا. أخذ أحدهما الكرة ورماها نحوي، فصدمتُ رقبتي بقوة حتّى وقعتُ، انكسرت الزجاجات في الحقيبة

وسـقطتْ نظّـارتي. تحسَّسـتُ الأرض حـولي حتّـى وجـدتُ النَّظّـارة، أخـذتُها وركضتُ. وعلى طول الطريق أخذتُ أبكي خوفًا وغضبًا. هؤلاء الملاعين، مـاذا فعلتُ لهم؟ كنتُ نكرة لهم، هل بي ما يـزعجهم إلى هـذه الدرجـة؟ أخـبرتُ أمّي أنَّني وقعتُ وحطَّمتُ الزجاجـات. كنـتُ أشـعر بالخجـل. ربمـا تعـرُّضي للمضايقات دومًا ذنبي أنا. ربما أتسبَّب في ذلك لنفسي. إذا ركـض الرَّجُـل إلى أمِّه باكيًا، فماذا عليها أنْ تفعل؟ وماذا يمكنها أنْ تفعل؟ هل تتحدَّث إلـيهم؟ سيزيد هذا الوضع سوءًا.



الخمر



تمادى الصِّبية في إيذائي جسديًّا منذ هذا الحين. كانوا يمسكونني أحيانًا في المدرسة ويصيحون:

- لماذا أنت قبيح؟ لماذا أنت غبيٌّ؟ هل يمكننا البصق عليك؟

ثم يلكمونني في بطني عدة مرّات، ويركلونني بأقدامهم. ثُمَّ إذا هربتُ يركضون خلفي ويركلون مؤخِّرتي. يمكن القول إنَّ أحذيتهم قد تركَتْ أثرها على مؤخِّرتي. بعدها يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم ويحاولون عرقلتي حتّى أقع. ينجحون في ذلك كثيرًا فأسقط أرضًا. رغم ذلك، دائمًا ما أدين لهم بالمشروب في طريقي لشراء الطَّلبات. كان أحدهم صبيًّا ضخمًا وقويًّا؛ يرى أنَّني أدين له بالشراب، لا أعرف السَّبب، ربما يكذب للحصول على المشروب فحسب. أمّا عني، فقد تبنَّيتُ استراتيجيَّة عدم التحدُّث على الإطلاق، إذْ تعلَّمتُ مع الوقت أنَّ أيَّ شيء أقوله سيُستخدم ضدّي. أبقى

صامتًا، أنظر إلى الأرض، أنتظر حتّى يجذب أمر آخر اهتمامهم. في معظم الأحيان تأتي فتاة ما وتقول:

- توقَّفوا.. اتركوه وشأنه.

عادة ما يتوقَّفون. لكن لم يتدخل أحد الكبار قط، سواء مدرس أوْ ما شابه. من المؤكد أنَّهم كانوا يعلمون بما يجري ويرونه يتكرر كلَّ مرّة.

من بين الصِّبية الذين ضايقوني، كنتُ أخشى واحدًا فقط. كان شجاعًا، يشتبك في العديد من المعارك، ويبرح الناس ضربًا. كان من النَّوع الذي لا يتردَّد قبل لكمِك. كما كان غريب الأطوار. يُدعى "بيجي"، ويلقِّبه النّاس بـ"بيجي القاسي". ورغم أنَّه ليس مثل سائر الأوغاد، فقد كان صديقًا لهم. الأوغاد لن يضربوك، لكنَّهم يضايقونك فحسب. على سبيل المثال، إنْ تركتُ حقيبتي في مكان ما، يأخذونها إلى الحمّام، يضعونها في التَّواليت حتّى تتشرَّب بالماء تمامًا. وفي طريقي إلى المنزل، حاملًا حقيبتي المبلَّلة، يشيرون إليَّ ويسخرون.

- أيُّها القبيح، لماذا تحمل حقيبة مبلَّلة هكذا؟

- اضطررتُ إلى التبوُّل فيها.

- هل أنت بهذا الغباء حتّى تتبوَّل في حقيبتك المدرسيَّة؟

كان الصّبيّان اللذان يحرصان على مضايقتي يلقَّبان بـ"الأبيض والأسود"، حصلا على تلك الألقاب لأنَّهما يستمعان إلى "سكا"؛ "جنون وتميز". و"بيجي" صديقهما. كانا يعذِّبانني ذات مرّة، فدفعتُهما بعيدًا وصرختُ:

- "الأبيض والأسود".. يتحابّان ويضربان.

أغضبهما هذا وطلبا من "بيجي" لكمي. فسار نحوي بتلقائيَّة وسدَّد لكمة مباشرة إلى وجهي. لم أُلكم بتلك القوة من قبل. ارتعبتُ وشلَّني

الخوف. بعد فترة، لكمَ "دوري" بلا سبب. اسودَّتْ عينا "دوري" ولم يجرؤ على مغادرة منزله لأيّام. تناقشتُ مع "دوري" كثيراً، أصبحنا لا نتحدَّث إلا فيما يتوجَّب فعله. هل بإمكاننا إيقاف الأمر؟ الاعتراض؟ هل علينا الاتحاد ولكمُهم معًا؟ أمْ إنَّهم سيردّون بضرباتٍ أعنف؟ عندما ازداد الموقف سوءًا، تأكدتُ أنَّ الأمر لن يفلح. أصبحنا خائفيْن بشدة، لم نجرؤ على فعل شيء، حتّى إنَّنا توقفْنا عن الذِّهاب إلى "بوستاوبر"، لم نذهب إلى المحلّات، أو المدرسة، لم نركب الباص، طاردتْنا أشباحهم طوال الوقت. بدأنا نطلق على "بيجي" لقب "الجحيم". كان الجحيم اللَّعين في كلِّ مكان.

حصلتُ على سِكّينٍ من الكشّافة، فبدأتُ أحملها معي كلَّما تركتُ المنزل، لأنَّها تُشعرني ببعض الأمان. استعرتُ أدوات الخياطة من أمّي وثبتُّ السِّكّين داخل ملابسي. قلتُ لنفسي: "إنْ حاصرني "بيجي" وضايقني، فيمكنني إخافتُه بالسِّكّين حتّى يهرب". هكذا ازددتُ شعورًا بالأمان يومًا بعد يوم، منذ حملتُ السكين أسفل ملابسي. لكنَّني لم أخبر أحدًا قط. كان ذلك ملاذي الأخير.

أمضيتُ ليلة مع "سيجي" "البانك" في "بوستاوير"، وفي طريقي إلى المنزل ظهر "بيجي" القاسي، لمحني فأسرع نحوي، توقفتُ.

- أين الخمر؟

- ماذا تعني؟

- أنت تدين لي بالخمر.

تجمدتُ في مكاني. وتمتمتُ:

- لا أدين لك بأيِّ خمر.

فلكمني في كتفي.

- بل تدين لي بالخمر طبعًا، تدين لي بالشراب.

ثم سحبني وألصقني بالحائط، وصدمَني به مرارًا.

قلتُ وأنا أكاد أبكي:

- توقَّف، توقَّف!

- أحضِر لي الخمر إذًا، سأتوقف حين تُحضِر لي الخمر، أيُّها الغبيُّ.

خفتُ بشدَّة، وبدأتُ أبكي، تمنيتُ أنْ يتركني حين يراني أبـكي، لكنَّـه ازداد عنفًا.

- هل تبكي أيُّها اللعين؟

ولفَّ ذراعه حول رقبتي حتّى كدتُ أختنق. امـتلأ عقـلي بـالخوف ومـن دون تفكير أخرجتُ السِّكّين وحركتُه أمام "بيجي" مهـدِّدًا. تمنَّيـتُ أنْ يخيفـه ذلك فيركض هربًـا، حاولـتُ قـول شيء لكـنَّ الكلـمات لم تخـرج مـن فمـي. واصلتُ تحريك السِّكّين أمامه فحسب.

- لديك سكّين أيها الهزيل؟

وأخذه مني في حركـة واحـدة، لكنّـه تفاجـأ حتّـى أنـه تركنـي. فـانتهزتُ الفرصة وركضت مسرعًا.

صرخ:

- سأبرحك ضربًا أيها الملعون.

ركضتُ إلى منزلي مرعوبًا. أمضيتُ المساء في غرفتي وحيدًا، أبكي وأرتعش خوفًا. ابتلَّ تيشيرت "سيد فيشيوس" بالدُّموع. تلك الحياة اللَّعينة! أنا فاشـل وقبيح. لماذا كـلُّ شيء مأسـاويٌّ؟ لمـاذا لا تتحسَّـن الأمـور؟ لمـاذا لا يتركـونني وشأني؟ تمتمتُ لـنفسي "أكـرههم أكـرههم أكـرههم". واسـتلقيتُ في سريـري طوال الليل مستيقظًا. أفكِّر في حلٍّ.

انتشر الخبر في الحيِّ فورًا؛ عرف الجميع أنَّني حملتُ سكينًا.

- هل كنتَ تحمل سكّينًا؟

- هل كنت تنتوي طعن "بيجي" أم ماذا؟

لم أعرف بماذا أجيب، لم تكن لديَّ خطة حين حملتُ السِّكين.

سيتمُّ ضربي. أعلن "بيجي" ذلك بالفعل. تحدَّث الجميع عن الأمر، وكلُّ ما شغلني كان الحرص على تجنُّب "بيجي". سمعتُ قصصًا عن الصَّبيِّ الذي ضربه "بيجي" وأصابني الذُّعر. حان دوري. سيبرحني ضربًا. حاولتُ البقاء في المنزل قدر المستطاع، وحينما أخرُج، ألتصِقُ بالحوائط، أمُرُّ في الشَّوارع الضيِّقة بين المباني. لقد تملَّك منّي الرُّعب. تناقشتُ مع "دوري" مجدَّدًا عمّا يجب فعله، لكنَّنا وقفْنا عاجزين كالعادة. سألتُ بعض الصِّبية الذين أثق في آرائهم عمّا يجب أنْ أفعل، فقالوا إنَّ عليَّ القتال.

- لا مفرَّ، عليك مواجهة الأمر والقتال، إنْ سمحتَ لشخص مثله بمضايقتك فلن يتوقف أبدًا.

لكن، كيف يمكنني ضرب "بيجي" القاسي؟ فكَّرتُ في كلِّ الطُّرق الممكنة. ماذا يمكنني فعله؟ أركض نحوه ثم أقفز وأضربه بأنبوب حديديٍّ على رأسه مثلًا؟ قررتُ استشارة صبيٍّ عرفتُه من الكشّافة. كان مقاتلًا ماهرًا، يُدعى "جادي ذا القبضات". ذاع صيته كشخص مجنون. يلكم الناس ويدخل في الكثير من المعارك في "هالاريسبلان" ولا يتردَّد في مقاتلة الصِّبية الأكبر سنًّا، أو الأقوى، معتمدًا على قبضته ورُكَبه. لكنَّه يعاملني بلطف وبيننا علاقة طيِّبة. أخبرتُه عن محاولات الصِّبية لمضايقتي وضربي

طوال الوقت، وعن "بيجي" القاسي. لم يكن صديقًا لـ"بيجي". كان يعرفه جيِّدًا ويكرهه.

قال:

- هذا الأحمق يستحقُّ الرَّكلَ بقوَّة.

لم ينزعج "جادي"، بل تحمَّس لمساعدتي. علينا نحن الثلاثة مهاجمة "بيجي" وركل مؤخِّرته. عرفْنا أنه يلعب تنس الطّاولة في مدرسة "فوسفوجس" مرتيْن كلَّ أسبوع، في المساء. كما يأخذ درّاجته العزيزة "دي بي إس 10" معه. عرفنا مكان سكنه وتتبَّعنا الطَّريق الذي سيسلكه إلى التَّمرين. قرَّرنا الانتظار في مكان سريٍّ بالقرب من المدرسة. أكدتُ عليهما عدة مرات، يجب ألّا يتعرف علينا، لذا علينا ارتداء قبَّعات وملابس تزلُّج نادرًا ما نرتديها. تحمَّس "جادي" للأمر. كنتُ قلقًا. لكنَّها المحاولة الوحيدة لوقْف الأمر. مجرَّد التَّفكير في الأمر يصيب يدي وكلَّ جسدي بالرَّعشة، وتتسارع دقّات قلبي. لكن لا يمكنني التَّخلّي عن الفرصة. كانت الخُطَّة هي مهاجمة "بيجي" وضربه، ثم نشعل النار في درّاجته وأدوات تنس الطّاولة خاصَّته. أفرغتُ علب المنظِّفات، نظَّفتُها ثُمَّ ملأتُها بالجازولين. سنخيفه بشدَّة؛ حتّى لا يجرؤ على إيذائنا ثانية.

جاءت الليلة المُهابة. اختبأنا وانتظرْنا. تمنَّيتُ من كلِّ قلبي ألّا يأتي "بيجي". "يا إلهي العزيز، امنع "بيجي" من المجيء!". ردَّدتُ الدعاء داخلي مرارًا، لكنَّ الله لم يستجب، وجاء "بيجي" راكبًا درّاجته. حين اقترب منا، قفزْنا أمامه، مرتدين الجوارب على وجوهنا وقبَّعات التزلُّج.

صاح "دوري":

- الموت للأوغاد.

ركضْنا نحوه؛ ففقدَ اتِّزانه وسقط من فوق درّاجته. قفز "جادي" فوقه ولكمَه في وجهه عدَّة مرات، بينما كان "دوري" يركله وهو يتدحرج على الطَّريق. خلال ذلك وبأيدٍ مرتعشة، صببتُ الجاز على حقيبة "بيجي" ودرّاجته، ثم أشعلتُ فيها النيران. أشبعاه "جادي" و"دوري" ركلًا ولكمًا. كنتُ أريد ركله أيضًا لكنَّني لم أجرؤ. أحاط "بيجي" رأسه بذراعيْه، ونزفَ أنفه، وشُقَّتْ شفتاه. ثُمَّ ألقيتُ العبوات الفارغة وركضتُ، وكذلك فعل الصِّبية، ركض كلٌّ منّا في اتِّجاه مختلف.

مرَّت الأيام التالية ككابوس. لم أعلم إنْ كان أحد آخر يعرف بتورُّطنا في الأمر. ذهبتُ إلى المدرسة ورأيتُ "بيجي" بعينيْن سوداويْن ووجه منتفخ. شعرتُ برضا غريب. لم يعِرني انتباهًا لكنَّني شعرتُ بشكوكه تحوم حولي. لكنَّني شعرتُ بالثِّقة. نحن مَن فعلْنا هذا! أبرحنا "بيجي" ضربًا، والآن سيتركنا وشأننا، وسيترك الجميع كذلك. لقنّاه درسًا. لكنْ بدأتْ إشاعات تنتشر بأنَّني و"دوري" و"جادي" الجناة. تكلَّم "جادي" عن الأمر، تفاخَر به وحكاه للصِّبية. فسألوني:

- هل اشتركتَ في الهجوم على "بيجي"؟

أنكرتُ بشدَّة.

- كلّا، هل جننتُم؟

وجدتُها كذبة منطقيَّة. حيث لم يكن هناك ما يربطني بـ"جادي"، لم يكن من جمهور "البانك"، أو يذهب إلى مدرسة "ريتو"، ولم يكن من الصِّبية الذين أتعامل معهم. كان "جادي" محاربًا فريدًا من نوعه، مشهورًا في الحيِّ، وقيل إنَّه ضرب أمَّه مرَّة حين انتقدتْ أحد أفعاله.

بعد أنْ عرف الجميع أنَّ "جادي" هو مـدبر الهجـوم، تحـدّاه "بيجـي" في عراك. واتفقا على السّاحة الواقعة خلف "جريمسـباي" مكانًـا لـذلك. ذهـب صبية كثيرون للمشاهدة لكنَّني لم أجرؤ على الظُّهور هناك. كان أكـبر عـراك شهدتْه مدينتنا. قاتل "جادي" بشجاعة لكـن "بيجـي" كـان يفوقـه جسـديًّا. ورغم أنَّ "جادي" سدَّد بعض الضَّربات الجيِّدة فإنَّ "بيجي" أبرحـه ضربًـا في النِّهاية، وحملتْه الإسعاف وهو فاقد الوعي. بعدها، توقفتُ عن الذِّهاب إلى المدرسة، أو "بوستاواير" أو "إنجسكيلي". لم أعد أذهب إلّا إلى محطة البـاص في "هليمور". هناك فقط أشعُر بالأمن. وانتظرتُ أنْ تكتشف أمّي غيابي عـن المدرسـة، لكـنَّ هـذا لم يحـدث. كـأنَّهم لم يشـتكوا أبـدًا بشـأن تغيُّبـي عـن المدرسة. لم أرَ "بيجي" مرَّة أخرى. ولا أعرف إنْ كان يبحث عنّي أمْ لا. لكنَّني كنتُ في مأمن دائمًا. وإذا ذهبـتُ إلى "بوسـتاواير" أو أيِّ مكـان يجتمـع فيـه الصِّبية، أتـوخَّى الحـذر دائمًـا، مثـل الغـزال في الأفـلام التسـجيليَّة، لا يشـعر بالأمان مطلقًا، متأهِّبًا دومًا للهرب، متى شعر باقتراب أيِّ حيوان مفترِس.



في الفردوس



"فقط انظُر حولك

ماذا ترى؟

صبية لهم مشاعر، مثلي ومثلك

افهمه؛ يفهمك

فهو أنت وأنت هو

وإن اتَّفق الصِّبية فلن نتفرق أبدًا"

- شام 69 "إن اتَّفق الصِّبية"

بعد أحـداث هـذا الشِّـتاء، ازددتُ بعـدًا عـن المـذاكرة، وأصـبحتُ قليـل الحضور. لم أهتمّ بالمدرسة، فهي لا تعلِّمْني شيئًا. أردتُ التعلُّم. أمّا المدرسـة، فلم تكـن بالنِّسـبة لي أكـثر مـن مكـان للإهانـة والظُّـلم، التنمُّـر والاضـطهاد يجدان ملاذهما هناك. يحيطان بي في الحوش، يركلانني خلال سيري، يركضان خلفي إلى منزلي. يبدأ العنف بالتَّدريج. في البدايـة، أتعـرَّض للعرقلـة وتُركـل مؤخِّرتي. ثم تُلكَم معدتي وظهري. خشـيتُ مـن يـوم يبرحـونني فيـه ضربًـا، يركلون أعضائي ويصـدمون رأسي. بـدا علـيهم الكـره، تجـاهي، مـما يجعلهـا مخاوف منطقيَّة، ممكنة التَّحقُّق. يريدون إيذائي بشدة. لم ينزعج المعلِّمـون مــن غيــابي. أعتقــد أنَّ بعضــهم لم يبلــغ الإدارة كي لا أضــطرَّ للحضــور في المستقبل. كانوا سعداء للـتخلُّص منّـي. عنـدما أحضر، أتعمَّـد المـزاح وإلقـاء الأسئلة المزعجة حتّى يتمَّ طردي. لا أذهب إلى المدرسة إلّا بسبب أمّي، إذْ لا يمكنني البقاء بالمنزل نهارًا، ولا ملاذ لي سوى المدرسة.

تبدَّل الأمر حين اكتشفتُ محطة الباص في "هليمور". أتَّجـه إلى هنـاك حــين أملــك بعــض المــال ولا أجــرؤ عــلى الــذِّهاب إلى المدرســة. أتأمَّــل "ريكيافيك" من النّافذة، وأحيانًا أقابل صبية أعـرفهم، أو أصـنع صـداقات جديدة في الباص. لقد نشأتْ صداقة جمعتني بأحد السائقين، كان سـائق الباص رقم 11. لا أحتاج لدفع ثمن التَّـذكرة في وجـوده. يُـدعى "سشـان"، صغير السن، بدأ في القيادة حـديثًا. أحيانًـا أتحـدَّث إليـه طـوال الطريـق. تحدَّثنا عن كـلِّ شيء، مـن الأرض إلى الفـردوس. كـان حديثـه شـيِّقًا، كـما يبدي الاهـتمام بمـا أقـول. سـافرَ حـول العـالَم وعـبَر البحـار. في المقابـل، حكيتُ له عن شغفي بـ"البانك" والفوضويَّة. كان شيوعيًّا، له آراء سياسيَّة

ثابتة. حين اقتربَت الانتخابات، اتَّفقْنا على حتميَّة الثَّورة. شعرْنا بالسَّأم من حال المجتمع، لأسباب مختلفة. لم أكن أفهم معظم كلامه، لكنَّني لم أُظهِر ذلك. تحدَّث عن بعض الرِّجال، مفترضًا معرفتي بهم، خمَّنتُ أنَّهم من رجال السياسة. كان يشتكى كثيراً من مرتبه. سألتُه عن المبلغ الذي يتقاضاه شهريًّا، بدا لي مبلغًا جيِّدًا! فهو يتقاضى شهريًا مبلغ أكبر من كلِّ المال الذي جمعتُه طوال حياتي، لكن لديه حبيبة وطفلًا ينفق عليهما. وجدتُ "سشان" مذهلًا. اشتكى لي كثيراً من حبيبته. يدعوها الحيزبون، أو صاحبة السِّيادة. لكنَّني لم أشعر سوى بالحقد عليه لأنَّ لديه حبيبة. فالطَّريق أمامي طويل كي أتمكَّن من الحصول على واحدة. لم أتخيَّل أنَّ فتاة ما قد تجدني حبيبًا ظريفًا وشيِّقًا، أو أنْ أجدها أنا مثيرة للاهتمام. لم يكن "سشان" أحمر الشَّعر، ولا يرتدي نظّارات، كان جميلًا. حين تكون الشَّمس ساطعة، يرتدي نظّارات الشَّمس. كما بدت لي قيادة الأتوبيس أجمل وظيفة في الكون. إنَّه مثل الطَّيار، يرتدي الزيَّ الرَّسميِّ، ملتزمًا، ومرتحِلًا دائمًا. من وجهة نظري، لقد حصل "سشان" على السَّعادة، إنْ كنتُ مكانه لكنتُ أسعد مخلوق في العالَم. وظيفة مرموقة، فتاة وأموال طائلة. لكنَّني لم أكن "سشان"، و"سشان" يكره حياته.

طبع لي تذاكر، وكتب عليها الأوقات التي تناسبني، هكذا يمكنني التنقُّل بحريَّة أكثر. مع الوقت، أصبحتُ أدرك مواعيد عمله. يتحرَّك الباص 11 من "برايوهولت" إلى "هليمور"، ويتوقَّف هناك. ثُمَّ يذهب لتناول القهوة. أحببتُ "هليمور" وقابلتُ الكثير من مُحبّي "البانك" هناك. كانت "هليمور" نقطة تجمُّع للـ"بانك" والمتشرِّدين وأصحاب الأمراض العقليَّة. يقضي بعضُهم اليوم كاملًا هناك، لكنَّها تصبح أكثر نشاطًا في

المساء وخلال العطلات الأسبوعيَّة. يمكنك مقابلة عشرين أو خمسين من جمهور "البانك" هناك في وقت واحد، لا أعرف كيف أصبح المكان مركزًا للقاء "البانك". ربما لم تكن هناك خيارات، إنها بقعة مركزيَّة، وبها مقاعد وتشهد أحداثًا دائمًا. في الطَّقس المناسب، يمكنك التمشية حتّى المدينة. لن تجد هذه الرفاهية في كثير من الأماكن الأخرى.

في العادة، نُترك لحالنا ولا يتمُّ طردنا من المكان على عكس المتاجر. وربما بداخلنا جميعًا احتياج إلى رؤية الآخرين لنا ومعرفتهم بأننا أيضًا من جمهور "البانك".

جعلتُ من ذهابي إلى "هليمور" مساء الجمعة والسَّبت عادة أسبوعيَّة. ذهبتُ مع "سيجي" "البانك" أكثر من مرة، وتعرَّفنا إلى "بانك" آخرين. ولأنَّ "سيجي" هو "البانك" الرئيس، تقبَّلني الآخرون فورًا.

شعرتُ في "هليمور" براحة لم أشعر بها في المدرسة. وبدأتُ أذهب إلى هناك يوميًّا، من الصَّباح وحتى موعد الإغلاق في المساء. معظم "البانك" في مثل سِنّي، إلّا قِلَّة تصغُرني بعدة أعوام، أو أكبر قليلًا. منهم أبناء السادسة عشر أو السابعة عشر عامًا، ومنهم مَن في العاشرة. انقسمنا إلى مجموعتيْن؛ الصغار والكبار. الصِّغار حتّى الرّابعة عشر، والكبار من الخامسة عشر حتّى السّابعة عشر. لكن فَرق الأعمار لم يكن مهمًّا، لأنَّ "البانك" يوحِّدنا. الكبار يعاملون الصِّغار باحترام. تربطنا معًا خيوط "البانك" الخفيَّة. بيننا انسجام، فـ"البانك" ليس مجرَّد ملابس أو موسيقى، بل أفكارًا. والعامل المشترك بيننا هو أنَّنا، بشكل أو آخر، مختلفون عما يحيط بنا. عانى معظمهم مشاكل أُسريَّة، آباء يدمنون الخمر، أو حتّى العنف الأسريّ. بعضهم يعيشون مع أمّهاتهم فقط، وهنَّ

يعملنَ خارج المنزل ولا يملكنَ الكثير من الوقت للاهتمام بالأولاد. وكلُّنا نشعُر بالغربة في المدارس. "البانك" الأيسلنديّون مختلفون عن زملائهم في المملكة المتَّحدة. ملابسنا موحَّدة وبسيطة؛ جينز ممزَّق نكتب عليه، حذاء رياضيّ أو عسكريّ، من المفضَّل أنْ يكون ممزَّقًا أو مهلهَلًا، وجاكتات من شتّى الأنواع. لكنَّ المعظم يرتدون معاطف جِلديَّة أو تلك الشبيهة بملابس الجيش. لكن بخلاف ذلك، المعاطف ممنوعة. معظم الصِّبية الأكبر يملكون جاكتات جلديَّة رجاليَّة بعلامات تجاريَّة على المقدمة. الجاكتات العسكريَّة يُرسم عليها بالقلم الأسود مثل الجينز، أمَّا الشَّعر فقصير وغير مهذب، كأنَّك قصصتَه بنفسك. يفعل معظمنا ذلك. لكنَّ القليلين منا يصبغون شَعرهم أو يصفِّفونه على طريقة الهنود الحُمر. لكلِّ شخص الشعار الخاصّ به، شعار فرقة، أو شعار فوضويٌّ. السُّوار الجِلديُّ حول الرَّقبة، كالذي يُستخدم للكلاب، والدبابيس في الأذُن، منتشِرة كذلك، ذلك لغياب المحلات التي تبيع ملابس "البانك"، وإنْ وفَّروا القليل منها فإنَّها تُباع بأسعار مبالغ فيها. أغلب الرُّواد كانوا من الصِّبية، لكنَّ عددًا قليلًا من الفتيات كان موجودًا. يرتدينَ ملابس مشابهة لملابس الصِّبية. يأتي معظم "البانك" من "كوبافوجور". لديهم أماكن خاصَّة بهم في "سكيبتيستور" في "هامرابورج"، لكنَّ "هليمور" أكثر مرحًا.

يتواجد "البانك" ومدمنو الخمر باستمرار في "هليمور". نجلس في زاوية وهم في الأخرى. مدمنو الخمر رجال كبار السن - منبوذون - مجرمون ومختلّون عقليًّا، متشرِّدون ينامون في المنازل المهجورة. بعضهم بحّارة من الرّيف. يسكُرون ويتناولون المخدِّرات من الصَّباح حتّى المساء. يندر أنْ نتعامل معهم، إلّا حين يشترون لنا الشَّراب، أو يعطوننا الحبوب.

غير ذلك نتركهم وشأنهم فهم أشخاص أشرار. لم تهمُّنا المخدِّرات، فمعظمنا يحتقرها. لا نريد أنْ نصبح مثلهم. لم تبدُ لي الحياة مع المخدِّرات حياة شيِّقة، كما كنتُ أخشى المخدِّرات وخاصَّة الهيروين. يقال إنَّك إنْ حقنتَ نفسك بالهيروين مرة فستدمنه للأبد. ظننتُ أنَّه لا ضررَ في استخدام الأقراص مرات قليلة من أجل المتعة، لا أكثر. عندما تسيطر عليك المخدِّرات، تصبح تابعًا للنظام وتدعه يفوز عليك. وفي النِّهاية يتوقَّف النّاس عن الاستماع إليك، وينتهي بك الأمر في "مصحة كليب النفسية" أو "سجن ليتلا هراون".

كانت الأيام في "هليمور" جميلة ومتشابهة، نقضي الوقت في الرُّكن الخاصِّ بنا، ندخِّن وندردش. تدور المناقشات حول الموسيقى والفِرق الموسيقيَّة، وتعريف ما هو "بانك" وما ليس "بانك". يختلف عمق المناقشة وفقًا لأعمار وخلفيات المتحدِّثين، لكنَّنا جميعًا نُكِنُّ كراهيَّة للحياة التقليديَّة المملَّة - أيْ كلّ مَن هم ليسوا مثلنا - ويأتي في نهاية قائمة هؤلاء الذين لا نحترمهم، مثل "غرباء الديسكو"، أعدائنا اللَّدودين. يرتدون الملابس الزَّهريَّة والصَّفراء، يذهبون إلى ملهى هوليود اللَّيلي ويرقصون. كانوا مثل عرائس "كين" و"باربي" بينما نحن مثل "أكشن مان".

إضافة إلى "هليمور"، كنا نلتقي في مكانيْن آخريْن في المجاورة. "ألعاب الجوكر" في "راورارستيجور" وفي "إينهولت". إذا طُردنا من "هليمور" نذهب إلى أحد المكانيْن ونقضي الوقت هناك حتّى نُطرَد فنعود إلى "هليمور". لم نملك المال للَّعب، فكُنّا نقف ونشاهد الآخرين وهم يلعبون. في النِّهاية، يتمُّ طردنا لمحاولتنا الغشَّ في اللُّعبة أو لمس الأجهزة. نعترض

إنْ فعل واحد منا أمرًا مكروهًا، فهذا يكفي لطردنا جميعًا. في أعيننا وأعين الآخرين، نحن جماعة واحدة.

الحُرّاس في "هليمور" لطفاء معنا في العموم. بعضهم أصدقاؤنا، ندعوهم "جدّي" و"جدّتي". يجلسون ويتحدَّثون معنا كثيرًا. حين نقوم بـ"هولابالو"، يأتون ويجلسون للتحدُّث معنا بأريحيَّة، ويطلبون منا التوقُّف عن الصراخ. من حين لآخر، يطلب منا أحد الأجداد المغادرة لفترة وجيزة لأنَّ أحدهم اتصل واشتكى. نبتعد دون اعتراض، ليس من أجل الطّاعة لكن احترامًا وحُبًّا لأجدادنا. تفهَّمنا أنَّها وظيفتهم، ولم نشَأْ أنْ نزعجهم. لكنَّ بعض الحُرّاس كانوا يعترضون علينا. في الأغلب كان حُرّاس الاحتياط هم مَن يريدون التخلُّص منا. إنَّهم وقحون، مشاعرهم باردة، حين يأمروننا بالرَّحيل لا نستجيب لهم، نجيبهم ونتلاعب بالكلمات ونتظاهر بالتَّعالي. نجبرهم على مطاردتنا حول المكان، وحين يُلقون بنا في الخارج، نتسلَّل ونعود فورًا. ننقسم إلى فِرق وننتشر في المكان. نستفزُّهم وندَعهم يطاردوننا حتّى نستنفد قوَّتهم. نضحك ونستمتع بالأمر، في النِّهاية يتَّصلون بالشُّرطة غالبًا. فنذهب إلى "جوكر" أو "إينهولت" ونعود بعد رحيل الشُّرطة لإثارة الشَّغب من جديد. أمضيْنا أفضل الأوقات.

تدخُّلات الشُّرطة في العموم تُعتبر أمرًا مسليًّا، شيئًا مختلفًا وسط الأيام المملَّة. يحضُرون في سياراتهم السَّوداء، ويطلبون منا الصُّعود إليها. يأخذوننا إلى قسم الشُّرطة. ننتظر لفترة حتّى يأتي رئيس القسم ويتحدَّث إلينا. نادرًا ما يأخذوننا لسبب محدَّد. في الأغلب تريد الشُّرطة القيام بأمر ما من أجل التسلية، أو من أجل الردِّ على بلاغ ضدّنا. يفتِّشوننا ويُفرِغون جيوبنا، ويدقِّقون في كلِّ شيء. يبحث رئيسهم عن شيء يعاقبنا بسببه، أيّ

اختراق للقوانين، مخدِّرات أو شيء للتَّعاطي، مثل الصَّمغ أو الغـاز. لكـنَّهم لا يجدون شيئًا. في أسوأ الأحوال يصادرون سجائرنا.

- ماذا كنتم تفعلون في "هليمور"؟

في الحقيقة، كنّا نعيش هناك.

- كنّا ننتظر الباص.

إنَّها في النِّهاية محطَّة باص، أليسَت كذلك؟

- ألا يتوجَّب عليكم الذِّهاب إلى المدرسة؟

- كنّا في طريقنا إلى المدرسة حين أمسكتم بنا، ففاتنا اليوم الدراسيُّ.

إجاباتنا جاهزة دومًا. لم يتمكَّنوا من إثبات شيء ضـدّنا. والأهـمُّ، لم نكـن مجرمين. كنّا مجرَّد صِبية نقضي الوقت. في النِّهاية يُطلِقون سراحنا ويطلبـون منا التوجُّه إلى المدرسة أو المنزل. نوافق ثُمَّ نعـود إلى "هليمـور" مبـاشرة. في بعض الأيام، خاصـة الجمعـة والسـبت، لا يأخـذوننا إلى قسـم الشرطـة، بـل يأخذوننا إلى وسط المدينة ثم يتركوننا هناك، بشكل سـلميٍّ. يتحـدَّثون إلينـا في السَّيارة ثم يتركوننا في "هيومورك" أو "هوفدا"، مثـل الأصـدقاء. ثـم نسـير عائدين إلى "هليمور"، ونتحدَّث في الطَّريق.

في العطلات الأسبوعيَّة، تتحوَّل "هليمور" إلى مكان أشبه بـالملهى اللَّـيلي. في العـادة، يتوقَّـف الآخـرون عـن دخـول المحطَّـة بعـد السّـاعة السّادسـة. ويسيطر المدمنون على المكان في العطلات الأسبوعيَّة؛ لأنَّهـم يحصـلون عـلى المساعدات الاجتماعيَّة، فيتجمَّعون في المكان. ينضـمُّ إلـيهم مـدمنون جـدد، وبعـض المـدمنين المـؤقّتين. إنَّهـم بحّـارة أتـوا لقضـاء إجـازاتهم، إضـافة إلى الرّيفيين القادمين بحثًا عن بعض المتعة. قضينا الوقت معهـم وحصـلنا عـلى السَّجائر، وشربنا بعض النَّبيذ. كانت تجربـة مليئـة بـالمرح، لكـن "هليمـور"

تشبه أحيانًا الملهى اللَّيليَّ المُشتعل، فهي على استعداد للانفجار لأقلِّ سبب. تبدأ الشِّجارات في لحظة. ساعتها تبدو الأمور هادئة جدًّا، فجأة ينهض أحدهم ويلكم وجه الآخر بقبضة يده. أو يدخل أحدهم في نوبة هياج مفاجئة ويصفع ويركل كلَّ شيء أمامه. فتتحول روح الصَّداقة والثِّقة إلى حُمّى قتال بشكل مفاجئ. تتَّسخ النَّوافذ بالدِّماء وتسقط الأسنان المكسورة على الأرض. ثم يأتي الصُّراخ. حينها نختفي نحن سريعًا. حين تتمكَّن المخدِّرات من النّاس، لا يدركون ما يفعلون. كدتُ أنجرف معهم أحيانًا. اقترب منّي أحد المدمنين الذين أعرفهم جيِّدًا في مرة، كنتُ أجلس على مقعد خارج "هليمور". نظَر نحوي بغضب لمدة طويلة، وضمّ قبضته. كانت إحدى عينيْه مصابة، وكأنَّ أحدهم لكمه حديثًا، كانت سوداء ومُغلَقة. حدَّق فيّ بعين واحدة.

لمّا كنتُ أعرفه، بادرتُ بالحديث:

- مرحبًا.

ثُمَّ شعرتُ بالخوف، كان من الواضح أنَّه تحت تأثير المخدِّرات، يعجز عن التعرف إليَّ. أغلق عينه السليمة وفتحها عدة مرات، على الأغلب كان يحاول تحسين نظره.

سألني بأنفاس مضطربة:

- هل أنت صبيٌّ أمْ فتاة؟

فكَّرتُ قليلًا.

- فتاة!

تفحَّصني، وحرَّك قبضته أمام وجهي.

- أنتِ محظوظة، فأنا لا أضرب الفتيات.

أومأتُ برأسي. فتفحَّصني من جديد، ثُمَّ قال:

- أنتِ أقبح امرأة رأيتُها في حياتي.

أحيانًا، تقتحم الشُّرطة "هليمور" أيّام الجمعة والسَّبت لتنظيف المكان. يأتون في سيارات كثيرة، يحاصرون المكان ثُمَّ يأخذون كلَّ السَّكارى، أو مَدعاة للاشتباه بشكل أو بآخر. لكنَّ الشُّرطة تعرفنا، فلا تلقي القبض علينا، أمّا المدمنون فيحاولون مقاومة الشُّرطة، بلا جدوى. رجال الشُّرطة في العادة أقوى، يسيطرون على المدمنين ويضعون الأصفاد في معاصمهم. لم يهزم المدمنون رجال الشُّرطة قط.

يعرف رجال الشُّرطة أنَّنا لا نسيء التصرُّف، لا نؤذي أحدًا ولا نتعارك، ولا نقتحم الأماكن. لكن أحيانًا يُصاب أحدنا بلكمة أو ضربة. حينها نتَّحد. في مرة، ركض أحد الصِّبية من مجموعتنا إلى "هليمور" بينما كنّا نجلس في تجمُّع كبير. قال إنَّ اثنين من الصِّبية ضايقوه في باص "كوبافوجور". بصقَا عليه وأذياه لأنَّه "بانك". تمكَّن الغضب من ثلاثة صبية من مجموعتنا - أكبر منّي سنًا - وأرادوا الوصول إلى هؤلاء المعتدين. شاهدهم الصَّبيُّ يتَّجهون من "هليمور" إلى "راورارستيجور". ركضَت المجموعة كلُّها نحوهم، عشرة صبية أو خمسة عشر. حين لمحونا، بدؤوا في الرَّكض، طاردناهم وأمسكنا بأحدهم. أخذناه إلى حارة، لكنَّنا لم نعرف هناك التصرف المناسب. سحبَه أحد الصِّبية وألصقه بالحائط.

- هل كنتَ تضايق صديقي؟

- كلّا.

بدا الرُّعب على الصَّبيِّ بوضوح.

قال الضحيَّة الذي كان في الثانية عشرة من عمره:

- بل فعلها.

ثم ساد الصَّمت. ظنَّ الصَّبيُّ أنَّنا سنقتله فبدأ في البكاء.

قال أحدهم:

- دعوه يذهب فحسب.

تعاطفْنا معه، فأطلقه الصَّبيُّ وسمح له بالهرب. هكذا كنا نتَّحد، ويهتمُّ بعضنا ببعضًا. من الجميل ألّا يكون المرء دائمًا وحدَه، وأنْ يكون له أصدقاء يهتمّون لأمره ويساعدونه.

أتسكَّع أحيانًا في المدينة وحدي في المساء. حينها أكذب على أمّي وأخبرها أنَّني سأقضي الليلة بمنزل صديق لي. لطالما عانيتُ الأرق حتّى أنَّني كنتُ أقضي ليلتيْن متتاليتيْن مستيقظًا. أتسكَّع وأستمتع بالسَّكينة، وأنتظر فتح محطة "هليمور".

جلستُ في إحدى اللَّيالي على مقعد أمام "هليمور". كان الطَّقس دافئًا. ربما كانت الرابعة فجرًا، بعض الأشخاص كانوا في الطَّريق. ولكنَّني انتهزتُ فرصة اقتراب أحدهم كي أطلب منه السَّجائر. ساعتها اقترب منّي رجل أعرفه. رأيتُه من قبل. كان يقطع التَّذاكر في إحدى دور العرض بالقرب من "هليمور". رجل في متوسط العمر، شَعره رماديٌّ، عريض الجسد. دائمًا ما يرتدي الجينز مع حزام بقبضة كبيرة وقمصان ملوَّنة، ذات أزرار مفتوحة حتّى بداية معدته، يمكن رؤية صدره بوضوح. لم أعرفه ولكنَّني أراه كثيرًا. طلبتُ منَّه سيجارة وتكلَّمنا. سألني عن أحوالي وهواياتي، ولمّا كنتُ هناك في منتصف الليل، رغبتُ في شيء من الصُّحبة والاهتمام.

- أيّ نوع من الموسيقى تستمع إليه؟

- إلى "البانك"، أنا "بانك".

- حقًّا؟ لديَّ الكثير من ألبومات "البانك".

تفاجأتُ حين قالها. لم يبدُ لي كالشَّخص الذي يستمع إلى "البانـك"، ولـكي أكون منصفًا، فقد قابلتُ الكثير من الصِّبية الذين يستمعون إلى "البانك" ولا يبدون "بانك" على الإطلاق، مثل "ألي".

سألتُه بحماس:

- حقًّا؟

- أجل، أجل.

- ما الفرقة التي تستمع إليها؟

- ما هي فرقك المفضلة؟

- "كراس"، بشكل أساسيٍّ.

أومأ كأنَّه يعرف "كراس". ثم ذكرتُ بعـض الفـرق الأخـرى وأكـدتُ عـلى نفوري من الموجة الجديدة.

- ألا تشعر بالبرد؟

- قليلًا.

كنتُ أشعر بالبرد حقًّا، لم أكن أرتدي سوى تيشيرت ومعطف من الجِلد.

- أتريد المجيء معي، إلى منزلي، للحصول على بعض الدِّفء؟

- بالطبع، فكرة رائعة!

- هذا ليس عرضًا يتكرر كلَّ يوم.

بدا الأمر مريبًا، لكنَّني تحمَّستُ لرؤية الألبومات الموسيقيَّة الكثيرة التـي يملكها، ربَّما لديه مجموعة بحجم مجموعة "هانس".

إنَّه مهووس حقيقيٌّ بالموسيقى.

سرتُ معه إلى "نالسجاتا"، حيث يسكن. صعدنا سُلَّمًا حلزونيًّا ودخلْنا شقته. ساورني الشكُّ من جديد في امتلاك رجل مُسِنٍّ مثله ألبومات "بانك"، لكن حين تخيَّلتُ لحظة رؤيتي لألبومات فرق طالما حلمتُ بالاستماع إليها، وأنْ أعثر على أفضل ألبومات "البانك" مجتمعة في مكان واحد، تمكَّن منّي الحماس. لم يكن في الشَّقة أبواب، فقط خيوط لامعة على طريقة "الهيبي"، تتدلّى في أماكن الأبواب.

اتجهْنا إلى غرفة المعيشة. قال الرجل:

- تفضَّل بالجلوس.

ثم ذهب إلى المطبخ. لم يكن لديه الكثير من الألبومات، تفحَّصتُها بحرص. لم أجد ألبومات "بانك"، فقط "البيتلز" و"يوريا هييب" و"ذا رولنج ستونس" وبعض الهراء الأيسلنديِّ. ثم عاد حاملًا كأسيْن؛ قدَّم أحدهما إليَّ، فتعرفتُ إلى رائحة النَّبيذ.

- خسارة، لا يوجد ألبومات "بانك" هنا.

- حقًّا؟! كنتُ أعتقد أنَّ لديَّ الكثير منها.

- كلّا، لا يوجد أيُّ شيء له علاقة بـ"البانك".

جلستُ على الأريكة، والكأس على الطّاولة دون أنْ ألمسها، وقف هو بجانبي. فجأة، داعبَ شَعري وقال:

- لديك شَعر جميل.

شعرتُ أنَّه تصرُّف مريب، لكن لم تكن لديَّ فكرة عن التصرُّف المناسب. لم يداعب رجل مُسِنٌّ شَعري من قبل. هل هو لطيف بشكل مبالغ فيه، أمْ إنَّه مجنون؟

قال من جديد:

- هذا أجمل شَعر.

تمتمتُ بدهشة:

- مممم.

هل هو مصفِّف شعر؟ ربما يكون مصفف شَعر لطيف يظنُّ أنَّ "ذا رولنج ستونس" يغنون "بانك"؟ ربما هو رجل لطيف، يسير في اللَّيل لمساعدة الصِّبية؟ مثل السَّيدة العجوز في "أناندا مارجا" التي تخرج في اللَّيل أحيانًا لتقدِّم الحساء. قدَّمتْ لي الحساء الدافئ أكثر من مرَّة! ولكنَّني أردتُ الخروج من هذا المكان. نظر إليَّ بغرابة وأصبحَت الأجواء غير مريحة. هل عليَّ الهرب؟ ماذا يريد؟

أشرتُ إلى الزجاجة وقلتُ:

- ما هذا؟

- تناوَل رشفة.

- لكن ما هو؟

- استرِح واشرب فحسب.

- مممم.

أمسكتُ بالكأس.

ابتسم في وجهي مشجِّعًا وذهب لجلب شيء ما. انتهزتُ الفرصة وأفرغتُ الكأس على النبات المجاور لي. ربما بالكأس سُمّ؟ أو حبوب منومة؟ هذا أمر جنونيٌّ.

تمكَّن منّي الخوف. أين ذهب؟ متى يعود؟ وقفتُ وفكَّرتُ كيف أتصرَّف. ماذا يريد؟ عاد فجأة، كان قد تخلَّص من كلِّ ملابسه وارتدى

قميص نوم فقط. ما هذا بحقِّ الجحيم؟ لماذا يقف أمامي مرتديًا هذا الشيء فقط؟ أصبح الأمر سخيفًا.

ذهبتُ إلى هناك لأستمع إلى "البانك" لأجدني فجأة مع رجل في قميص نوم يظنُّ أنَّ شَعري جميل. ابتسم لي بلطف. لكنَّ الأمر عامَّة كان مقلقًا وغير مريح.

قلتُ بخوف:

- حسنًا، سأذهب.

- كلا لن تذهب، لقد أتيتَ للتو.

- أجل ولكنَّني أشعر بالإرهاق، أنا مرهَق حقًّا.

حدَّق فيّ بغرابة، وابتسم:

- يمكنك النوم في فراشي، اقضِ اللَّيلة هنا.

أشار إلى الطرقة، لكنَّني لم أشعر بالرّاحة للفكرة.

- حسنًا، أفضِّل ألّا...

اقتربتُ من باب الخروج.

- اسمع. لماذا لا نأخذ حمامًا دافئًا معًا، ولنترك الأمور تجري وفق مشيئتها؟

تمكَّن منّي الرُّعب. ثُمَّ أدركتُ الأمر فجأة؛ إنَّه منحرف! رجل مُسنٌّ مقزِّز، يجد شَعري جميلًا ويريد مشاركتي إياه حمّامًا دافئًا. كانت الكأس لا تزال في يدي، بينما صرتُ أكثر قربًا من الباب. تحرّك كأنَّه سيقترب منّي. ومن دون تفكير، ألقيتُ بالكأس عليه بقوة. ثُمَّ ركضتُ مسرعًا إلي الباب وفتحتُه بقوة، وقفزتُ أهبط السُّلَّم الحلزونيَّ.

سمعتُه ينادي ورائي:

- ماذا تفعل؟ ماذا حدث؟ إلى أين تذهب؟!

ركضتُ بأقصى سرعتي، ولم أنظر خلفي قط. تسارعَتْ دقّات قلبي في طريقي إلى "هليمور". حين وصل الصِّبية في الصَّباح، أخبرتُهم عن مغامرتي اللَّيليَّة. بعضهم عرف الرَّجل المقصود وأكَّدوا أنَّه منحرف. بعد أيام قليلة، ذهبْنا إلى منزله ومعنا "البانك" الأكبر سنًّا. وقفوا أمام بابه، بينما اختبأتُ خلفهم. دقّوا الجرس ولكنَّني خشيتُ الاقتراب، لم أرغب حتّى في رؤية المكان. بعد وهلة، فُتح الباب، شعرتُ بالخوف على حياتي، لكنِّ الصِّبية سيطروا على مجريات الأمور، دخلوا إلى الممر وخرج الرجل معهم، ثم سمعتُهم يصيحون:

- هل أنت منحرف؟ هل أنت منحرف؟

صرخ:

- ارحلوا؛ وإلّا طلبتُ الشُّرطة.

- حينها سنخبرهم أنَّك منحرف، لست سوى منحرف يتحرَّش بالأطفال.

- هذا ليس صحيحًا.

رأيتُه عبر الباب المفتوح، وأشار الصَّبيُّ نحوه وسألني:

- أهذا هو المنحرف الذي حاول التحرُّش بك؟

لم أجرؤ على النُّطق، فأومأتُ ونظرتُ بعيدًا. أمّا هو فتظاهر بأنَّه لم يرني من قبل.

- ارحلوا وإلّا طلبتُ الشُّرطة.

- أيُّها المنحرف الملعون، اترك الأطفال وشأنهم!

لقد خرج سكان الشُّقق المجاورة، لكنَّ الرَّجل أسرع إلى دخول منزله وصفع الباب.

سألتْ سيدة عجوز:

- ماذا يحدث هنا؟

- حاول هذا المنحرف التحرُّش بصبيٍّ صغير.

رأيتُ الرجل يتلصَّص من نافذة المطبخ، فابتعدتُ وتركتُ المبنى لتأمين نفسي. بعد فترة قصيرة، خرج الصِّبية الأكبر، بعد أنْ سبَّوه بألفاظ سيِّئة، وطرقوا بعنف على الباب الأماميِّ.

صاح أحدهم:

- منحرف ملعون.

قالها من أجل النُّطق بالكلمة مرة أخرى فحسب. ثم تسكَّعْنا أمام منزله، ولم يكن الأمر مريحًا بالنِّسبة لي مطلقًا. تمنَّيتُ من كلِّ قلبي لو لم أذهب معهم، كنتُ أشعر بالخجل والأسى. لماذا ذهبتُ معه إلى المنزل؟ كيف كنتُ بهذا الغباء؟ لُمتُ نفسي على كلِّ شيء. كنتُ أنا المخطئ. لم يكن عليَّ الذهاب معه. شعرتُ أنَّني أكثر منه حمقًا. كيف ظننتُ أنَّ رجلًا أشيبَ مثله يمتلك ألبومات "البانك"؟

قلتُ بحسرة:

- فلنرحل وحسب.

واصل الصِّبية لعن الرجل، لا أعرف مَن منهم رفع حجرًا، وهشَّم زجاج نافذة المطبخ، قبل أنْ نركض مسرعين.

كثيرًا ما كنا نذهب إلى المتاجر ونطلب عدم دفع ثمن مشترياتنا، وتدوينها على حسابنا لوقت لاحق، أو نطارد أحدهم ونطلب منه المال. ظنَّ معظمهم أننا مدمنون لكنَّ هذا كان بعيدًا عن الواقع، حيث لم يكن أحدنا يدمن أيَّ شيء. فالشيء الأكثر تداولًا بيننا كان الصَّمغ: "الأوهو". نختبئ في

حارات أو خلف صفائح القمامة أو منزل مهجور، نفرغ "الأوهـو" في حقيبـة بلاستيكيَّة ونستنشقه. المتعة قصيرة، دوخة صغيرة، رؤية مشوشة، ضحك. أمّا الضَّحك فكان ناتجًـا عـن التـوتُّر أكـثر مـن تـأثير المـادة. أحيانًـا يكـون لـدى أحدهم بقايا مـن الحشـيش ومسـتعدًّا للمشـاركة. كـان الصِّبية الأكـبر سـنًّا يعملون فيتمكَّنون من شراء الحشيش، على عكسنا نحن الأصغر سنًّا، حيـث لم يكـن لـدينا المـال ولا العلاقـات بالتُّجـار. في العـادة، تـدخِّن الحشـيش في غرفتك بالمنزل، مع شخص، أو اثنين، لكنَّـك تحصـل عـلى متعـة كافيـة. فهـو يخلِّصنا من الضّيق ويخلق تـوتُّرًا ممتعًـا وانحرافًـا عـن المعتـاد، وفي أحسـن الحالات، بعضًا مـن الإحسـاس بالسَّـعادة. أو الرِّضـا. إلى جانـب الاستنشـاق، والنَّبيذ، وتعاطي الحشيش على فترات متباعدة، كنّا أحيانًـا نتنـاول الحبـوب كذلك. في العادة، يكون أحدهم سرقها من والديْه، أو شـخص مـا. كـما كـان المـدمنون يمنحوننـا الحبـوب أحيانًـا. المهـدِّئات في الأغلـب، مثـل "الفـاليوم" و"ديازيبام". لكنّا كنّا نحصل على المنشطّات مثل الـ"ريتـالين" أحيانًـا. إلّا أنَّ نوعًا واحدًا كان يعطينا المتعة الحقيقيَّة، ونجده في الصّيدليّات، وهو أقـراص دوار البحر، إنْ تناولتَ عددًا كافيًا، تـدخل في حالـة غريبـة، يمكنـك الشُّـعور بالهلاوس، ترى وتسمع أشياء غريبة.

حيــنما يكــون الطقــس جيِّـدًا، نتســكَّع حــول المدينــة، نصــل إلى "لوجافيجور" و"ليكجارتورج". يمكن التعرُّف إلى النّاس هناك. أحيانًا يقـام سـوق للبيـع في "ليكجـارتورج" حيـث يبيـع النـاس حليًـا يدويَّـة الصُّـنع، وأشياء أخرى. لكن لم يُسمح لنا بالدُّخول. لم يرغـب العارضـون في رؤيتنـا ونحن نتأمَّل منتجاتهم. لم يُسمح لنا حتّـى بطلـب الطَّعـام أو الشَّراب في

المطاعم، لكنَّ هذا لم يمثِّل لنا صعوبة كبيرة حيث لم يكن لدينا المال لطلب شيء على أيِّ حال. والمَحالّ كذلك، لا يمكننا دخولها، ويتكرر على مسامعنا:

- اخرجوا أيُّها الصِّبية إنْ كنتم لن تشتروا شيئًا، انصرفوا وإلّا طلبْنا لكم الشُّرطة.

يتفحَّصنا النّاس في الطُّرقات بغرابة ونشعر بخوفهم منّا. كان الشُّعور بأنَّنا معروفون بالخطورة ممتعًا.

قضاء الوقت بالخارج هو عنصر أساسيٌّ من الحياة في "هليمور". بعض الصِّبية يجلسون على المقعد نفسه بالخارج بالسّاعات. ولكنَّني لم أكن هذا الصَّبيَّ. أحتاج للحركة أو التحدُّث إلى أحدهم. ورغم أنَّني كنتُ أشعر بالثِّقة مع الصِّبية في "ريكيافيك"، فإنَّ شيئًا ما كان ينقص صداقتنا، دائمًا. هم لم يحبّوا القراءة على سبيل المثال، بينما كنتُ مهووسًا بالقراءة، أصطحب الكتب معي إلى "هليمور" وفي الباص. معظم الصِّبية كانوا يعرفون "بوربيرجور بوروارسون" لكن لم يهتمّوا بالفوضويَّة. ولم تعنِ لهم أفكاري عن "أرض الفوضويَّة" شيئًا. لم أذهب إلى "هليمور" للتسكُّع فحسب، كنتُ أبحث عن المعرفة. كنتُ أبحث عمَّن يشبهونني. الصِّبية في "هليمور" استسلموا للنِّظام. أردتُ تغيير النِّظام، ومقابلة شخص ما لديه أفكار ليساعدني كي أغيِّر من أحوالي للأفضل، كي أرى الأمور بمنظور جديد. ولكن لم يكن الصِّبية في "هليمور" يهتمّون بشيء، كنّا نتعامل بلا مبالاة مع الأمور كافَّة. هذا هو "البانك" بالنِّسبة لهم، لكن ليس بالنِّسبة لي. "البانك" بالنِّسبة لي حياة وإبداع، وليس فقدانًا للإحساس وبلادة. هو التمكُّن من رفض المشاركة في الهراء المحيط بنا والمفروض علينا. هو تطوُّر قويٌّ. "البانك" يصرخ في النِّظام ويطالب

بالتَّغيير. فوضويَّة ثائرة. الأمران يتكاملان. "البانك" هـو الجسـد، والفوضـويَّة هي الرّوح. رفضتُ الاستسلام وأردتُ المزيد من المعرفة، والمعلومات. تمنَّيـتُ أنْ يسـتعيد النـاس مشـاعرهم، يتفهَّمـوا الظلـم، حينهـا سـيتغيَّر كـلُّ شيء. ولكنَّني لم أعرف كيفيَّة تحقيق ذلك. كيـف تغـيِّر النـاس؟ مـا عرفتُـه هـو أنَّ الأمر متعلِّق بالعقليَّة. حين تتغيَّر عقليّات النّاس، ستتغيَّر تصرُّفاتهم. تصرُّفات الشَّـخص تطـابق تفكـيره. ولكـن كيـف تغـيِّر عقليـات النّـاس؟ بـالكلمات؟ التكيُّف؟ الاقتداء؟

كان "سيجي" "البانك" يقول أحيانًا:

- عليك الهدم حتّى تبني من جديد.

فكَّرتُ في الأمر. هل هذا صحيح؟ وما هو الذي علينا هدمه؟ وكيف؟ هل العنف هو الحـلُّ الوحيـد؟ المعارضـة والثَّـورات عـلى الأغلـب تشـمل عنفًـا. أشخاص يحملون أعلامًـا وأسـلحة ويصرخـون. يحطِّمـون النوافـذ ويشـعلون النّيران في السَّيارات. لا بدَّ من وجود حلٍّ آخر. النِّظام مثل الأوغاد: هم دائمًا الأقوى، وإنْ تفاعلتَ مع قوَّتِهم بالعنف فسيستخدمون مزيـدًا مـن العنـف ضدّك.

ضباط الشُّرطة ألدُّ الأعداء لزملائي. يـرون الشَّرَّ في كـلِّ مـا هـو متعلِّـق بالشُّرطة. هم في نظرهم مجرَّد فاشـيين خبثـاء، يحبّـون إثـارة الشِّـجارات؛ ولهذا السَّبب أصبحوا رجال شرطة. ولكنّني أعرف، لقد نشأتُ بـين رجـال الشُّرطة. هم بشر مثلنا جميعًا. معظم أصدقاء أبي رجال صـالحون. انضـمَّ أبي إلى الشُّرطة لأنه لم يتمكَّن من الالتحاق بوظيفة أخرى في ذلك الوقت. رأيـتُ الشُّرطـة كامتـداد لعقليَّـة المجتمـع. مـا يفعلـه رجـال الشُّرطـة لا يخصهم، بل يخصُّ المجتمع ككـلٍّ. مقاومـة رجـال الشُّرطـة مثـل محاربـة

طواحين الهواء. معظم الأشخاص جيِّدون، يتمنّون الخير لإخوانهم، لكـن بـين كلِّ مجموعة يوجد الأوغاد. وهؤلاء يجذبون الانتبـاه. ولـذلك يحكـم النـاس على المجموعة ككلٍّ وفقًا للأوغاد فيهـا، للأسـف. وهـذا ينطبـق علينـا نحـن الصِّبية كذلك، إن اقتحم بعض "البانـك" مكانًـا مـا، تنـتشر الأخبـار، وتكتـب الجرائد وحتى ينشرون الصور. ثُمَّ يكره النّاس "البانـك" كلَّهـم بسـبب ذلـك. لكنَّنا لسنا سواء، ومعظمنا لم يرتكبوا أفعالًا سيِّئة قط. معظم "البانك" صبية صالحون. أظن أنَّ هذا ينطبق على كلِّ مكان يتجمَّع فيـه النّـاس، السِّياسـة، الدّين، أماكن العمل. ليس من المنطق الحكم على المجموعة بأفعالهـا الأكـثر جذبًا للانتباه من غيرها؛ لأنَّهم - في الأغلب - يقومون بالأفعال القبيحة. هذا مشابه لمحاولة معالجة السَّرطان عن طريق قتل كلِّ مرضى السَّرطان.

للتخلُّص من المشكلة، عليـك الـدُّخول إلى المنـاطق الغامضـة في العقـول. هذا هو مـا أردتُ الوصـول إليـه. أردتُ المزيـد مـن الـتفهُّم والتفـتُّح. أردتُ المزيد من الاختلاف، وتشابُهًا أقلّ. وأنْ يصبح النّاس لطفاء. لكـن لـيس مثـل "الهيبي"، إنَّهم حفنة من الحمقى، يضربون أبناءهم ويجمعون الحشرات.

تعاطفتُ مع أصدقائي في "هليمور". بعضـهم فقـراء، أو يعـانون معاملـة أولياء أمورهم السَّيِّئة. والآخرون يعانون إعاقـات تـؤثِّر فـيمَن حـولهم؛ مثـل التوحُّد، صعوبة القراءة، والاضطرابات العصـبية أو القلـق المَـرضيِّ. يُعـامَلون بقسوة في كلِّ مكان. الجميع على استعداد للـتخلّي عـنهم دون مـنحهم أدنى فرصـة. يُصـدِرون علـيهم أحكامًـا. يفترضـون أنَّهـم سيصـبحون مـدمنين أو مجرمين. المجتمع مثل القوة العسكريَّة التي لا تريد أيَّ عناصر غـير صـالحة

بينهم. غسلوا أيديهم وتخلَّصوا من الأمر، لكنَّ هؤلاء الأطفال لا يزالون يجلسون هناك، مجروحين. وبعضهم مفطور القلب.

أتذكَّر أحد الصِّبية الذين كنت أتسكَّع معهم في "هليمور" في ذلك الوقت، كان والده مريضًا عقليًا وأمه غير صالحة، وأخته تعاني إعاقة عقليَّة. كانت الحياة في منزله شديدة الصُّعوبة، حتّى إنَّه لم يرغب في التواجُد فيه، كان يعامَل بسوء. كان أداؤه في المدرسة ضعيفًا، فكان يُعامَل بقسوة هناك. كان يعاني صعوبات في التَّركيز، ويغيظه الصِّبية لأنَّه يتلعثم في الحديث. فأتى إلى "هليمور" ولم يأتِ أحد للبحث عنه، لم يقلق أحد بشأنه. كأنَّ أحدًا لم يحبه، لم يهتمّ أحد بأمره. لكنه وجد ملجأ له بيننا، لم يضايقه أو يضطهده أحد في "هليمور". بل كان يُعَامل باحترام لم يعتده من قبل. أتى إلى "هليمور" ليرتاح من العالَم. كان مسالِمًا، وجذّابًا، ذا عينيْن بُنِّيتيْن ودودتيْن. فيهما لمعة فضول. كان يبحث عن الصَّداقة، عن الحُبِّ والتَّقبُّل.

في الشِّتاء، تُوفيتْ أخته. أتى إلى "هليمور"، المكان الوحيد الذي يمكنه التَّعبير عن حزنه فيه. بكى أمامنا، اقتربَتْ منه فتاة واحتضنتْه. جلسا على المقعد أمام المحطة وبكى بحرارة بين يديْها، جرت دموعه على معطفها الأسود الجِلديِّ. لم أعرف ماذا عليَّ فعله فوقفتُ بعيدًا أراقبهما. لم يهتم أحد بهما. عادة يمرُّ النّاس من دون إعارة أيِّ انتباه للـ"بانك". حتّى حين يبكون. في يوم ما توقَّف عن المجيء إلى "هليمور" ولم أعرف السبب. قابلتُه في الباص وتحدَّثنا، ثم أخذتْه هيئة الشئون الاجتماعيَّة إلى مكان ما في الرّيف. وفقدتُ الاتِّصال به، لم أسمع خبرًا عنه طيلة عام على الأقلّ، بعدها بلغني خبر وفاته، لم أعرف كيف. ربما تُوفي في حادثة، لم أقرأ شيئًا

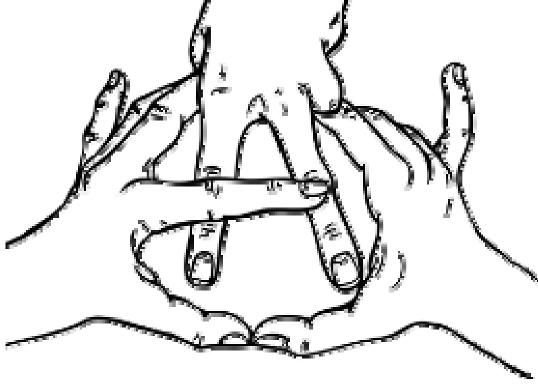
عن الأمر في الجرائد. لم يذهب أحدنا إلى الجنازة. لم نشعر أنَّنا قد نلقى أيَّ ترحيب هناك.

أصبح "البانك" في "هليمور" بالغين الآن، نجح بعضهم في الحياة، حتّى إنَّهم وجدوا السَّعادة، مثلي. لكن معظمهم تُوفوا. أحد أصدقائي المقربين تُوفي بسبب جرعة مخدِّرات زائدة في بلد أجنبيٍّ. وغرق آخر في البحر بعد تعاطيه المخدِّرات أيضًا. بينما قُتل آخر. لا يزالون في ذاكرتي صبية في الثالثة عشر، حائرين، صغار، ذوي وجوه طفوليَّة ومعاطف جلديَّة.

وجود الحُبِّ في الحياة رغم كلِّ شيء معجزة؛ ولو أنَّ كلَّ شيء سار وفقًا للخطة، لقتل العالم القاسي نفسه، بنفسه، منذ زمن بعيد.



أرض الفوضويَّة



أريد العيش في دولة لا يملك فيها أحد فرْضَ رأيه على آخر.

الكلمة المقابلة للفوضويَّة في اللُّغة الأيسلنديَّة هي "ستيورنليسي"، وتعني في الحقيقة: غياب القيادة. هذه ترجمة ضعيفة؛ لأنَّ غياب القيادة هو هرج. انعدام القيادة هو حريَّة خالية من المسؤوليَّة. أمّا الفوضويَّة فهي حريَّة ومسؤوليَّة في الوقت نفسه. ليسَت الفوضويَّة انعدام القيادة، ليسَت هرجًا. الفوضويَّة هي الكمال. توجد في أرض الفوضويَّة مدارس. ليسَت مدرسة واحدة تابعة لنظام واحد وعلى الجميع الالتحاق بها. كلّا، في أرض الفوضويَّة مدارس عدة. ولا يُجبر أحد على الحضور أكثر من قدر احتياجه. يمكن للجميع تعلُّم ما يريدون وفعل ما يريدون. إنْ أرادوا الدِّراسة خلال اللَّيل والنَّوم بالنَّهار، فهذا متاح أيضًا.

في أرض الفوضويَّة، الجميع متساوون، ويدركون أنَّ التَّشابه ليس قاعـدة. ليسوا أنانيّين. بعض الأشخاص الأنانيّين يظنّون أنَّ الفوضويَّة أنانيَّة، مثل عدم وجوب مساعدة الآخرين. البعض يجد هذا ممتعًـا. لكـنَّهم يسـتوعبون أنَّـك بمساعدتك لغيرك فأنت تساعد نفسك كذلك.

الفوضويَّة متنوِّعة كتنوُّع النّاس. في أرض الفوضويَّة، يمكنك التَّصرُّف كـما تشـاء دون أنْ يَصِـمَك أحـد بالخطـأ. يمكنـك أنْ تكـون شـاذًّا، أو "بانـك" أو محاميًّا. ويمكن للمحامين الرجال وضع طلاء الأظافر، إنْ شاؤوا. يمكنك الزَّواج من ثلاث أو أربع زوجات في الوقت ذاته. يمكنك القيام بما تريد مـا دمـتَ لا تتسبب في أذيَّة الآخرين. يمكنك ارتداء الملابس التـي تريـدها، والـذِّهاب إلى العمل عاريًا، دون أنْ يمنعك أحد. الأمر الوحيد الممنوع هو إيـذاء الآخـرين. الجميع لديهم ما يعطون، فعليهم التعرُّف إلى ما يملكون والعطاء بأكبر قـدْر ممكن.

يمكنني بناء منزلي الخاصّ كيفما أريد. يمكنني تربيـة السَّحالي في غرفتـي والـذِّهاب إلى المدرسـة ممتطيًـا حصـاني. يمكننـي إشـعال نـار في حـديقتي. يمكنني التحدُّث بأيِّ لغة، وقول أيِّ شيء ما دمتُ لا أضرُّ غيري.

لا يوجد في أرض الفوضى بنوك أو أموال. الوقـت كلـه متسـاوٍ في القيمـة ويمنح النـاس وقـتهم للآخـرين. قيمـة وقـت الطبيـب تسـاوي قيمـة وقـت الخادمة. الرجال والنساء متساوون.

أكره النِّظام. النِّظام يضطهد المواطنين. هـؤلاء الـذين يتعلَّمـون النِّظـام يعيشون جيِّدًا، ومَن لا يفعلون يُنفَـون. فهنـاك تعلـيم واحـد صـحيح، هـو التَّعليم التّـابع للنِّظـام. الانتهـازيون يسـيطرون عـلى الأمـور. وهـم ليسـوا أشخاصًـا صـالحين في العـادة. وليسـوا بـالضَّرورة أذكيـاء. إنَّ فهـم المشـاعر

موهبة في حدٍّ ذاتها. كما أنَّ التخيُّل أهمُّ من المعرفة. لكنَّ النِّظام لا يفهم ذلك. فالطَّبيب النَّفسيُّ بالمدرسة قد يكون من خرّيجي تعليم عالٍ ومتميز، لكن لا يمكنه مساعدة أحد. بينما شخص يعي ويفهم المشاعر يمكنه نفع الآخرين أكثر منه. لكن النِّظام لا يدرك ذلك. يريد من الجميع تعلُّم الرِّياضيّات. والنّاس يتقبَّلون مَن هم مشابهون لهم فحسب. يقلِّلون من قيمة الخيال. الخيال في قيمة الرِّياضيّات. إنَّ الرَّجل "البدائيُّ" كان قويًّا. ربما كان يعرف الرِّياضيّات جيِّدًا. لكنَّه انقرض لأنَّه كان مفتقرًا إلى الخيال. الأقوياء والانتهازيّون يسيطرون على الجميع. المتعلِّمون يتَّحدون ويضعون قواعد يجبرون غير المتعلِّمين على اتباعها حتّى وإنْ كان غير المتعلِّمين أشخاصًا صالحين. يريدون لغير المتعلِّمين أن يصبحوا خدمًا لهم. يحصل الانتهازيّون على فرص أكثر من الصّالحين. يحصلون على وظائف جيِّدة، وإنْ كانوا لا يستحقونها. يحصلون على الوظيفة فقط لأنَّهم اجتازوا تعليمًا معينًا.

هذا ظلمٌ! أنا خائف ومتوتِّر، لكنَّني لستُ غبيًّا. خضعت لاختبار ذكاء في "دالبروت"، وتبيَّن أنَّني نبيه. لكنَّهم لم يختبروا الخيال. لا يعرفون كيفيَّة اختباره. ربَّما لا يمكنك قياس الخيال. أحيانًا أتخيَّل الكثير حتّى أشعر بالضّيق. أتخيَّل أشياءً مريعة أحيانًا. أفكِّر كثيرًا حتّى أصاب بالصُّداع. لا يوجد أحد ليعلِّمني أو يوجِّهني. يظنُّني النّاس غريبًا، أو مخادعًا أُظهر غير الحقيقة.

يتوجَّب عليَّ التعلُّم في المدرسة، لكنَّني أجد ذلك بلا نفع، فالأمور إمّا بسيطة لدرجة لا تستحقُّ معها شغل بالي بها، أو شديدة التَّعقيد حتّى إنَّني أعجز عن تعلُّمها. أجد إجباري على القيام بأمور لا أريد القيام بها أمرًا خاطئًا، أمورًا عكس قناعاتي. لا أفعل ما يريده النِّظام، فهو يريدني ألّا أكون أنا، يريدني أنْ أكون مختلفًا. لا أريد أنْ يُملي عليَّ النِّظام ما أفعل.

لا أعاند الأمور لكنَّني أريد التَّحرُّر من النِّظام. لكن لا مكان لي. تقيِّدني القواعد. لن أصبح مدرِّسًا جامعيًّا. لن أحصل على وظيفة مهمَّة. أخبرني المعلِّمون أنَّني سأصبح جامع قمامة. أوقن أنَّني لا أريد القيام بذلك، أريد أنْ أصبح ممثِّلًا والمشاركة في الأفلام. أريد اختراع شيء جديد وشيِّق. إنْ كنتُ سألتحق بمدرسة ما، فسأفعلها للمتعة، حيث أستمتع بكلِّ شيء، وأهمُّ شيء هو العواطف. لكن تلك المدرسة غير موجودة. لا يرى النِّظام قيمة لها. يقلل من أهميَّة التَّمتُّع. ويضع القواعد. وحتى أتمكَّن من الالتحاق بمدرسة الدّراما، عليَّ الحصول على درجة جامعيَّة. أدرك أنَّني لن أحصل على ذلك. لأنَّ عليَّ تعلُّم الرّياضيّات واللُّغة الدنماركيَّة، رغم أنَّني لن أستخدمهما مطلَقًا. لن يهمُّهم أنَّني مُسلٍّ وأتمتَّع بخيال واسع. ما دمتُ لا أعرف جدول الضَّرب، فلن يهتمّ بي أحد. معرفة جدول ضرب الرَّقم ٧ أهمُّ عند النِّظام من إجادة إلقاء النّكات. طريقة النِّظام هي التخلُّص من أمثالي. تؤخذ أفعالي عامَّة بحذر. تحوَّلتُ إلى خارجٍ عن النِّظام. لن يتعامل معي أحد بجديَّة. أخبرني المعلِّمون بذلك. حتّى إنَّ النِّظام يحاول التَّقليل منّي، وتعجيزي. يريد النِّظام لي الفشل. إنْ تعلَّمْتُ اللُّغة الدّنماركيَّة والقسمة المطوَّلة، سيموت شيء ما بداخلي. سيكون النِّظام قد تمكَّن منّي، وسأستسلم. هذه خيانة لما أؤمن به! هكذا سيسير الأمر؛ سأرسب في الامتحان. ثُمَّ أفشل في اختبارات التَّقييم. ولن أذهب إلى الجامعة. لن أجد شيئًا هناك. لا أظنُّهم يدرّسون هناك شيئًا شيِّقًا بالنِّسبة لي. يوجد هناك النِّظام فحسب، بخلله وفساده. أنا بطيء التعلُّم. يحصل الجميع على سبعة فاصل شيء لكنَّني أحصل على ثلاثة فاصل شيء. في المستقبل، سأحصل على وظيفة عامل في مصنع ما.

ينمو القلق بداخلي. أخشى من تلك النظرة لمستقبلي. ليست تلك الحياة التي أريدها. حين يزداد القلق داخلي حتّى أكاد أنفجر، سأذهب لرؤية طبيب. سيقدِّم لي الأقراص حتّى أتمكن من الاسترخاء والنَّوم. سأتناولها لسنواتٍ حتّى أنام بداخل نفسي، وتصبح حياتي بائسة. وحين أُرهق من الأقراص والعمل، أصاب بانهيار عصبيٍّ. ثُمَّ يأخذونني إلى مستشفى نفسيٍّ وأُكمِل حياتي هناك. هناك سأجد أشخاصًا يشبهونني، غرباء يشعرون بالتَّعاسة بداخلهم. أشخاصًا لا يتعلَّمون شيئًا في المدرسة ولا ينهمكون في العمل، ما هم سوى مشكلة للنِّظام. في وسط كلِّ تلك الحيرة، ربما أضرُّ نفسي. لن أصيب أحدًا بأذى. لكن قد أبدأ في تعاطي المخدِّرات. والتعرُّف إلى مدمنين. ربَّما أناس يشبهونني. ربما يبدأ الأمر حين يصف لي الطبيب النفسيُّ أقراصًا، ليبدأ الطَّريق من هناك. ربَّما أبدأ بعدها في السَّطو على المتاجر للحصول على أموال. ساعتها قد ينتهي بي الحال في سجن "ليتلا هراون". بعد ذلك، ستزداد القواعد وتصبح أصعب وأشدَّ ولا مفرَّ منها. عندها قد أستسلم أخيرًا، أبكي أمام النّاس وأطلب منهم العفو. ربما يصيبني الإرهاق والسأم من نفسي وأقبل بالتغيُّر، ربَّما أتعلَّم أخيرًا اللُّغة والقسمة المُطوَّلة. وأزداد تشبُّهًا بالسياسيّين على التليفزيون. لكن ربَّما يكون قد فات الأوان. لعلّي أصبح غير قابل للإصلاح. أو أُصاب في حادثة. من الخطر أنْ تكون خارجًا على النِّظام. "بيبي لونجستوكينج" كان فوضويًّا. لو سار الجميع على نهجه نفسه، لكان العالم الآن مكانًا أفضل ممّا هو عليه. ليس للأرض الفوضويَّة وجود. ربَّما تصبح دولة في مكان ما في المستقبل. لكن على الأغلب، لا وجود لها الآن إلّا بداخلي.

في شارع المملكة السَّماويَّة



أرادتْ أمّي أن أخوض طقس التثبيت في الكنيسة. لا مجال للجدال. الصِّبية الذين يثبَّتون يذهبون في رحلة، رحلة مدرسيَّة إلى "فاتناسكوج" مع معلِّم الدراسات المسيحيَّة. الصِّبية فقط يذهبون إلى هناك، بينما تذهب الفتيات إلى مكان آخر خاصٍّ بهنَّ. وجدتُ كلَّ ما يتعلَّق بتلك الرحلة غريبًا وغير مريح، ولم أُرحِّب بالفكرة. لم أستبشر بها خيرًا. خلال تحضيراتنا للتَّثبيت، قضيتُ الوقت مع "إيكي المدمن"، الذي يُفترض قدومه معنا للتَّثبيت رغم أنَّه يكبرنا بعدة سنوات. كان ساذجًا لم يذهب إلى المدرسة. شعرتُ بالوحدة على القارب في أثناء الرحلة، حيث إنَّ "إيكي" لم يأتِ. كنتُ طفلًا غريبًا، مثيرًا للقلق، عليهم إبقاء أعينهم عليَّ طوال الوقت. كانت الخطة تنصُّ على البقاء في "فاتناسكوج" لبضعة أيام. أخذتُ أقلام الماركر الخاصة بي حتّى أتمكَّن من كتابة شعارات "البانك" في أيِّ مكان إنْ أتيحَتْ لي الفرصة. ثم ركبنا الباص، وبعد وصولنا إلى "فاتناسكوج"، تمَّ

توزيعنا على غرفنا، كلُّ اثنين يتشاركان غرفة. كنتُ أحمل أشيائي في حقيبة الجيم؛ بعض الكتب، وفرشة أسنان، وملابس قليلة.

في أول يوم، لعبنا كرة القدم. لم أكن أحب كرة القدم، لا يمكنني الرَّكض والتَّفكير في الوقت ذاته. كلَّما حاولتُ ركلَ الكرة، أخطئ ولا أحرز أيَّ أهداف. وبجانب ذلك، لم أكن أفهم القواعد.

في "فاتناسكوج"، كانت هناك قاعدة خادعة، إنْ شتمتَ تُستبعد ويحصل فريق الخصم على هدف أيضًا. وجدت في ذلك فرصة لاصطياد عصفوريْن بحجر واحد؛ يمكنني إحداث أثر كبير في المباراة، والحصول على قسط من الراحة على منحدر الجبل في آن واحد. أصبحتُ أردِّد: "اللعنة" و"الجحيم" كلَّما أتيحَتْ لي الفرصة.

- اللعنة.. اللعنة.. بحقِّ الجحيم.

نفخ معلِّم الدراسات المسيحيَّة في الصّافرة بغضب، وتمَّ استبعادي. نظر إليَّ زملائي بكُره ولعنوني سِرًّا. واحتفل الفريق المنافس.

بعد المباراة، حان وقت تناوُل الحلويات؛ كيكة إسفنجيَّة ولبن. ثُمَّ وقت حر؛ يمكننا البقاء في غرفنا أو الذهاب للتمشية. فذهبتُ إلى غرفتي وأحضرتُ قلمًا ماركر، رسمتُ دائرة كبيرة وبداخلها حرف A على ورقة، ثم علقتُها على الباب. شعرتُ أنَّني وضعتُ علامة على غرفتي، فانتابني شعور بالرّاحة والفخر. لم أتخيَّل أنَّ هذا قد يزعج أحدًا، فلم أكتب مباشرةً على الباب أو أيِّ مكان آخر، إنَّها مجرَّد ورقة. لم أخرّب شيئًا. لم أتخيَّل أنَّ أحدًا قد يغضب من ذلك. لكن سرعان ما أتى المعلِّم إلى غرفتي، وعلى وجهه

غضب عارم. نظر إلى الورقة ثم نزعها ومزَّقها. جلستُ وحدي على السَّرير، متجمدًا، لا أفهم شيئًا! لماذا أصابه هذا الغضب؟ هذا غريب. هل هو معارض للفوضويَّة؟ هل يعرف ما هي ويكرهها؟ لماذا؟ كنتُ سأتفهَّم ضيقه من عدم ترتيب غرفتي مثلًا. لكنَّه لم يكن منزعجًا فحسب، بل كان ثائرًا. تطلق عيناه الشَّرر، ويرتعش غضبًا.

لا بدَّ أنَّ في الأمر سوء تفاهم. حيث إنَّني ابتسمتُ له حين شعرتُ أنَّ غضبه أكبر من الموقف؛ لأريه أنَّ الأمر لا يحتاج لكل هذا الغضب. وأيضًا لأُعْلِمه بأنَّني لست غاضبًا، رغم إفساده محاولتي تلك. حينها أسرع إليَّ وأمسك بي ليهزّني.

- وتتصنَّع الابتسامة في وجهي؟!

- لم أكن أتصنَّع، كنتُ خائفًا ومندهشًا.

- هل أنت مختلٌّ عقليًّا تمامًا؟

وهزَّني مرة أخرى.

أسرع بعض النّاس إلينا، واجتمع زملائي أمام الباب للمشاهدة.

- لن تبقى هنا دقيقة أخرى.

ثم أتى أحد الموظفين وأخذني. والمعلِّم يصرخ:

- اخرج من هنا.

كرهتُ هذا الرجل المريض. جمعنا أشيائي في حقيبتي. ثُمَّ أخذني الموظَّف إلى السَّيارة. راقبني الصِّبية بدهشة. كنتُ متَّجهًا إلى المدينة.

نظرتُ من النّافذة ورأيتُ الصِّبية واقفين متجمِّدين، يشاهدونني. ماذا حدث؟ لم أفهم. تضاربَت الأفكار في عقلي.

ماذا فعلتُ؟ ما الذي أغضب هذا الأحمق؟ لماذا لم يشرح لي؟ كان الموظَّف غاضبًا كذلك، ولم أجرؤ على سؤاله. ظللتُ صامتًا وأطلقت لعقلي العنان. كيف سأشرح الأمر لأمّي، كيف أفسِّر لها عودتي إلى المنزل؟

سألتْ أمّي فور دخولي المنزل:

- ماذا تفعل في المنزل؟

- لا أعرف. أرسلوني إلى المنزل.

- ماذا فعلتَ الآن؟

- لا أعرف. كنّا نلعب الكرة وأخذتُ أسبُّ. لم أعرف أنَّ هذا ممنوع.

كان هذا هو التَّفسير الوحيد الذي حضر إلى ذهني. كنتُ أعلم بالطَّبع أنه ممنوع، لكن ليس إلى هذا الحدِّ.

تنهَّدتْ أمّي، وأشعلتْ سيجارة.

لم أقابل زملائي حتّى الأسبوع التّالي، حينها فقط فهمتُ لماذا أصيب المعلِّم بكلِّ هذا الغضب. بعد رحيلي، تمَّ استدعاء الصِّبية جميعًا إلى اجتماع. كنت أنا موضوع هذا الاجتماع. بعد أنْ جلسوا جميعًا، أخرج المعلِّم الورقة الخاصة بي، فردَها وعرضها عليهم، ثُمَّ سألهم بصوت عالٍ:

- هل تعرفون معنى هذا؟

سأل أحدهم:

- أليس هذا شعار الفوضويَّة؟

- كلا، هذا شعار المسيخ الدّجّال! رسم الفتى شعار الشَّيطان وعلَّقه على باب غرفته.

عـرف الجميـع أنَّـه مخطـئ. ربمـا لم يسـمع قـط عـن فريـق "سـيكس بيستولس" أو "فوضويَّة في المملكة المتَّحدة"، مثلما يقول "جون روتـن": "أنـا فوضويٌّ، أنا فوضويٌّ".

ربَّما يظنُّ الفوضويَّة والشَّيطان شيئًا واحدًا. ربَّما اختلط عليه الأمـر. لكـنَّ هذا كله لا يهمُّني. كان غبيًّا ومزعجًا. رجل عديم الجدوى.

بعـد عـودتي إلى منـزلي، وبعـد الاجـتماع في "فاتناسـكوج"، تمتَّـع الصِّـبية الصّالحون بأيـام هادئـة، خاليـة مـن السَّـبِّ واللَّعـب مـع معلِّـم الدِّراسـات المسيحيَّة. لقد تخلَّصوا من المسيخ الـدجّال، أرسـلوه إلى منزلـه وأخـبروا أمَّـه بأمره.

كان الجوُّ العامُّ مريبًا فيما يخصُّ إدارة مدرسة "ريتارهولـت" وكنيسـة "بوستاوير". يراني المسؤولون هناك خطرًا. شعرتُ أنَّ بينهما عاملًا مشـتركًا غامضًا. ربما كانوا أصدقاءً. راودني الشَّكُّ في كونهم أعضاءً في جماعة سريَّة تعقد الاجتماعات ليلًا. في تلك الاجتماعات، يقرِّرون مَن له أهميَّـة، ومَـن يجب إهماله ومَن يثير قلقهم. الصِّبية الوسماء، الـذين يلعبـون الرِّياضـة في المدرسة، ويتصرَّفون بـأدب، هـم الأفضـل. هـم الأهـمُّ. كـما أنَّ الـذين يجيدون الرَّقص مهمون أيضًا. لم أكن أجيد أيًّـا مـن تلـك الأشـياء. لم أكـن مهـمًّا. لم أكـن موضـع ترحيـب، لا أنـا ولا أمثـالي. هـؤلاء الرِّجـال هـم المسؤولون، وعلى الصِّبية الطاعة. شعرتُ بقوَّتهم في كلِّ مكان، في المدرسة، في التَّحضير للتَّثبيت، في المجتمـع. وشـعرتُ أنهـم معارضـون. إنَّهـم أشـباه

"هتلـر". شيء مـا فـيهم، في تواجـدهم، يُفقـدني الراحـة. ربَّمـا تحرُّكـاتهم، أو مشيتهم، أو كلامهم. لم أجد في أعينهم أيَّ دفء. رأيـتُ الجفـاف والتعجـرف فحسب. ولم أكن الوحيد الذي يشعر بهذا، كان الجميع يتحـدَّث عـن ذلـك. حتّى الصِّبية الوسماء، المهذَّبون، يعترضون عليهم.

لكن لم نفهم السبب. لا يمكنك الحديث عن الأمر بصوت مسموع؛ عليك الحرص حتّى لا يسمعك أحدهم. ولا نريد التفوُّه بشيء أمـام شـخص يمكنـه نقل الكلام. كلُّه بالهمس. تسمع مزاعم غريبـة، ولا تعلـم أيُّهـا صِـدق وأيُّهـا افتراء أو مبالغة. قيـل إنَّ القـسَّ منحـرف جنسـيًّا. هـل كـان كـذلك؟ قالـت الفتيات إنَّه غريب الأطوار. لم أفهم قصدهنَّ بغرابة الأطوار، لكنه أمـر سـيِّئ بلا شكٍّ. قيل إنَّه يتحرَّش أحيانًا بالفتيـات، يلمـس أجسـادهنَّ، ويقـول لهـنَّ كلامًا مريبًا، مثل: إنَّهن جميلات وما شابه. يتحدَّثن عن ذلـك بثقـة. لم أجـرؤ على السُّؤال. كنت أجد كلَّ ما يتعلق بالعلاقات الحميمة حديثًا غريبًـا وغـير مريح. لم أعرف كيف أفسِّر ملامسة صدورهنّ. لكنَّني وجدتُ غرابة في قيـام رجل كبير في السِّنِّ بذلك، خاصَّة أنه قسٌّ. ألـيس القسيسـون أخيـارًا؟ إنـه لم يطلب إذنهنَّ! لن ألمس جسد إحداهنَّ أبدًا إلّا بموافقتها. لكنَّه بالتأكيـد أمـرٌ يدعو إلى الخجل. أمر غريب. تشعر كأنَّ الأمور ليست في سـياقها الطبيعـيِّ. رجال مقزِّزون. وجدتُ الرجـل في "بوسـتاوير" غريـب الأطـوار. رجـل مُسِـنٌّ يحـبُّ الـرَّقص. لم يحبنـي هـؤلاء الرِّجـال ولم أحـبهم. ينظـرون إليَّ بارتيـاب، وأخشاهم أنا. لكنهم كانوا يتعمَّدون تركي لشأني، يتعاملون معي قليلًا، يتركـون ذلك للصِّبية الآخرين. على الأغلب يمضون ساعات خلف الأبواب المغلقـة مـع الصِّبية الآخرين يتحدَّثون عني، عن غرابتي، يتَّفقون على السُّخرية منّي. كانوا

يعرفون جيِّدًا أنَّ الاضطهاد والعنف أمور واردة الحدوث. رؤوا الأمر بأعينهم أكثر من مرة لكن لم يهتمّوا. كانوا يريدون للأمر أنْ يقع. وكنتُ أعلم أنَّهم يخفون أمرًا ما.

في صغري آمنتُ بالله. علمتْني جدَّتي الصَّلاة وحدَّثتْني عن الله. أخبرتْني أنَّ الله يراني، يحبُّني ويهمُّه أمري، وأنَّ عليَّ الصَّلاة والدُّعاء له. حاولتُ الصَّلاة عدة مرّات، لكنَّني شعرتُ أنَّ أمري لا يهمُّه. لم أشكّ في وجوده ولكن لا بدَّ أنَّ لديه أمورًا أهمَّ منّي. وطلب الحماية من الله لا يُحدِث فرقًا. فمثلًا، أصبتُ في مرة بوجع في أسناني ليلة عيد ميلادي، فاستلقيتُ ودعوتُ الله أنْ يخلِّصني منه يوم عيد مولدي. دعوتُ وتمنَّيتُ، لكنَّ الأمر لم يعنِ له شيئًا. لم يرَ بأسًا في معاناتي من وجع الأسنان يوم عيد ميلادي. لم أفكِّر فيه كثيرًا، كان أمره متعلقًا بجدَّتي. وحين توفيَتْ هي، خرج من حياتي. لا يهتمُّ "البانك" بالله، كانوا ضدّه وأنكروا وجوده في السَّماء فوق رؤوسنا، كان تحدّي المسيحيَّة والحقوق المدنيَّة جزءًا من ثقافة "البانك".

لكن مَن كان لهم تأثير أكبر على حياتي هم ممثِّلو الله على الأرض. يجمع بينهم عامل واحد مشترك، إنَّهم مثيرون للملل. وجدتُهم مملّين وغرباء. مَن يستمعون إلى الله لا يسمعون "البانك". لكنَّ التَّثبيت هو التَّثبيت. والتَّثبيت يعني احتفالًا. والاحتفال يعني الهدايا. الأمر مغرٍ. كنتُ على استعداد لفعل أيِّ شيء من أجل المال. أيّ شيء يجعلني أستقلُّ عن أبي. ظننتُ أنَّ التَّثبيت قد يجعلني أحصل على بعض المال لشراء الألبومات، وربَّما كاسيت. لم يكن لديَّ واحد. الكاسيت الوحيد بالمنزل كان

المشغِّل "كراون" بغرفة الجلوس. وأصرَّتْ أمّي على التَّثبيت. حاولتُ التحدُّث معها لكن لم يكن لديها استعداد للنقاش. لقد أخذتْ قرارها.

- لستُ متأكدًا إنْ كنتُ أرغب في التَّثبيت.

- حقًّا؟ يا للعار!

- كلّا، لكنَّني لستُ واثقًا إنْ كنتُ أؤمن بالـلـه.

سخرتْ من ذلك. فالأمر بالنِّسبة لها لا يتعلَّق بالـلـه.

- التَّثبيت مجرَّد تثبيت، وسوف تخوضه.

- لكن لماذا، إنْ كنتُ لا أؤمن بالـلـه؟!

- لا يهمُّ، سوف تُثبَّت، لا مجال للنِّقاش. قام بها أشقّاؤك جميعًا، وسوف تقوم به أنت أيضًا.

كان يستحيل سحب أمّي إلى نقاش دينيٍّ. لم يهمّها الأمر. لم أرغب في مناقشة أبي، علمتُ أنَّه مُلحِد ويكره القساوسة. سمعتُه كثيرًا. لـ"بوربيرجر بوروارسون" تأثير واضح على معتقداتي. قرأتُ "جوابًا إلى لارا" و"المعجزة" وفهمتُ أنَّ لديه شكوكًا قويَّة عن وجود الـلـه أو أيِّ ذات إلهيَّة. لكنَّ الغريب كانت مناقشته عن وجود كائنات خارقة للطبيعة مثل الجنِّ، والحياة بعد الموت. يؤمن بالأشباح ولا يؤمن بالـلـه. لا أعرف إنْ كنتُ أؤمن بالأشباح، لكنَّني أخشى الظّلام. لا أعرف ماذا أخشى فيه، شبحًا أمْ شيئًا آخر. تأثرتُ بمعتقدات "بوربيرجر بوروارسون". كان أبي شيوعيًّا حقيقيًّا. الـلـه بالنِّسبة له مجرَّد مخدِّر للشُّعوب، تستخدمه الرأسماليَّة لتهدئة الجموع، فيتَّجهون للصَّلاة بدلًا من المطالبة بزيادة المرتَّبات

وتحسين أوضاع العمل. ويريد الـلـه من النّاس التَّعايش مع الفقر والظُّروف السَّيِّئة. ليس على المؤمنين القلق حتّى إنْ كانت حياتهم مأساويَّة، لأنَّه كلَّـما زادت صعوبات حياتك، كانت حياتك في الآخرة أجمل. بالنِّسـبة لأمّـي، كـان الإيمان أمرًا طبيعيًّا والتَّثبيت طقسًا دينيًّا. إنَّه تقليد، مثل أعياد الميلاد.

وافقتُ على التَّثبيت، وبدأتُ في التَّردُّد على القسِّ. قابلت "إيكي" المـدمن هناك. أحببتُ العبث في الكنيسة، حـين يتجمَّـع الصِّـبية هنـاك قبـل وصـول القسِّ. تحدَّثتُ عن الـلـه والألوهيَّة.

- هل تؤمنون بالـلـه؟

ردَّت إحدى الفتيات:

- أنا أؤمن بالـلـه.

- حسنًا، حيث إنَّنا في كنيسة، ماذا تتوقَّعـون أنْ يفعـل الـلــه إنْ قلـتُ: "اللعنة بحقِّ الجحيم" هنا في الكنيسة؟

صُعق الصِّبية. تردَّد صدى الصَّوت في الكنيسة.

صحتُ مبتهجًا.

- اللَّعنة.. الشَّيطان!

وجد "إيكي" الأمر ممتعًا فانضمَّ إليَّ.

ضحك بعض الفتيات، وطلب آخرون منا التوقُّف. لقد تحقَّق الهـدف. وجدتُ في الأمر متعة كبيرة. لكنَّ القسَّ "أولاف" لم يوافقْني الرأي، أخذَني و"إيـكي" جانبًـا بعـد جلسـة التَّحضـير للتَّثبيـت، وأخبرَنـا أنَّنـا إن التزمْنـا

وأحسنّا التَّصرُّف خلال جلسات التَّحضير، فسيدعونا إلى حفلة "هوت دوج" بعد التَّثبيت. سيكون في الحفل "هوت دوج" وصودا وبرطمانات كثيرة من حلوى "برنس بولو"، وسنستمتع كثيرًا. كنتُ و"إيكي" ساذجيْن طيبيْن فابتلعنا هذا الطُّعم. كان "إيكي" معذورًا لأنَّه لم يكن شديد الذَّكاء. لكنَّني صدَّقتُ القسَّ وأعجبني العرض. أصبحتُ حريصًا في الفصل، أمنع نفسي عن أيِّ هراء. كنتُ حتى، رغم غرابة ذلك، هادئًا صامتًا. تعلَّمتُ كلَّ ما عليَّ تعلُّمه، ورسمتُ أشكالًا ورموزًا كنسيَّة. ثم طُلب منّي حفظ نصٍّ من الإنجيل. فعلتُ كلَّ شيء من أجل حفل "الهوت دوج" والـ"برنس بولو" والصودا. اقترب موعد الحفل. تناقشنا فيما بيننا عن قدْر المال الذي يمكننا الحصول عليه كهدايا بعد التَّثبيت. سألتُ الصِّبية الأكبر سنًّا عن المبالغ التي حصلوا عليها وفكرتُ في الأمر؛ سيكون حقًّا مبلغًا ضخمًا.

مع اقتراب يوم التَّثبيت، بدأتْ أمّي تتحدَّث عن ملابس التَّثبيت. تفحَّصتُ بعض الإعلانات التي أحضرتُها من "هاجكوب". كانت مليئة بأشخاص منفِّرين يرتدون بذلات وأربطة عنق على مقاس الأطفال. رفضتُ ارتداء هذا النوع من الملابس فورًا. ولكن أمّي لم ترغب في الجدال حول الأمر.

قالت ببساطة:

- "جون" سوف ترتدي تلك الملابس.

- لكنَّني لن أرتديها أكثر من مرة.

- سترتديها يوم التَّكريم، ويوم حفل التَّثبيت.

- كلّا.

- ستفعل ما أقول.

- لماذا لا يمكنني ارتداء ملابس طبيعيَّة؟

- لأنَّك ستفعل ما أقول.

- لكنَّها سخيفة.

- سيتمُّ تثبيتك، وتلك ملابس التَّثبيت، وغير مسموح بشيء آخر.

اصطحبتْني أمّي معها من محلٍّ إلى محلٍّ لتجربة تلك الملابس. كنتُ منزعجًا. لم أهتمّ بما ستشتريه. في النِّهاية، اشترتْ بذلة صوفيَّة بُنيَّة اللون، كان في "فوج" حينها. ومعها قميص ورباط عنق صوفيّ بُنيّ اللَّون.

- تبدو وسيمًا.

- هذا قيء ومخاط.

تجاهلتْني.

- ألا يمكنني ارتداء زيِّ المهرِّج؟

لم تجبْني. ثُمَّ اشترَتْ حذاءً رسميًا بُنيًّا. قُضي الأمر!

جاء اليوم. ذهبتُ إلى الكنيسة في بذلتي البُنيَّة. ووضعوا فوق ملابسي رداءً فضفاضًا. كان هذا اليوم مصمَّمًا لتجريدي من الانتماء إلى "البانك". لم ترغب أمّي في الوقوف معي كما هي العادة في يوم التَّثبيت لأنَّها خجولة من سنها. فكان على أخي وأختي الوقوف والتَّظاهر أنهما والداي حين

ينادون اسمي. مرَّ الحفل بسلام. تعلَّمتُ كلَّ شيء وتمتمتُ بأشياء عن إيمـاني بالـلـه، دائمًا، ثُمَّ رتَّلتُ النصَّ من الإنجيل. وتمَّ الأمر.

بدأ الأحتفال اللّاحق بحفل التَّثبيـت. احتفـال تقليـديٌّ، في المنـزل. وُضـع البسكوت المزيَّن على طاولة. والسَّجائر والكحول على طـاولات للنّـاس. كـما كان هناك صودا وقهوة. حاولتُ البقاء في غرفتي قدْرَ الإمكان. أمرتْنـي أمّـي بارتداء البذلة خلال الاحتفال بالمنزل. لكنَّني تخلَّصت منها بالتَّـدريج. بـدأتُ بالجاكت.

- لماذا خلعتَ الجاكت يا "جون"؟

- شعرتُ بالحَرِّ فحسب.

ثُمَّ خلعتُ الصَّدريَّة ثم ربطة العنق. مستغِلًّا العذرَ نفسه. قبل منتصـف الاحتفال بقليل، بعد تناوُل أمّي كأسًـا أو اثنتـين، أبـدلتُ القمـيص بتيشـيرت "سيد فيشيوس". كان الكبار يشربون النَّبيذ المنزليَّ. ثم بدؤوا جميعًا في لعب "البريدج" بالورق. هكذا تنتهي احتفـالات أمّـي وأبي جميعًـا، النَّبيـذ ولعـب الورق.

كنتُ متحمِّسًا بشأن المـال الـذي سأحصـل عليـه. تسـلَّمتُ كـلَّ ظـرف بشغف. قمتُ بعدِّ المال ووضعِه في الدُّرج بحذَر. كما حصلتُ عـلى بعـض الهدايا الشيِّقة. "بيز جيتار" من أمّي وأبي. كنّـا اتفقنـا عـلى ذلـك بالفعـل. كان مستعملًا، من ماركة "هوفنر"، لونه أحمر، حرفان فيه مُحيـا "ه"، و"و" وبقي "فنر" فحسب. ولما لم أكن ملمًّا بـالآلات الموسـيقيَّة، ظننـتُ أنَّ تلـك الآلة تُسمى "فنر" وإنْ كان هذا يبدو الآن شديد الغرابة. ثُمَّ اخـتلط عـليَّ الأمر بينه وبـين ماركـة الآلات الموسـيقيَّة الأشـهر "فنـدر" وظننتُـه الطـراز

نفسه. فرحتُ به وتملَّكني الحماس طوال الاحتفال. كما حصلتُ على قواميس إنجليزيَّة - أيسلنديَّة. وجدتُهم مثل كنز، كأنَّني حصلتُ على شفرة اللُّغة الإنجليزيَّة. سأتمكَّن من فكِّ غموض أغاني "البانك". سأدرس كلمات الأغنيات لساعات، مستعينًا بتلك القواميس القيِّمة. قدَّم لي أخي كتاب "تاو تي شينج" لـ"لاو تزو". وجدتُها هديَّة سخيفة ولا تعني شيئًا. ورغم أنَّني لا أعرفه جيِّدًا، وأنَّه يكبرني بخمسة وعشرين عامًا تقريبًا، فإنَّني شعرتُ أنَّه كان عليه محاولة تقديم هديَّة ذات معنى شخصيٍّ أكثر من هذا الكتاب "الهيبي" التافه. ابتسمتُ له وشكرتُه وتصنَّعتُ الفرح. بينما أطوي داخلي نيَّة إعادته إلى المكتبة واستعادة المال. لكنَّني لم أفعل ذلك لأنَّني حين تفحصَّتُه لاحقًا وجدتُه شيِّقًا. كتب "هالدور لاكنسن" مقدِّمة الكتاب، وقال فيها إنَّه أهمُّ كتاب في العالَم، لذا قررتُ الاحتفاظ به وقراءته. "تاو تي شينج: كتاب الطَّريق". الطَّريق الذي لا يمكن رصفُه. في الحقيقة كان لهذا الكتاب الأثر الأكبر على حياتي. أحتفظ به حتّى الآن. قرأتُه أكثر من أيِّ كتاب آخر، وأحاول تطبيق إرشاداته طوال الوقت.

أردتُ شراء شيء ما بالمال الذي حصلتُ عليه، لكنَّ أمّي لم تسمح بذلك.

- كلّا يا "جون" سيذهب هذا المال إلى حساب في البنك.

حساب بنكي؟ اللعنة. لماذا عليها اختلاق تلك الأمور العجيبة؟ لماذا لا يمكنني فعل ما أريد؟ أليس هذا مالي؟ لماذا تحمَّلتُ هراء هذا الاحتفال إنْ كنتُ لن أحصل على المال؟

في النِّهاية، سمحت لي بالاحتفاظ بجزء من المبلغ، وذهبتُ إلى "جراميـو" لشراء ألبومات "البانك". كما أخذتْني إلى المتجـر الـذي اشـترتْ منـه "البـيس غيتار". كان اسمه "سوق الرِّياضة"، يبيع مشغِّلات الموسيقى وأدوات رياضيَّة وغيرها. هناك – وبفخر - اشتريتُ بمالي الخاصّ كاسيت "شارب" ممتازًا. هذا يعني سماع الموسيقى في غرفتي. سأتمكَّن من شراء أسـطوانات أسـتمع إليهـا في غرفة المعيشة مع أمّي وأبي، ثُمَّ أسجِّلها على شرائط كاسيت وأستمع إليهـا في غرفتي في سلام.

حيثُ أصل إلى الكلـمات وكـلِّ المعلومـات الأساسـيَّة عـن الأغنيـات مثـل الأسماء وما شابه. كنتُ آخذ الكاسيت معي في كلِّ مكـان. كـان مـن السَّـهل حَملُه لأنَّ به يدًا للإمساك به، ويقبل البطّاريات. أصبحتُ أستلقي في غرفتي لساعات أستمع إلى الموسـيقى، كنـتُ آخـذه إلى الحـمّام كـذلك، أسـتلقى في "البانيو" بالسّاعات، وأحيانًا أغنّي معه بحماس.

ارتحتُ كثيرًا حين انتهى التَّثبيت وكلُّ ما يتعلَّق بـه. وضـعْنا البذلـة في الخزانة. لكنَّني أصبتُ بخيبة أمل كبـيرة حـين اتضـح أنَّـه لا توجـد حفلـة "هوت دوج"، فلا "هوت دوج" ولا "كوكا" ولا "برنس بولو". كذب "أولاف سكولاسون" عليَّ أنا و"إيكي". كيف كنتُ بهذا الغباء؟ حصلتُ على "العهد الجديد" كهديَّة فحسب، مثل الجميع. قـرأتُ كتـاب "سـفر رؤيـا يوحنـا" فقط. عن نهاية العالم والشَّيطان. جمعتُ كلَّ المعلومات عن هذا الكتاب من أغنيات "البانك". ففيها – مثلًا - معلومات كثيرة عـن رقـم 666، رقـم الوحش، كما تقول أغنية "أيرون مايدن". كانت مليئة بـالقلق. لكـن بعـد قراءته فعلـتُ بـه مـا أفعـل بكتـب المدرسـة التـي أقرؤهـا ولا تعجبنـي؛

أشعلتُ فيه النار. علنًا. أخذت "العهد الجديد" إلى الخارج، أغرقتُه بالجاز وأشعلتُه. شعرتُ أنَّه تعبير عن عدم اهتمامي بهذا الهراء.

بعد عدَّة أيام، قالت أمّي إنَّ عليَّ ارتداء ملابس التَّثبيت مرة أخرى؛ لأنَّها ستأخذني إلى جلسة تصوير. قاومتُ. لكنَّها لم تسمح بمجال للرَّفض أكثر من كلِّ مرة.

- لديَّ صور تثبيت لكلِّ أبنائي، ولن تكون أنت الاستثناء.

لم تنصتْ لاعتراضاتي، وذهبتُ إلى إستوديو الصور في "كوباجوفور" بملابس التثبيت. لكن من أجل تغيير الوضع، أخذتُ المقصَّ إلى الحمّام، وقصصتُ شَعري بشكل غير مرتَّب تمامًا. ظننتُها ستلغي جلسة التَّصوير. لكنَّ شيئًا لم يتغير. صفَّفتْ شَعري بمثبِّت الشَّعر والمشط، حتّى توارت الأجزاء المشوَّهة. أمّا محاولتي الأخيرة، فكانت الوقوف متسمِّرًا هناك، حتّى لا يأخذوا لي صورة وأنا مبتسم مثل الأحمق. ضممتُ شفتيَّ بقوة حتّى لا يتمكَّنوا من رؤية الابتسامة. سأبدو صارمًا في الصُّورة، وكانت تلك هي الموضة. غاضبًا، باردًا، صارمًا، لا أبله. وقفتُ بجديَّة أمام المُصوِّر.

- حسنًا يا "جون" كيف حال؟ هل تلعب كرة القدم؟

- كلّا.

- هل تحب الرِّياضة؟

- كلّا.

- حسنًا! هل تحبُّ المدرسة؟

- كلّا.

ضبَط الكاميرا ونظر من العدسة.

- ما المادة المُفضَّلة لك في المدرسة؟

- ولا واحدة!

- حسنًا.

أجبتُ عن كلِّ شيء بجُمل قصيرة صارمة. لم يهتمّ المُصوِّر. ابتعَد عن الكاميرا، ثُمَّ فجأة أحضر دُمية ووضعَها في يده. ثُمَّ قال بصوت مرتفع وغريب:

- مرحبًا "جون".

انفجرتُ ضاحكًا، كان الأمر مضحكًا وغير متوقَّع. ثم سطع ضوء الفلاش. واحد تلو الآخر. غضبتُ. تمَّ استغفالي مرة أخرى. هكذا لن أبدو صارمًا في الصور، بل أبله ضاحكًا. يا للهراء. تأكد الأمر حين عادت أمّي بالصور المطبوعة، ها هو "جونسي البانك"، "البانك" الأصيل كما كانوا يلقبونني، في بذلة صوفيَّة وقميص بلون غريب، ونظّارات مثل رجل السِّياسة "بورستاين بالسون"، وفوق هذا ابتسامة مختلٍّ. يا للحرج! شملني الخجل حتّى أصابع قدمي. تمنَّيتُ أنْ تُخفى الصُّور في أحد الأدراج، لكنْ كان لأمي رأي آخر؛ لقد وضعتْها في غرفة المعيشة أمام أعين الجميع. فاعترضتُ على هذا الظلم.

- سوف أخفي تلك الصّورة اللَّعينة.

- أريد تلك الصورة هنا، ولا دخْلَ لك بالأمر.

كرهتُ تلك الصّورة. كنتُ كلَّما دخلتُ الغرفـة، أقلبهـا عـلى وجههـا، ثـم تأتي أمّي وتعدلها. نفعل ذلك عدة مـرّات في اليـوم عـلى مـدار أسـابيع دون التحدُّث عن الأمر.

- سأدمِّر تلك الصُّورة.

- يمكنك فعل ذلك، لكن لديَّ النيجاتيف وسأطبع المزيد منها.

كانت معركة محسومة لصالحها. ها هو الظُّلم ينتصر مرَّة أخرى.



عذرًا، لست بفائز



كنا في محاولات دائمة للحصول على المال. أعاني مع والدي طوال الوقت كي يمنحني مالًا للسّينما أو فعل أيِّ شيء. لا تملك أمّي المال، أبي هو المسؤول عن المال في البيت، يجلس على الثَّروة مثل تنّين يحرس ذهبًا، يُخرج قدْرًا محدودًا جدًّا لي ولأمّي. كما ترفض أمّي التوسُّط بيني وبينه إذا تعلَّق الأمر بالمال، لا تفعل ذلك مطلَقًا. للمال قيمة عاطفيَّة كبيرة عند أبي. ربَّما نشأته الفقيرة جعلتْه حريصًا في تولّي الأمور الماليَّة. حين أريد شيئًا بشدَّة ولا أملك مالًا، أحاول التحدُّث إلى أمّي أوّلًا.

- أمّي، هل يمكنني الحصول على المال لشراء كروت "البانك"؟

- كروت "البانك"؟ لماذا تحتاج إليها؟

- أريد اقتناء بعض صور الفرق الموسيقيَّة، إنه أمر شيِّق.

أعرف أنَّني سأسمع الإجابة نفسها.

- تحدَّثْ إلى والدك.

عادةً، أستستلم عند تلك النُّقطـة. لكـن أحيانًـا تكـون حـاجتي إلى المـال مُلِحَّة، مما يجعل الأمر يستحقُّ المحاولة.

- أبي، هل يمكنني الحصول على بعض المال؟

يتصرَّف كأنَّني صفعتُه على وجهه بكرباج موجـع، يسـود الصَّـمت. حـين نذكر المال، يتغيَّر حال أبي، يصير حزينًا، جريحًا، مرهف المشـاعر، قلقًـا. كأنَّـه يريد قول شيء مهمٍّ عن المال. شيء مثل الحقيقة المُطلَقـة للأمـوال، لكنـه لا يجد الكلمات الصَّحيحة، أو لا يعرف تحديدًا ماذا يريد أنْ يقول. تعلو وجهه تعبيرات غريبة ويغلق عينيْه ويفتحهما كثيرًا، كأنَّه سـيبكي. ثـم يمسـك يـدي وتبدأ اللعبة التي طالما تدربنا عليها. يمدُّ ذراعه في الهواء فأضع كفّي في يده. يضمُّ يدي ويدير عينيْه كأنَّه يفكر، كأنَّه يـعصر ذهنـه، أحيانًـا يحـدث ذلـك خلال مشاهدته للتليفزيون، فيفعّص يدي بينما يحدِّق في التليفزيون. أحيانًا يطول الأمر وأشعر كأنَّ العمر كلَّه يمرُّ. يستغرق الأمر دقائق، إلّا أنَّهـا تمـرُّ في صمت واضطراب. في الأغلب يستمرُّ الأمـر حتّـى أكـرِّر طلبـي. بنغمـة أكـثر غرابة.

- هل يمكنني الحصول على بعض المال؟

يُحرِّك رأسه كأنَّ الحزن قد تمكَّن منه، ويقول دون النظر إليَّ:

- المال.

ثم يفكر في صمت.

- ماذا ستفعل بالمال؟

أشعر بالتوتُّر يملأ قلبي، أبتلع ريقي.

- لشراء كروت "البانك".

- هاه؟

كان الأمر شديد الغرابة بالنِّسبة له، لدرجة أنَّه يجد صعوبة في تكرار الكلمة.

- كروت "بانك"؟

كانت هذه طريقته للتَّعبير عن تفاهة الطَّلب. لم تحمل الكمات أيَّ معنى حقيقيٍّ له. كأنَّني قلتُ "رامالالا".

- ألم أعطِك المال بالأمس؟

- إممم.. كّلا.

- إذًا أخبرْني، متى أعطيتك المال آخر مرة؟

- يوم السَّبت الماضي.

- السَّبت؟

- بالتّأكيد، كنتُ ذاهبًا إلى السّينما.

- والآن تريد المزيد؟

تكرَّر هذا المشهد كثيرًا. يشاهد التليفزيون وهو يفعص يدي، فأقف إلى جواره محرجًا. يشدُّ أحيانًا قبضته فتؤلمني. وأحيانًا تزداد قوة القبضة مع المبلغ المطلوب، كما تزداد صعوبة النقاش معه. لقد بكى بالفعل في بعض المرّات، كان للمال قيمة عاطفيَّة حقيقيَّة بالنِّسبة له.

سرعان ما أدركتُ ضرورة الحصول على وظيفة للحصول على مال خاصٍّ بي. لم أعد أتحمل تلك الدّراما التي يثيرها أبي. عليَّ الحصول على دخل لشراء كروت "البانك" والسَّجائر وغيره. وربما كذلك أدخل متجرًا وأشتري كوكا وأقضي وقتًا لطيفًا. لكن لم تكن هناك فرص كثيرة للصِّبية الصغار. في البداية، حاولتُ بيع الجرائد وبدأتُ بـ"ذا ديلي سين". اتجهتُ إلى "فيرهولت" وحصلتُ على حقيبة زرقاء بها جرائد. ثُمَّ اتَّجهتُ إلى

المدينة وحاولتُ بيعها. لكن سرعان ما اكتشفتُ أنَّني بائع فاشل. خجلي وانطوائيتي زادت الأمر صعوبة. ربَّما وجد الناس غرابة في بيع أحد جمهور "البانك" مجلة "سين". جميع الصِّبية الذين يبيعون الجرائد يبدون مهذَّبين وطبيعيّين. يبيعون كلَّ ما يحملون ثم يعودون إلى "فيرهولت" لإعادة ملء حقائبهم. لكنَّني لا أشبههم. وجدتُ التجارة أمرًا غريبًا وغير مريح. حاولتُ فرضَ نفسي على النّاس وعرض الجريدة عليهم، لكن هذا لم يُجدِ نفعًا. لم يرغبوا في الشّراء منّي. بعضهم يخبرني أنَّهم اشتروها من صبيٍّ آخر بالفعل. ثم سرتُ إلى وسط المدينة، حيثُ المزيد من النّاس، لكن هناك المزيد من المنافسة كذلك. هناك الكثير من بائعي الجرائد، بعضهم أكبر مني سنًّا، يقفون على السّلالم أو في الطَّريق، يحملون على كتفهم حقيبة أو ربما اثنتيْن من الجرائد، ويهتفون:

- "دايلي سين" "دايلي سين"!

هناك بعض البائعين الخبثاء الذين يهتفون بأشياء من الصَّفحة الأولى:

- "سقوط الحكومة"!

- اقرأ عنه في "ذا دايلي سين".

لم تكن لديَّ الشجاعة للصّراخ هكذا، فكنتُ أنتظر اقتراب أحدهم منّي وأسأله:

- هل تشتري "سين"؟

لاحظَني الصِّبية الأكبر فاقترَبوا منّي:

- انصرف، لا يمكنك التواجد هنا.

قلتُ معترِضًا:

- يمكنني التواجد هنا، أنا أبيع هنا.

- كلّا، هذه مساحة خاصَّة. انصرف.

سحبني أحدهم من رقبتي، وألقى بي بعيدًا.

- ارحل أيُّها الأحمق!

حاولتُ إيجاد منطقة لا يقفون فيها، لكن اتَّضح أنَّه لا يوجد الكثير من النّاس هناك كذلك. تسكَّعتُ هناك وحاولت عدم اعتراض طريق أحد الباعة الآخرين، خاصَّة "أولي". "أولي" مختل عقليًّا، بائع جرائد مخضرم ويمكنه التحوُّل إلى شخص شرّير. رأيتُه كثيرًا يهاجم أحدهم لأنَّه حاول بيع الجرائد بالقرب منه. حتّى "البانك" يخشون "أولي" بائع الجرائد. بعد الكثير من السَّير مع الجرائد، فقدتُ الأمل وعدتُ إلى "فيرهولت" بحقيبة مليئة بالجرائد. لم أبِع حتّى واحدة. كان من الواضح أنَّني لا أملك مستقبلًا لي في تلك الوظيفة. لم أعُد إلى هناك. كان أمرًا مخزيًا.

بعدها قابلتُ صبيًّا يبيع تذاكر يانصيب الصَّليب الأحمر، بدا الأمر مربحًا. كان الجيل الأول من تلك التَّذاكر، أبناء كارت "الخربشة". كانت مجرَّد ورقة مُطبَّقة عدة مرات ومربوطة عند أحد الأطراف. تشتريها وتفتح الطَّرف ثُمَّ تمزّق الورقة فتجد عادة: "عذرًا لستُ بفائز"، "شكرًا لدعم الصَّليب الأحمر".

كانت هذه فرصة جيِّدة. وقال الصَّبيُّ إنَّها أكثر ربحًا من الجرائد. كما أنَّها أسهل؛ أوَّلًا، الورقة أخفُّ وزنًا من الجريدة. ثانيًا، يمكنك بيع تذاكر اليانصيب تلك، بينما بيع تذاكر اليانصيب التقليديَّة ممنوع، لأنَّ لتلك هدفًا خيريًّا.

فهي تدعم نشاطًا خيريًّا إلى جانب الحصول على الرِّبح! شعرتُ على الفور أنَّني سأكون بائع تذاكر أفضل منّي بائع جرائد، فأخذتُ العنوان من الصَّبيِّ وذهبتُ إلى "فوفوجس" للتحدُّث مع سيدة ما مسؤولة عن تلك

الأمور، فأعطتْني 100 تذكرة كبداية. أخذتُها واتَّجهتُ إلى أحد المنازل، نقرتُ الباب وقلتُ:

- هل يمكنني عرض عليكم شراء تذاكر يانصيب من "الصَّليب الأحمر"؟

على خلاف الجرائد، اشترى النّاس مني التَّذاكر بالفعل! حاولتُ بشدة أنْ أبدو مسكينًا ومثيرًا للشَّفقة لإثارة عطفهم. كنتُ طفلًا صغير الحجم، ذا شعر أحمر، ونظّارات، من المؤكَّد أنَّني غريب المنظر. ظنَّ البعض أنَّني تابع للصَّليب الأحمر، أو أنَّني أحصل على الدَّعم منهم. لم يكن يمكنهم الرَّفض، على عكس الحال مع "سين".

سار الأمر بشكل جيِّد، وحصلتُ على نسبة على بيع كلِّ تذكرة. شعرتُ أنه عمل جيِّد لي. للمرَّة الأولى في حياتي حصلتُ على مال خاصٍّ بي، أصبح لديَّ دخْلٌ. بعد بيع الكميَّة الأولى، ذهبتُ إلى متجر "إنجاسكيلي" في زاوية "أوسلاند" و"بوستاوفيجور". اشتريتُ كولا وبعض العرقسوس وبعض اللّبان، ثُمَّ اشتريتُ كروت "البانك" وكذلك علبة من أكياس المشروبات الغازيَّة البودرة. لكنَّ أبي بدأ في النَّحيب عندما رآني أنفق الأموال على تلك الأشياء. لم أهتمّ، هذا المال خاصٌّ بي، عملتُ وحصلتُ عليه بنفسي وسأتحكَّم فيه كما أشاء.

لم يكن نجاحي في بيع تذاكر الصَّليب الأحمر متوقَّعًا؛ أصبحتُ أنجح مندوب مبيعات. سرعانَ ما أصبحتُ أحمل صندوقًا كاملًا يحوي ألف تذكرة، وأبيعه بالكامل دون تأخير. شعرتُ أنَّ تذاكر الصَّليب الأحمر فكرة لامعة، وتحمَّستُ لها، فمن حين لآخر كنتُ أشترى تذكرة لنفسي. كانت التَّذاكر تُوضع مُرتبة في الصندوق رأسيًّا، والأطراف ظاهرة في الأعلى. حين أمرِّر يدي عليها، أشعر أنَّني سأجد التَّذكرة الفائزة، وأتخيَّل أنَّها لا تشبه

البقيَّة. لكنَّني لم أحصل على جائزة أبـدًا، مهـما كـان الشُّـعور الـدّاخليُّ قويًّـا ومُهمًّا صرختْ بي التذكرة "اشترِني اشترِني". حـين أفتحهـا أجـد "عـذرًا، لسـت بفـائز!". فحصـتُ التَّـذاكر جميعًـا جيِّـدًا لأرى إنْ كـان هنـاك اخـتلاف بـين التَّذاكر الرّابحة وغير الرّابحـة. كانـت تـذاكر بدائيَّـة للخـدش، مفتوحـة مـن الطرف لكن مهما حاولتَ التَّلصُّص فلن ترى شيئًا. ثم فكَّـرتُ إنْ كـان يمكـن اختراقها ببصري. ذهبتُ إلى الخزانة حيث يحتفظون باللَّمبات وأخـذت لمبـة شمعدان 75 وات، أخذتُها إلى غرفتي. رفعتُ التَّذاكر أمام اللَّمبة، لم يكن من السَّهل الرؤية، لكنَّني تمكَّنتُ مـن تمييـز الشَّـكل الخـارجيِّ للحـروف. هنـاك فرق كبـير بـين "عـذرًا، لسـت بفـائز!" وبـين "مـبروك، لقـد ربحـتَ صـندوق شيكولاتة من "نوا سيريوس"، بعد هذا أصبحتُ أفحص كلَّ التَّذاكر ووجـدتُ بعض التَّذاكر الرّابحة. لم يكن هناك هدايا مُجزية، معظمها صناديق حلـوى. لكن مع الوقت حصلتُ على بعض الهدايا الغريبـة مثـل "عقـدة السّـحب"، وهو حبل لجذب السَّيارات. كان حـبلًا برتقـاليَّ اللـون في أنبـوب وعنـد كـلِّ طرف يمكنك تركيب خُطّاف حديديٍّ، حين تتركه يدخل في أنبوبة مرة أخرى. تلك أداة عمليَّة ومن المُهمِّ الاحتفـاظ بهـا في شـنطة السَّـيارة. كنـتُ أذهـب لاستلام الجوائز مـن إدارة الصَّـليب الأحمـر بشـكل متكـرِّر، لم يعرفـوا أنَّنـي مندوب مبيعات، ظنّوني صـبيًّا محظوظًـا يـدعم الصَّـليب الأحمـر. أصـبحتُ مندوب المبيعات الأول؛ أصبح بيع تـذاكر اليانصـيب حرفتـي. حصـلتُ عـلى طاولة للبيع في "جلايسيباي" في الكريسماس. طاولة بيـع خاصَّـة بي. جلسـتُ بأريحيَّة إلى جانب شعار الصَّليب الأحمر وبعتُ التَّذاكر غـير الرّابحـة، التـي فحصتُها تحت الضوء بالفعل.

- هل يمكنني عرض بعض تذاكر يانصيب الصَّليب الأحمر عليكم؟

- أجل، أجل.

تحمَّس النّاس للأمر.

فتح معظمهم التَّذاكر أمامي، لم يربح أحد. لم يربح أحد على الإطلاق. لم أكن شخصًا على خُلق، فلم أجد عيبًا في الأمر. لم أشعر بالذَّنب لأنَّ التَّذاكر لم تكن باهظة الثَّمن، ولم يغضب أحد لعدم الربح. كانوا يجدون الأمر مسليًا فحسب.

- إممم.. تذاكر الصَّليب الأحمر؟ اسمع، سأشتري ثلاثًا وسأربح.

يضحك كلانا. فنحن نعلم أنَّ أحدًا لن يربح.

- اسمع، كان هذا سوء حظٍّ، سأشتري ثلاث تذاكر أخرى وسأربح. فأبتسم مشجعًا.

في الكريسماس، قدَّمتُ لأبي وأمّي وأفراد عائلتي هدايا رائعة، للمرَّة الأولى. ادَّعيتُ أنَّني اشتريتُ الهدايا بالأموال التي ربحتُها من عملي كمندوب مبيعات، لكنَّها كانت هي الهدايا التي حصلتُ عليها من التَّذاكر الرابحة. حصلتْ أمّي على علبة شيكولاتة نرويجيَّة، وأعطيتُ أبي "عقدة السحب"، وحصلتْ كلٌّ من الخالة "آنا" والخالة "سالا" على علبة شيكولاتة. فرح الجميع وفوجئوا لأنَّ أحدًا لم يحصل على هديَّة كريسماس منّي من قبل.

حينما يجد الرَّجل فرصة للغش، عليه إبقاء الأمر سرًّا، رغم أنَّ إخبار الجميع باكتشافك ثغرة في النِّظام أمر مُغرٍ. ليس كنوع من التَّفاخر، بل لمشاركة الجميع الاكتشاف، وأيضًا للتَّفاخر باحترافي في الكشف على التَّذاكر. شاركتُ السِّرَّ مع بعض مندوبي المبيعات الآخرين وعلَّمتُهم التَّمييز بين التَّذاكر الخاسرة والرّابحة. عرف اثنان، حينها عرف الجميع.

حين ذهبتُ إلى "فوسفوجر" للحصول على المزيد من التَّذاكر، لم تكن السَّيِّدة مرحة أو متحمِّسة كما هي العادة. وبدلًا من إعطائي صندوقًا طلبتْ مني الجلوس معها في المطبخ. أصابني الشك فورًا أنَّها كشفَتْ أمري، وأنَّ أحدهم أخبرها.

عقدتْ ذراعيْها ونظرَتْ إليَّ بحِدَّة.

- هل حقًّا كنتَ تفحص التَّذاكر تحت الضَّوء؟

مثَّلتُ الدَّهشة، وادَّعيتُ أنَّني لا أعرف عمّ تتحدَّث. بدا الأمر كأنَّني متعجِّب من أنْ يفكِّر أحدهم بهذا الخبث.

- كلّا، مَن قال هذا؟

- أخبروني أنَّك تتفحَّص التَّذاكر؛ فتتمكَّن من رؤية التَّذاكر الفائزة.

ظللتُ متفاجئًا. كيف يمكن لأحدهم أنْ يكون بهذا الجنون؟ وكيف يمكنهم التَّصرُّف بهذه الوقاحة واتِّهامي؟ أنا مندوب المبيعات الأوَّل. لم تكن هذه سوى شائعات مُغرضة! هززتُ رأسي نفيًا.

- كلّا، لا أظنُّ هذا ممكنًا.

- وأنا أيضًا.

ظنَّتْ أنَّ الأمر غير منطقيٍّ بالفعل. ربَّما لم تصدِّق مَن أخبرها. كان من المنطقيِّ إقناعها أنَّ مَن أخبرها بهذا يغار من عملي الناجح، ومجهودي المتميِّز.

- مَن قال إنَّ الأمر ممكن؟

- لا يهمُّ.

- أجل، لم أجرِّب الأمر قَطُّ.

تظاهرتُ بالبراءة.

- لا أظنُّ الأمر ممكنًا.

- حسنًا، لا يهمُّ الأمر.

فقلتُ بحماس:

- حسنًا! أريد الحصول على المزيد من التَّذاكر.

تردَّدتُ.

- لكنَّ الكثيرين يبيعون التذاكر الآن، ولم يتبقَ لديَّ ما أعطيه لك، شكرًا لك، يمكنك المجيء للتحدُّث معي الشِّتاء المُقبل.

هاه؟ الشتاء المُقبل؟ هل تقوم بفصلي؟ هكذا فُصلتُ من وظيفتي الأولى، وهو أمر تكرَّر كثيراً لاحقًا. كانت تلك أوَّل وظيفة من عدد كبير من الوظائف التي أُفصل منها. أصبحتُ عاطلًا وعاجزًا عن شراء سجائري واحتياجاتي مرَّة أخرى. لقد دفعتُ ثمن النَّصيحة الجيدة التي قدَّمتُها لهم.



الفتيات وأقراص الدوار



انتشرتْ شائعات بـأنَّ جميـع الصِّـبية والفتيـات في "هليمـور" يتعـاطون المخدِّرات. كان هذا ادعـاءً مسـتفزًّا؛ نظـرًا لقلَّـة المخـدِّرات المتاحـة. لم يكـن هناك إلّا المعتاد؛ الصَّمغ، والغاز، وأقلام الماركر. نادرًا مـا تحصـل عـلى نَفَـسٍ من سـيجارة حشـيش. لكـنَّ أقـراص دوار السَّـفر كانـت أحـد الأشـياء التـي نستخدمها كثيرًا. تُباع في الصَّيدليّات لكنَّهم لن يعطوك أكثر من عشرة أقراص في المرَّة الواحدة. فتدخل الصيدليَّة وتخبرهم أنك تعـاني دوارًا بسـبب حركـة السَّيارة، وتطلب العلاج. فيقدِّمون لك البعض، وتـذهب إلى صـيدليَّة أخـرى لتكرّر الخدعة.

- مرحبًا، أنا ذاهب في رحلة... مع أبي... إلى "باتريكيفورور"، وتسبِّب لي السَّيارة دوارًا، لكنَّ أحد الصِّبية أخبرني بتواجُد أقراص لعلاج هذا.

- أجل أجل، توجد أقراص لذلك. تفضَّل أقراص دوار البحر والسَّيارة.

- آه، حسنًا.

هكذا تحصل على عشرين قرصًا، عدد كافٍ لجعلها مخدِّرًا. ابتلِع عشرة أو خمسة عشر فتحدُث الأعراض؛ هلاوس سمعيَّة وبصريَّة قويَّة، وشعور غريب.

كنتُ مهتمًّا بالفتيات، مثل معظم الصِّبية، لكنّي كنتُ أخشاهنَّ؛ الفتيات كائناتٌ غامضة، تفكِّر وتتصرَّف وفق قوانين غير منطقيَّة. كما أدركتُ أنَّ الفتيات لا يهتممنَ بي مطلقًا. أجريتُ بعض المحادثات مع بعضهنَّ، لكنَّها كانت محادثات غريبة. أحيانًا تجلس إحدى الفتيات إلى جانبي في "بوستاوير"، تسألني بضعة أسئلة عنّي، فيما أفكِّر وماذا أحبُّ. يزدحم عقلي. لماذا تسألني؟ هل طلب منها أحدهم القيام بهذا؟ أمْ أصابها الفضول؟

في إحدى المرات، جاء إليَّ صبيٌّ وأخبرني أنَّ هناك فتاتيْن تطلبان منه دعوتي إلى الانضمام إليهما، بينما تقومان بمجالسة أطفال صغار، وأنَّ ذلك سيسعدهما. أبهرني الأمر. لم يكن هذا الصبيُّ أخرق، لم نكن أصدقاء، لكنه صبيٌّ مهذَّب، ساعدني في عدة مواقف اضُطهدتُ فيها.

سألتُه بحذر:

- لماذا تريدان انضمامي إليهما؟

- أظنُّ أنَّ إحداهما معجبة بك.

معجبة بي؟ كيف يمكن لفتاة أنْ تُعجب بي؟ مَن تفعل ذلك؟ كان الأمر مثيرًا للاهتمام. كانت فكرة لقائهما شيِّقة لكنَّها مرعبة في الوقت ذاته. ماذا على المرء فعله؟ ماذا تتوقَّع مني؟ هل سنحضّر الفشار ونلعب لعبة؟ أو

ربما نستمع إلى الموسيقى ونتبادل القبلات؟ لم أقبِّل فتاة من قبل، لكنَّني رأيت صبية وفتيات يقبلون بعضهم من قبل. كنتُ مستعدًّا للأمر إنْ كان هذا ما تريده، كما يمكنني تحضير الفشار أيضًا. لكن فيمَ تتحدَّثُ مع فتاة؟ لم أحبُّ التحدُّث إلى الفتيات، إنَّ أيَّ فتاة تتحدَّث في الأغلب عن أمور مملَّة وتافهة. لم أقابل فتاة مهتمة بالفوضويَّة. لكنَّني سأرحب بالتحدُّث في أيِّ موضوع، إنْ كنت سأتمكَّن من تقبيلها. كلَّما فكَّرتُ في الأمر أصابني التَّوتُّر. سيفشل الأمر بالتَّأكيد. سأتوتَّر وأقول شيئًا تجده غريبًا. ربَّما ستسخران منّي. في الأفلام، يكون الصَّبيُّ والفتاة يقومان بشيء ما ثم فجأة تأتي القبلة. لم أكن أعرف كيف يبدأ الأمر. أليس من المنطقيِّ أنْ تسأل الآخر إنْ أردتَ تقبيله؟ لكن "هل يمكنني تقبيلك؟" تبدو مملة. "هل يمكنني تقبيلك ولمس نهديْك؟" إنَّها أسوأ!

مع مرور الأيام واقتراب الليلة الموعودة، ازداد اضطرابي وقلقي. قررتُ شراء بعض أقراص الدّوار حتّى أصبح مسترخيًا. تناولتُ في تلك الليلة جرعة صغيرة، كافية فقط لبعض الهلاوس. حين أصبح في تلك الحالة، أجد النّاس أكثر أريحيَّة ومرحًا. لم تعرف الفتاتان أنَّني تعاطيتُ الأقراص، فظنَّتا أنَّني مرح وظريف. كانت الأقراص تجعلني شجاعًا وهادئًا. لن أجد صعوبة فيما يتعلَّق بالقُبلة، ستأتي بتلقائيَّة ما دمتُ تحت تأثير الأقراص. قابلتُ صديقي في المتجر بعد أنْ تناولتُ المزيد من الأقراص، وأحضرتُ المزيد معي للاحتياط، وربَّما أراد الآخرون تناول البعض كذلك.

وصلْنا إلى المنزل، ودعتنا الفتاتان للدخول، كان الأطفال نائمين بالفعل. جلسْنا في غرفة المعيشة ندردش. كنتُ أعرفهما من "ريتو"، لم

تكونا فتاتيْن مـن هـواة "الديسـكو" الغربـاء، كانتـا تقليـديتيْن. تحـدَّثْنا عـن المعلِّمـين وكـم هـم أغبيـاء. لم أشـعر أنَّ الأقـراص تُحـدِث الفعـل المطلـوب. الغريب أنَّ الفتاة المعجبة بي كانت تنظر إليَّ، كان أمرًا مريحًا وغير مـريح في الوقت ذاته. تتفحَّصني. سألتْني بعض الأسئلة وحاولتُ الإجابة. هـل ترغـب في تقبيلي؟ هل عليَّ البدء؟ هل على الصبيِّ البدء دائمًا؟ تسـاءلتُ داخـلي إنْ كان عليَّ تقبيلها لكنَّها كانت تتحدَّث. ماذا ستفعل إنْ حاولتُ تقبيلها؟ هـل ستغضب؟ بدأ القلق يتمكَّن منّي فاستأذنتُ. دخلتُ الحمّام وفكَّـرتُ قلـيلًا، قرَّرتُ تناوُل المزيد من الأقراص لمجاراة الأمور. رأيتُ الفتاة الأخـرى والصـبيَّ يتبادلان قبلة على الكنبة الأخرى، وفتاتي تنتظر، وتنظر إليَّ بتساؤل. جلسـتُ بجانبها.

سألتْني:

- هل كلُّ شيء على ما يُرام؟

أجبتُ بغرابة:

- بالتَّأكيد.

زاد الحـماس. اقتربَـت القبلـة. اختلسـتُ النَّظـر للفتـاة والصـبيِّ، كانـا متعانقيْن على الأريكة، يتبادلان القبلات باستخدام ألسنتهما. كيف بدأ الأمر؟ لم يكن عليَّ الذهاب إلى الحمّام. فجأة بدأت الهـلاوس. كـان أحـدهم خلـف السِّتارة يهمس لي ولكنَّني لم أفسِّر الكلمات.

- "جون"!

ضحكتُ. سألتْني:

- ما الأمر؟

- لا شيء. إنه "سيجي" "البانك" فحسب.

تفاجأتْ هي:

- ماذا؟

كان "سيجي" "البانك" يقف خلف السِّتارة ويهمس لي، الغرفة تتحرَّك، والأثاث يتحرَّك إلى الأمام والخلف. نظرتُ إلى الفتاة بغرابة. أكاد أفسد الأمر. فجأة حلَّ السَّواد.

فجأة، أصبحتُ في مطبخنا بالمنزل. و"آدم أنت" يجلس على طاولة المطبخ يسند ذقنه بيده وينظر إليَّ. لكن أمّي لا تراه.

سألتُ بتعجُّب:

- "آدم أنت"؟

ضحك. ثم صاح فيّ "انهض، وقل!". بدأتُ أضحك، لكنَّ أمّي لم تجد الأمر مضحكًا.

- أيَّ نوع من الأقراص تعاطيتَ؟

- ماذا؟ لم أتناول أيَّ أقراص.

اختفى "آدم أنت" وظهر شخص آخر وهمس لي. تحاول أمّي التحدُّث إليَّ لكنَّني لا أسمعها من بين الهمس. يصيب أمّي القلق. فتتحرك أرضيَّة الغرفة. تقف أمّي وتذهب إلى التليفون وتقول شيئًا. يوجد ثلاثة أشخاص في الغرفة، من المؤكد أنَّهم أصدقاء أمي. قلتُ لهم:

- مرحبًا.

لا ردَّ! اختفى "آدم أنت" لكن "سيكس بيستولس" يقفون بالخارج وينظرون إليَّ عبر النافذة. كم من الرائع حضورهم.

غمزتُ لهم وقلتُ:

- مرحبًا.

كنتُ منهَكًا وأردتُ الذهاب للنَّوم، مـن المؤكَّـد أنَّنـي خـدعتُ أمّـي ولم تكتشف أمري. أحتاج فقط للحذر من حركة الأرض، حتّى لا أقع مع تمايُلها. حين عادت أمّي قلتُ بثقة:

- تصبحين على خير يا أمّي. سأخلد للنَّوم الآن.

هل سمعتْ أمّي ما قلتُ؟ ماذا قلتُ؟ هل أخبرتُها أنَّنـي متَّجـه للنَّـوم أمْ أنَّني نائم؟ كرَّرتُ كلماتي من باب الاحتياط.

- حسنًا يا أمّي سأخلد للنوم، تصبحين على خير يا أمّي.

تجهَّزتُ للرحيل، وقمتُ بالحساب في رأسي حتّى أتمكَّن مـن التحـرُّك مـع تغيُّر زاوية الأرض والوصول إلى غرفتي بشكل طبيعيٍّ قدْر الإمكان. تحرَّكـتُ، إلّا أنَّني نسيتُ أنْ أقـف فوقعـتُ هنـاك، عـلى وجهـي. اللعنـة عليـكِ أيَّتهـا الأرض غير المستقرَّة. أخطأتُ الحساب ولم أعد قادرًا على الوقوف. كان الأمـر هزليًّا فعدتُ أضحك مرَّة أخرى. قبـل أنْ أدرك الأمـر، وجـدُتني جالسًـا عـلى المقعد الخلفيِّ في السَّيارة، وأبي في الأمام يقود. ما أتذكَّره بعد ذلك أنَّ بعـض الأشخاص كانوا يركضون إلى جانب السَّيارة. ربما كانوا بضعة صـبية يحـاولون اللِّحاق بالسَّيارة، لكنَّ هذا غريب، لأنَّ الوقـت كـان متـأخِّرًا. كـان كـلُّ شيء مرحًا ومبهرًا؛ وبدأتُ في الضّحك.

في الصِّباح التّالي، استيقظتُ في العناية المركَّزة في مستشفى المدينـة. كـان أحدهم يتسلَّل إلى داخل الغرفـة. همـس. لم أفهـم. تسـلَّلت الأشـباح ذهابًـا وإيابًا. مجرَّد همس.

- هاه؟ ماذا تقولون؟ لا أسمعكم.

تحرَّكت الغرفة إلى الأمام والخلف. لفَّتْ في دوائر. شعرتُ بالدّوار. اقترب منّي طبيب فوخزته لأتأكد أنَّه حقيقيٌّ، وقد كان! لكنَّني لم أفهمـه ووجـدتُ صعوبة في تمييز حديثه بين كلِّ الأصوات الأخرى.

- ما اسمك؟

- "جون".. "جونسي البانك".

أمسَك بيدي.

- هل تعرف في أيِّ عام نحن يا "جون"؟

أعرف ذلك.

- 198..

لم أتذكَّر

أكملتُ ضاحكًا:

- رقم ما..

حين استيقظتُ مجدَّدًا، كان الظَّلام قد حلَّ. زالت الهلاوس. ماذا حـدث؟ ماذا أفعل هنا؟ فكرتُ بـ"تن تن". هل لديهم "تن تن" هنـا؟ أتـت الممرِّضـة وسألتْ عن حالي.

- بخير. هل لديكم كتب "تن تن" هنا؟

لم تُجِب. وسمحتُ لعينيَّ بالإغلاق. ملايين من صور "تن تن" مـرَّت أمـام عينيَّ المغلقتيْن. بالكـاد سـمعتُ الممرِّضـات، يـأتينَ ويـرحلنَ، يقسـنَ ضـغط دمي، يخبرنني بشيء ما، ثـم يـرحلنَ. حاولـتُ فـتح عينـيَّ لكنَّنـي لم أتمكَّـن؛ جفناي في ثقل الدَّبّابة!

- هل تعرف أين أنت يا "جون"؟

- في المستشفى.

- أنت في العناية المركزة، في مستشفى المدينة. أتيتَ إلى هنا مع والدك بالأمس، هل تذكر؟

قلتُ:

- بالتأكيد.

رغم أنَّني لم أكن أتذكَّر.

- لقد تناولتَ الكثير من الأقراص، ولقد سحبناها خارج جسدك.

- سحبوها خارج جسدي؟ لا أذكر ذلك. كيف فعلوا ذلك؟

- أعطيناك بعض الأدوية لتُعادل تركيز ذلك السُّمِّ الذي تناولتَه.

- حسنًا.

- أيَّ نوع من الأقراص تناولتَ؟

- أقراص الدّوار.

- أقراص الدّوار، حسنًا.

- هل تظنُّ أنَّ أحدهم هنا مع "تن تن"؟

استمرَّ تأثير الأقراص حتّى هذا المساء. أعطوني مهدئًا، أضاف شعورًا جيِّدًا. استمرَّ "تن تن" في ملاحقتي. حاولتُ إقناع الممرِّضات بالتحدُّث عن "تن تن" أو قراءة كتبه. أخبرتهنَّ عن مغامرة "تن تن" المُفضَّلة لديَّ، وأخبرنَني عن المغامرات المُفضَّلة بالنِّسبة لهنَّ. هكذا، عندما تحوَّل الحديث إلى أصدقاء "تن تن": "تومسون" و"تومبسون"، لم أتمكَّن من منع نفسي عن الضّحك. كان السَّرير الذي أستلقي عليه يقف على عجلات، أتى أحدهم وقال لي شيئًا ثُمَّ نُقلتُ إلى غرفة أخرى. كان بالغرفة خزانة، مثل جميع غرف المستشفى، عندما أصبحتُ وحيدًا في الغرفة، تسلَّلتُ من سريري إلى الخزانة، كوَّرْتُ جسدي ودخلتُ في الخزانة. أغلقتُ الخزانة عليَّ. أصبحتْ

سفينة فضاء. أمْ كان هذا جزءًا من هرائي؟ ربَّما أنا مجرَّد أحمق يجلس داخل خزانـة. سـمعتُ صـوت الكـابتن "هـادوك". "مائـة ألـف نظّـارة مُشـتعلة". انطلقَت الخزانة إلى الفضاء. شعرتُ بالحركة. نمتُ. الفضاء براح لا نهاية لـه. أتى أحدهم وفتح الخزانة. تنفَّستُ. وضعَني أحدهم في السرير وأعطاني دواءً ما.

استيقظتُ في الصَّباح التّالي فوجدتُ نفسي في غرفـة جديـدة. نزلـتُ عـن السَّرير وفتحتُ الباب وخرجتُ إلى البهو. تذكَّرتُ قليلًا مـمّا حـدث. شـعرتُ بالخوف. ماذا حدث؟ اقتربَت طبيبة أو ممرِّضة مني.

- كيف تشعر؟

- بخير. هل أنا في مستشفى؟

- عُد إلى السَّرير.

- أين أنا؟

- لقد تمَّ إحضارك إلى هنـا ليلـة أمـس. أنـت في قسـم أ٢. وهـو القسـم النَّفسيُّ بمستشفى المدينة.

تابعتني إلى الغرفة. القسم النفسيّ؟ هل هذا حقيقـيٌّ؟ هـل سيرسـلونني إلى "كليب"؟ حين ذهبَت هي، تسلَّلتُ ووصلتُ إلى الموظَّف.

- هل يمكنني إجراء مكالمة تليفونيَّة؟

حين سمح لي، اتصَّلتُ بـ"ألي". كنتُ أعرف أنَّ لديه كتُبَ "تن تن".

- مرحبًا، أنا "جون".

- مرحبًا.

- هلّا أحضرت لي كتُب "تن تن" الخاصَّة بك؟

- كتُبَ "تن تن"؟ لماذا؟

- لأنَّني في عنبر الأمراض العقليَّة.

- أنت في عنبر الأمراض العقليَّة؟

- أجـل، هـل سـتحضر الكتـب إلى عنـبر الأمـراض النفسـيَّة والعقليَّـة في مستشفى المدينة؟

ودَّعتُه، وعدتُ إلى غرفتي. بالفعل، أحضر الكتب وجاء.

- ماذا حدث لك؟

- لا أعلم. لقد تناولتُ أقراص الدّوار.

- لكن لماذا أنت هنا؟

- لا أعلم. أريد قراءة "تن تن" فحسب.

- حسنًا.

اخترتُ "الجزيرة السَّوداء" وبدأتُ في القراءة. جلس "ألي" معـي لـدقائق، ثم وقف وودَّعني.

- إلى اللِّقاء.

قلتُ، دون النَّظر إليه:

- إلى اللِّقاء.

لاحقًا في اليوم نفسه، أتت أمـي. تفاجـأتُ بأنَّهـا غـير غاضـبة. بـل بـدَتْ سعيدة، وقالت ببساطة:

- أشعر بالامتنان لأنَّك بخير فحسـب. يجـب ألّا تفعـل ذلـك مجـدَّدًا يـا طفلي العزيز.

- لن أفعل.

لم نحتج إلى مناقشة الأمر. لن أفعل ذلك ثانية.

- سأقرأ "تن تن" وحسب.

داعبَتْ شَعري، ثُمَّ جلسَتْ إلى جواري في صمت، بينما كنتُ أقـرأ كتـابي. مرَّ عدَّة أيام واستعدتُ اتِّزاني. خرجتُ إلى الحديقة مرّات قليلة وتحدثتُ إلى المرضى. وبعد عدَّة أيام، أتى أبي وأمّي لاصطحابي إلى المنزل. علمتُ فـيما بعـد بما حدث. خرجتُ من حفل مجالسة الأطفـال راكضًـا بشـكل مفـاجئ. عـلى الأغلب بدوتُ غريبًا بشكل ملحوظ، لكنَّهم لم يفهموا ما أصابني. أيقظ أحـد الصِّبية أمّي في منتصف الليل. كان يعرفني ووجدني مستلقيًا أسفل سيارة ما. كان الجوُّ شديد البرودة، لاحظ الصبيُّ أنَّني لستُ بخـير فقـرَّر اصـطحابي إلى منزلي. لم يناقش والديَ الأمر بعدها. لم نتحدَّث عنه قط.



متجر اللَّحم



خلال فترة بيع تذاكر اليانصيب للصَّليب الأحمر، تعرَّفتُ إلى عدد من العاملين في المحال، حين كان لي طاولة للبيع في "جلايسيباي". ولمّا كنتُ مهذّبًا وفتى محبوبًا، فقد قرَّرتُ في ذلك الرَّبيع التحدُّث إلى "جوموندور" مدير المتجر في "جلايسيباي". دردشتُ معه من قبل أثناء بيعي للتذاكر. طلبتُ مشورته بخصوص مكان الطّاولة، فدردشنا. اليوم، قررتُ التحدُّث إليه عن طريقةٍ للحصول على عمل يوفِّر لي بعض المال. رحَّب "جوموندور" وسألني إن كانت لديَّ معرفة باللَّحم المملَّح وهذا النوع من الطَّعام عامَّة. لم أصدِّق! أجبتُ بحماس أنَّني تربَّيتُ على الطَّعام الأيسلنديِّ، وأنَّ أبي من "برايفيروي"، وله برميل في بلكون المنزل يمتلئ بالكِبَد وبودنج الدم، واللَّحم المملح، والمخاصي، وكلّ تلك الأطعمة. كنتُ أعرفها جميعًا جيِّدًا. فحصلتُ على وظيفة على "كاونتر" البيع في "جلايسيباي".

الجزء الأساسيُّ من العمل كان تقطيع اللَّحم، وحَمل الصَّناديق، ومساعدة العاملين بشكل عامٍّ، لكن عليَّ أيضًا الانضمام للمساعدة في البيع وقت اللُّزوم. كنتُ أقوم بذلك بنجاح. قدَّمتُ للزّبائن لحم السُّجق وأرجُل الخراف، وأشياء أخرى بحرفيَّة وترحيب. استنتج الزبائن أنَّني خبير باللَّحم وصاروا يسألونني عن هذا وذاك من أمور طهي اللَّحم، وما ترشيحاتي، وما شابه. لم يكن لديَّ فكرة فكنتُ أقترح أيَّ شيء.

- ماذا ترشِّح لي، لحم الخروف أم الخنزير؟

- الخروف.

لم أكن أعرف. لكنَّهم أخذوا بنصائحي وبدا عليهم الرضا. لم يكن في الأمر مشكلة. هذا ليس امتحانًا. لم يحدُث قط أنْ طلبوا مني ترشيح نوع لحم من بين اثنيْن ثم اشتروهما وذهبوا إلى منازلهم وطهوا اللحم ثُمَّ قارَنوا بينهما وعادوا للشكوى، لذا كان الأمر في غاية البساطة. حين يسألون: ما أفضل نوع لحم سجق؟ أشير إلى أحدها وأقول:

- هذا شهيٌّ ولذيذ.

تحدَّثتُ إلى النّاس. أحببتُ الوظيفة. كان هناك برميل كبير من اللَّحم المملَّح، وعدد من النِّساء تأتي كلَّ يوم لأخذ اللَّحم منه. تعاملتُ مع الأمر بالحرفيَّة ذاتها.

- هل يمكنني الحصول على قطعة من النُّخاع؟

- بالتَّأكيد.

غرستُ الشَّوكة في البرميل، ثم خرجتُ بقطعة ما:

- هذا ليس النُّخاع.

- أجل.. هاها.. لقد اختلط عليَّ الأمر.

ثم أُغرس الشوكة وأخرج بقطعة أخرى، وهكذا حتّى يروا القطعة التي يريدونها فيأخذوها. أُعجب بي "جوموندور"، كنتُ أعمل جاهدًا وأجد الأمر مرحًا، حتّى إنَّني تساءلتُ إنْ كانت تلك وظيفة أرى نفسي فيها في المستقبل. شعرتُ أنَّ الرِّجال الذين يحملون اللَّحم شيقون. رجال أقوياء يرتدون وقاءً ملطَّخًا بالدِّماء دائمًا. ربما يكون لي مستقبل مع تجارة اللَّحم. يمكنني تعلُّم ذلك. أحببتُ طريقة أخذ الرجال لقطع ضخمة وتقطيعها إلى قطع صغيرة منفصِلة. مثل الأرجُل والأفخاذ والنُّخاع. لكن رغم أنَّني حلمتُ بالعمل في مجال بيع اللحم، كنتُ "بانك" وفوضويًّا. هذا مجال طموحي الحقيقيّ.

فكَّرتُ قليلًا في الحصول على قَصَّة شَعر "موهاك". رأيتُ هذا الشَّكل في جريدة "ميلودي ميكر" وقناة "برافو". كان بعض "البانك" يصفِّفون شَعرهم هكذا. مغني فرقة "إيكسبلويتت" على سبيل المثال. كان هناك "بانك" واحد بقَصَّة الشعر تلك في "ريكيافيك" وهو "بارني" من فرقة "ماستوربيشن". كان صديقًا لي. حصل على لقب "بارني الموهاك" لأنَّه جعل من الأمر شيئًا. كانت له قَصَّة عريضة لكنَّني أردتُ واحدة ضيِّقة. مثل مغني "إيكسبلويتت" كانت تلك القَصَّة بمثابة "تمرُّد" ومَن يحصل عليها يصبح "بانك" أكثر. تقول شيئًا عن الشَّخص. إنَّه شجاع، إنه لا يستمع إلى والديْه، إنَّه مستقِلٌّ وله فكرُه الخاصُّ. تمرُّد علني. عرفتُ أنَّ أمّي لن تسمح بالأمر فقررتُ الحصول على القَصَّة دون إخبار أحد، لا الملك ولا القسّ ولا حتّى أمي. تحدَّثتُ إلى "دوري" السَّمين. عرض عليَّ قيامه بقصِّ شَعري بنفسه. كان لدى والده ماكينة حلاقة كهربائيَّة وأمشاط كثيرة، كان يثق في قدرته وتحمَّس كثيرًا. فقرَّرتُ الطَّرق على الحديد وهو

ساخن، طلبتُ منه أنْ يحلق شَعري كله تمامًا، عدا صفًّا واحدًا بالطول في منتصف رأسي.

حلق رأسي بمُقلّم الشَّعر، ثُمَّ كلَّل عمله بوضع كريم الحلاقة على رأسي وحلق البقيَّة بالموس. أُعجبتُ بشدَّة بالنَّتيجة. رأيتُها خطوة جديدة تجاه الاستقلال، سوف تثير إعجاب "بارني" وغيرة من "البانك". مع المعطف الجِلد البلاستيكيِّ الذي اشتريتُه من السّوق المتنقِّل في "كاتافينافيلاج" و شعارات "البانك" ورقبة الكلب. أصبحتُ أخيرًا أشبه "البانك" في "برافو". كما جمعتُ عددًا من بناطيل الجينز الممزَّقة التي تحمل جميعها أسماءً و شعارات فرق "البانك". وفوق ذلك، كان لديَّ حذاء جيش قديم عالي الرَّقبة كنتُ فخورًا جدًّا به. كان عنصرًا مهمًّا في شكل "البانك"، لكنك يجب أنْ ترتدي بنطالك فوق رقبة الحذاء؛ لأنَّك لو وضعتَ طرف البنطال داخله فستصبح مثل النازيين. كما كان هناك معطف جيش أخضر، اشترتْه أمّي مستعمَلًا، وقمت بحفر شعارات "البانك" عليه بشكل عشوائيٍّ. والآن قَصَّة شَعري تُكلِّل مظهري. أصبحتُ مكتملًا، أخيرًا. اخترتُ موعد القصِّ بينما كانت أمّي في "لندن" مع أصدقائها، وكنتُ وحدي بالمنزل مع أبي.

في اليوم التالي، ذهبتُ إلى متجر اللَّحم في "جلايسيباي". بالطَّبع خلعتُ ملابس "البانك" قبل العمل، ارتديتُ الحذاء المطاطيَّ والواقي الأبيض. جذب شَعري انتباهَ العاملين وفضولهم على الفور. تفاجأ الناس وسألوني لِمَ حصلتَ على تلك القصَّة. البعض وجدوه تمرُّدًا، بينما ضحك آخرون. لكن سرعان ما ظهر "جوموندور" على الباب بوجه مضطرب. وقف عند الباب كأنَّه فقد أيَّ تعبير. ابتسمتُ له وقلتُ:

- لقد حصلتُ على "موهاك".

لم يكن سعيدًا بالأمر مثلي، طلب منّي الذّهاب للتَّحدُّث إليه.

- لماذا فعلتَ هذا بشَعرك يا "جون"؟

حاولتُ إخباره عن شكل "البانك" وأنَّها الموضة. وبرَّرتُ موقفي بذكر "البانك" الآخر في "ريكيافيك" الذي يتبنّى قَصَّة الشَّعر نفسها. حتّى أنَّه يُدعى "بارني الموهاك". حاولتُ إفهامه أنَّ الأمر مجرَّد موضة، ليس من ورائه أيُّ مقصد آخر. كان رجلًا كبيرًا ولم يفهم الموضة. كنتُ واثقًا أنَّني سأتمكَّن من الشَّرح له، وطرحتُ أمثلة عدة مثل مُغني "ذا إيكسبلويتت"، و"وندي ويليامز" مُغني "ذا بلاسماتيكس". ظلَّ صامتًا يسمتع لي بلا مبالاة. في النِّهاية صمت. بدا الصَّمتُ مُحرجًا. نظر نحوي كأنَّه يشعر بالرِّثاء لحالي.

- أليس الأمر جيِّدًا؟

- الأمر جيِّد؟

ابتسم بغرابة.

- "جون" ماذا تظنُّ أنَّ السِّيدات كبيرات السِّنِّ اللاتي يشترينَ اللَّحم من هنا، منذ أعوام، سيشعرنَ حين يرونَك أمامهنَّ؟

لم أفكِّر في هذا. هل ستهتمُّ السَّيداتُ؟

- إممم، لا أعرف.

هزَّ رأسه أسفًا ورحل. بعد ذلك تَمَّ استبعادي من مكان البيع. ونُقلتُ إلى الخلف. أساعد الرِّجال في صناعة اللحم. وبعد الغداء تَمَّ نقلي إلى المخزن بالأسفل، حيث أحمل صناديق الموز. في نهاية الأمر، طلب "جوموندور" رؤيتي. أعلن بأسف أنه لم يعُد قادرًا على إبقائي في العمل بسبب شَعري،

وأنَّه مُجبر على إعطاء وظيفتي لشخص آخـر. قـال إنَّ ذلـك يؤسـفه لكنـه لا يستطيع إبقائي في المكان. لم أتوقَّع ذلك! كنتُ أظنُّه رجلًا طيِّبًـا وظننـتُ أنَّـه سيتفهَّم، لكنَّه لم يفهمني على الإطلاق.

- لا تحتاج للمجيء إلى هنا مرة أخرى يا "جون".

كانت تلك خيبة أمل كبيرة! تمَّ فصلي مجـدَّدًا. لقـد اسـتمتعتُ بالعمـل هناك. حتّى إنَّني بدأتُ أتخيَّل مستقبلي هناك. كانت صدمة كبـيرة. رحلـتُ وأنا أبكي. ارتـديتُ مـلابسي "البانـك" وعـدتُ إلى المنـزل. شـعرتُ بالغضـب. ندمتُ عـلى حلاقـة شَـعري وعرفـتُ أن أمّـي ستغضـب. لكنَّنـي شـعرتُ أنَّ "جوموندور" ظالمٌ وغير منطقيٍّ. أصابني الحزن وخيبة الأمل. حين عـدتُ إلى المنزل، كان أبي يستمع للراديو ويشرب الشّاي. كان مزاجه جيِّدًا وقال:

- مرحبًا مرحبًا.. كيف حالك؟

بعد كلِّ الإحباط والتوتُّر، انهرتُ وأخذتُ أبكي. فأخذَتْ أبي المفاجأة.

- ابني العزيز. ما الخطب؟

- لقد فصلوني من متجر اللَّحم في "جلايسيباي".

- ماذا؟ لماذا؟

كانت مفاجأة له.

- بسبب قَصَّة الشَّعر.

نظر أبي إلى شَعري، وبدا أنه لا يرى شيئًا غريبًا:

- بسبب قَصَّة شَعرك؟ ما المشكلة في قَصَّة الشَّعر؟

- يرونها غير مناسبة.

عادة ما يقول أبي ويفعـل أمـورًا غريبـة. كـان في الأغلـب أغـرب شـخص قابلتُه في حياتي. لكن ما فعله حينها كان أغربَ شيء رأيتُه يفعله.

لقد وقف وقال:

- اغسل وجهك، وتعالَ معي.

ثُمَّ ارتدى معطفه وأخذني في السَّيارة إلى مول "سورفر". كان من الواضح أنَّ لديه خطةً، لكنه لم يخبرني عنها. أوقف المحرِّك، وطلب مني الدخول معه. اتَّجه مباشرة إلى صالون التَّجميل. اقتربتْ منا العاملة بدهشة:

- مرحبًا.

- مرحبًا. أليس لديكم باروكة تناسب هذا الطِّفل؟

- أجل. ماذا حدث لشَعرك؟

شرحتُ لها موضوع "الموهاك" و"البانك" وكلَّ شيء. أجلستْني وأتت إليَّ بعدة بواريك على رؤوس بلاستيكيَّة. اختار لي أبي واحدة. كان شَعرًا أحمر كثيفًا ومموَّجًا؛ كان مثل شَعره بالضَّبط.

لم تكن تُشبه شَعري. وضعتُها على رأسي وصفَّفتُها. ابتهج أبي. لكنَّني لم أقتنع. كان سعيدًا حتّى إنَّه ظلَّ يدندن طوال طريق العودة. من المؤكَّد أنَّه شَعر كأنَّه حلَّ المشكلة.

لكن، ربَّما لم تكن فكرة سخيفة؟ ربَّما كان حلًّا عبقريًّا. هكذا يمكنني العمل في متجر اللَّحم، وأنْ أكون "بانك" في الوقت ذاته. سوف أعيد التَّفكير في الأمر. تحسَّنَتْ صورة أبي في نظري. في اليوم التّالي، اتَّجهتُ إلى "جلايسيباي" وكلي أمل وثقة. دخلتُ إلى "جوموندور" والباروكة على رأسي. كان جالسًا على مكتبه فنظر إليَّ:

- مرحبًا. أليس هذا أفضل؟

ولكنَّه نظر نحوي بتعجُّب وحزن.

- "جون" المسكين. كان لديَّ آمال كبيرة فيك.

هكذا انتهَتْ مسيرتي مع بيع اللَّحم.

خلال هذا الرَّبيع كُشف أمري، وعلِموا أنَّني لم أكـن أذهـب إلى المدرسـة ولم أتعلَّم شيئًا. تحدَّثَتْ أمّي إلى مدير المدرسة. ثم سألتْني:

- لماذا لا تذهب إلى المدرسة يا "جون"؟

- أكره المدرسة! أكره المبنى وكل مَن بداخله. المجموعة بأكلمهـا. المـدير المُنفِّر والمعلِّمين البلهاء. الذهاب إلى هناك يُنفِّرني. حين أدخل المدرسة، أشعر بألَم في معدتي. كأنَّني أختنق. وفوق هذا، أكره الأوغاد الـذين يضّـطهدونني ويضربونني. أُفضِّل الموت عن الذّهاب إلى المدرسة. أخاف من المدرسـة أكـثر من أيِّ شيء. شعرتُ كأنَّـه لا يوجـد أيُّ شيء مـن أجـلي في المدرسـة. لم تكـن تعلِّمني شيئًا عن الأمور التي تهمُّني.

تمتمتُ.

- يضايقونني دائمًا.

لم يكن شيء من ذلك مفهومًا لأمّي.

- توقَّف عن التَّحدُّث إلى هؤلاء الصِّبية فحسب.

أتوقَّف عن التَّحدُّث إليهم! لم أتحدَّث إليهم قط. هم يتبعونني. لا أنوي الذّهاب إلى هناك مجدَّدًا.

- لن أذهب إلى تلك المدرسة اللَّعينة أبدًا.

- ماذا ستفعل إذًا؟

أردتُ الابتعاد، إلى أيِّ مكان. بعيدًا عن كلِّ شيء، والبدء من جديد حيث لا يعرفني أحد.

- ألا يمكنني الالتحاق بمدرسة داخليَّة؟

- مدرسة داخليَّة؟

قابلتُ بعض الصِّبية الملتحقين بمدرسة "لاوجارفاتان"، وبدَتْ مكانًا سعيدًا.

- لطالما أردتُ الذّهاب إلى "لارجارفاتان".

هزَّتْ أمّي رأسها.

- لا يمكنك الذهاب إلى "لارجارفاتان"، فهي قريبة جدًّا من "ريكيافيك".

لم أكن أعرف عنها شيئًا؛ ولا أعرف أين تقع. من الممكن أنْ تكون في الغرب أو الشَّرق. ولكنَّ الصِّبية الذين يذهبون إليها سعداء ولا يتعرَّضون للتنمُّر.

- على أيِّ حال، لن أذهب إلى مدرسة "ريتارهولت" اللَّعينة تلك مجدَّدًا. ألا يمكنني التوقُّف عن الذّهاب إلى المدرسة فحسب!

لاحقًا في الصَّيف، استدعاني والديَ للجلوس معهما على طاولة المطبخ. قالت أمّي:

- وجدتُ مدرسة لك يا "جون". سوف تلتحق بها في الخريف القادم.

سألتُ:

- أيَّ مدرسة؟

- مدرسة "هيراو" في "نوبر" في "ديرافيرو".

"نوبر" في "ديرافيرو"؟ لم أسمع عن هذا المكان من قبل. كيف هي؟ وأين هي؟ وجدتُ الأمر شيقًا. وتحمَّستُ للبداية الجديدة بعيدًا عن كلِّ شيء.



صدر من سلسلة كتب مختلفة:

1. اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
2. كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3. أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
4. نقطة الصفر	ناريك ماليان	أرمينيا
5. مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
6. قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتزة	ألمانيا
7. لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
8. الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
9. الموت والبطريق	أندريه كيركوف	أوكرانيا
10. تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
11. جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
12. شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
13. الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
14. حذارٍ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
15. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
16. السيمفونية البيضاء	أدريانا ليسبوا	البرازيل
17. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
18. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
19. أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
20. صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
21. مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
22. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
23. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
24. أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
25. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
26. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
27. توباز	هاكان جنيد	تركيا
28. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
29. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
30. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا

31. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
32. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا
33. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
34. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
35. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
36. مينتا	سوللماز كاموران	تركيا
37. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
38. جرائم براج	ميلوس أوربان	التشيك
39. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
40. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
41. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
42. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
43. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
44. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
45. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
46. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
47. العقل المدبر	دافيد أوجنر	جواتيمالا
48. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
49. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
50. الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
51. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
52. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
53. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
54. بنات الصين	يي مِاي	الصين
55. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
56. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
57. سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
58. النجمة الحمراء	يركسي هوللمانبيك	الصين
59. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
60. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
61. المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
62. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
63. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا

64. صانع الزجاج	إيرميس لافازوناوفسكي	مقدونيا
65. القنَّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
66. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
67. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
68. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
69. دكَّان الساري	روبا باجوا	الهند
70. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
71. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
72. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
73. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
74. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا

صدر من كتب عامَّة:

75. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
76. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
77. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
78. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
79. الشاي: ثقافات وطقوس وحكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
80. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
81. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
82. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
83. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
84. زيارة لمكتبات العالم: تاريخ مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
85. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
86. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
87. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
88. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
89. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
90. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
91. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
92. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
93. الجري	ثور جوتاس	النرويج
94. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
95. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا

يصدر قريبًا: من سلسلة كتب مختلفة:

96. بيتي بو	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
97. في حب بابلو وكراهية إسكوبار	فيرجينا فالاجيو	أسبانيا
98. اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
99. الحب في الأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
100. بيت في سامراء	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
101. أيام رائعة	رافاييل مونتيز	البرازيل
102. خريطة آنا	مارك سينديلكا	التشيك
103. سهر	صلاح الدين ديميرتاس	تركيا
104. بال خالٍ	أولجا سلافينكوفا	روسيا
105. شمس سبتمبر	بيروني رحيم	زيمبابوي
106. يوغوسلافيا وطني	جوران فوجنوفيتش	سلوفينيا
107. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
108. دجاج مشوي	صوفي هيناف	فرنسا
109. صلوات ليلية	سانتيجو جامبوا	كولومبيا
110. لم يبقَ أحد	أندريس فورجاتش	المجر
111. قصص خيالية	ألكسندر بروبوكيف	مقدونيا
112. مغامرات دكتور مينجوس	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
113. أسميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
114. فرق التوقيت	ألموت تينا شميت	النمسا
115. الحرية الحزينة	فريدريكا جيزفاينر	النمسا

#كتب_مختلفة #أيسلندا



"وكأنها النسخة الأيسلندية من الحارس في حقل الشوفان"

بعد صدور الجزء الأول من قصة حياة السياسي والكوميدي "جون جنار" بعنوان "الهندي الأحمر الأيسلندي"، يُعد هذا الكتاب الجزء الثاني من الثلاثية التي تحكي سيرته الذاتية بداية من طفولته المضطربة والمشاكل التي أثارها بشدة لوالديه وتقارير الأطباء عنه إلى أن تغيرت حياته فيما بعد. وفي هذا الجزء الثاني، يعيد "جنار" النظر في سنوات مراهقته بحنان صادق وروح مرحة؛ فهو يتعرض للمضايقات بلا هوادة، ويشعر بقوة داخلية متمردة، لكنه يعد بحياة أفضل وأكثر إثارة. فهو يجعل القارئ يعيش معه في هذا الجزء الصراع الداخلي الذي يعانيه المراهق بين الأفعال الجيدة والمتمردة.

جون جنار



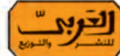
وُلِدَ في عام 1967، وهو ممثل أيسلندي كوميدي وسياسي. كان عمدة مدينة "ريكيافيك"، عاصمة أيسلندا، من 15 يونيو عام 2010، وحتى 16 يونيو عام 2014. وعلى عكس رئيس الوزراء الأيسلندي ورجال حزبه، أسس "جنار" "الحزب الأفضل" الذي بدأ كمزحة في برنامجه التليفزيوني الساخر، وكان مندهشًا بعد ترشحه لانتخابات العمودية بفوزه، والمدهش أكثر هو دهشته لفوزه، فقد كان الهدف وراء انضمامه للانتخابات هو السخرية من السياسيين الأيسلنديين الذين تسببوا في حدوث الأزمة المالية في أيسلندا. ولكن حدث ما أرعبه وأرعب النظام الأيسلندي، حيث فاز بالانتخابات ليصبح عمدة "ريكيافيك"، وفي ليلة فوزه قال: "لماذا أسبب المشاكل لنفسي دائمًا؟". نشرت العربي الجزء الأول من ثلاثية سيرته الذاتية في عام 2016 بعنوان "الهندي الأحمر الأيسلندي".



تصميم الغلاف: عصام أمين







60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg